

الكعبة

ودور آل سعود في تطويرها

بتلم
عبد الناصر باييم

الملم والإيمان للنشر والتوزيع

الخاتمة: العلم والإيمان للنشر والتوزيع

ميدان المحطة - ش. التكرات - سوق - كمر الشيخ

٤٧٥٦-٢٨١ / ٤٧٥٦-٢٨١ - ٤٧٥٥-٣٤١

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/م

التراقيم للمواد ، ISBN

مصمم جرائيك : محمد الجنائني ، شيماء عبد المجيد

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى : ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤

تنبيه

يحذر فنشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ...

نحمده سبحانه وتعالى حمد الذاكرين الشاكرين ... حمدا دائما يليق بجلال
وجهه وعظيم سلطانه ...
والصلاة والسلام على (البعوث رحمة للعالمين).

أشرف الخلق والأنبياء والمرسلين ... سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
الطيبين الطاهرين ... ومن نهج طريقهم وسار على دربهم إلى يوم الدين .

أَهْلاً بِعَدَدٍ

فإن الله عز وجل فضل بعض الأزمنة على بعض ... ففضل زمن رسولنا ﷺ
على سائر الأزمنة .

وفضل بعض الشهور على بعض ... ففضل شهر رمضان على سائر الشهور .

وفضل بعض الأيام على بعض ... ففضل يوم الجمعة على سائر الأيام .

وفضل بعض الليالي على بعض ... ففضل ليلة القدر على سائر الليالي .

وفضل بعض الرسل على بعض ... ففضل رسولنا ﷺ على سائر الرسل
وفضل بعض الأمكنة على بعض ... ففضل أرض الحجاز على سائر الأراضى .

وفضل بعض البلاد على بعض ... ففضل مكة على سائر البلاد .

وفضل بعض المساجد على بعض ... ففضل المسجد الحرام على سائر
المساجد .

وفضل بعض البقاع على بعض ... ففضل الكعبة على سائر البقاع .

فالكعبة المشرفة مقدسة عند الله ﷻ ... ولها مكانتها فى قلوب
المسلمين من مشارق الأرض إلى مغاربها ... يتجه إليها المسلمون فى
صلواتهم من كل النواحي والأقطار ... وتهفو إليها الأئمة فى كل وقت وزمان
ويطاف حولها على مدار الأيام والأعوام ... وما ذلك إلا بتشريف الله لها
وتقديره لعظمتها ... إذ جعلها قبلة الأنبياء والمرسلين ... وقبلة سائر
المسلمين إلى يوم الدين ... ومحط أنظار الناس أجمعين ... وأحاطها بسياج
مقدس ... وزادها مهابة وجلالاً وأمناً ... وأولاهم عناية وعظمة وشرفاً ...

وهن هنا :

كانت محل عناية الأنبياء والمرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والأمراء
المهتدين ، وكذا الشعراء والكتاب والعلماء وبخاصة المؤرخين والمفسرين .

فمنهم من بناها ومنهم من رفع قواعدها ومنهم من كساها ومنهم من
جدها ومنهم من اهتم بدراستها ، فتعددت الدراسات حولها وكتبت المؤلفات
عنها ... فهناك دراسات كثيرة عن جوانب متعددة تتصل بالكعبة المشرفة ...
وتحن في هذه الدراسة التي بين ايدينا سنقدم لك عزيزى القارئ بمشينة الله
تعالى كتابا عن الكعبة المشرفة .. اسماءها .. وفضائلها .. وغسيلها ..
وتطيبها وكسوتها .. وأخبار حولها .. وعالميتها .. وأنواع المعلقات بها ..
وصور من العدولان عليها .. وذكريات الرسول ﷺ معها .. وأحكام فقهية
تتعلق بها .. ومقدسات حولها ...

أسبقنا ذلك بالحديث عن البلد الحرام (مكة المكرمة) وكذا المسجد الحرام
(الحرم المكي) ولم نهمل الحديث عن الحرم النبوى .. وقد أولينا العهد
السعودى اهتماما خاصا بدرجة اهتمامهم بالكعبة والحرمين الشريفين ... ولو
أنتا خصصنا لهذه الفترة مؤلفات ما كفت وما أعطيناهم حقوقهم ... وما دفعنا
إلى ذلك الإحباب المكان والشوق والحنين الذى يشعر به كل مسلم تجاه الكعبة
وهذه الأماكن المقدسة ...

ولا أخفى عليك عزيزى القارئ أن الفضل فى هذا الكتاب وخروجه إلى
النور يرجع فى المقام الأول بعد الله عز وجل إلى الأخ صاحب دار النشر
الأستاذ / محمد إبراهيم العيسى ... حيث طلب منى أن أكتب عن الكعبة
للمشرفة لما لها فى نفسه من ذكريات طيبة ومشاعر متدفقة وأشواق زائدة
فوجدت بدورى أننى قد حملت أمانة عالية تجاه هذا المكان المقدس الذى

بضرب بجذوره فى أعماق التاريخ ... حيث يحتاج إلى جهد كبير ... وتوثيق
دقيق ... لأنه الحديث عن الكعبة المشرفة ... فخر واعتزاز كل مسلم ...
وشرف كل عربى يعتز بعرويته ... وساعدنى فى ذلك بعد توفيق الله ﷻ
أننى قد وجدت ما كان يجول بخاطرى وفكرى ... حيث الرغبة الجامحة فى
الكتابة عن الكعبة المشرفة ... وقد حان الوقت حسب تقدير الله ﷻ
وإرادته فهو سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا أن يقول للشيء كن فيكون ثامره
بين الكاف والنون ...

نسانه عز وجل أن يثقلنا بهذا العمل ... وكل من ساهم فى إخراجہ ... وأن
يجعله فى ميزان حسناتنا ... إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير .

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

المؤلف

الباب الأول

مكة .. أظهر بقاء الأرض

مكة مدينة كرمها الله فهي تحتضن بيته
الحرام ، وزاد شرفها عندما شاءت حكمته
أن تكون الأرض التي ولد بها خاتم الأنبياء
والمرسلين محمد ﷺ وشهدت أول نزول
الوحي يوم جاء الأمين جبريل غار حراء
يحمل كلام الله إلى رسوله ليكون للعالمين
بشيراً ونذيراً وقد جعل سبحانه وتعالى بيته
العتيق قبلة لعبادة المسلمين يستقبلونه في
صلواتهم ودعائهم إلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها.

الفصل الأول

أسماء مكة

ولأن مكة هي البلد التي شرفت بوجود الكعبة المشرفة بها ،
وجكّلت حرماً أمنياً . فقد تعددت أسماءها وذكرها الله ﷻ
باسماء عديدة نذكر منها :
(مكة ، بكة ، البلد الأمن ، البلد الأمين ، أم القرى ، أم رهم ، مصبب الوحي ،
البلدة ، البلد ، النساسنة ، الناصنة ، البشاشة ، كويصا ، الحاطمة ،
ماكورابا) .

وأشار ﷻ إليها في مواضع عديدة في كتابه الكريم بأسماء أخرى
وأقسم بها جل شأنه فحظيت بما لم تحظ به بلد غيرها ..
وذكر ابن كثير أسماء وقال : وقد ذكروا مكة أسماء كثيرة :
(مكة ، بكة ، والبيضة العتيق ، والبيضة الحرام ، والبلد الأمين ،
والمأمون وأم رهم ، وأم القرى ، وصلام ، والمرش على وزن بدر ، والفاوس
لأنها تطهر من الذنوب ، والمتدصة ، والناصة بالنون وبالياء أيضاً اليانعة
، والحاطمة ، والرأس وكوشا ، والبلدة ، والبيضة ، والكمبة)^١

١- ابن كثير ج ١ ص ٣٨٤

مكة :

تقع مكة المكرمة عند تقاطع درجتى عرض ٢٥/٢١ شمالا والطول ٤٩/٣٩ شمالا ، ويعتبر هذا الموقع من أصعب التكوينات الجيولوجية فأغلب صخورها جرانيتية شديدة الصلابة ، وهى ترتفع عن سطح البحر إلى أكثر من ثلاثمائة متر .

ويحتضن مكة وادى إبراهيم الذى ينحصر بين السلسلة جبال متقاربة من جهات الشرق والغرب والجنوب حيث تتألق السلسلة الشمالية من جبل "الفلق" وجبل "كدى" وجبل "أبى قبيس" فى الجنوب الشرقى ثم جبل "خندمة" .

ولمكة المكرمة ثلاثة مداخل رئيسية هى "المعلاة" وتعرف باسم "الحجون" ، "والمسقلة" و " الشبيكة " .

وقد تعارف الناس على أن " المعلاة " هى كل ما ارتفع من مستوى أرض المسجد الحرام ، " والمسقلة " هى كل ما كان دونه .

حرمها .

حرم الله ﷻ مكة دون سائر البلاد لما لها من مكانة عظيمة وقداسة جليلة جاء فى الصحيحين عن أبى شريح المعدوى أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه :

" انذن لى ايها الأمير أن أحدثك قولاً قال به النبى ﷺ عند فتح مكة سمعته أذنأى ووعاه قلبى وأبصرته عينأى حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يقطع بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها . أى أخذ فيه بالرخصة فقولوا

له : " إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لکم وإنما أذن لي في ساعة من نهار
وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس " ١

سبع تسميتها بهذا الاسم:

اختلف الإخباريون في كلمة مكة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى وفيما
يلي نعرض مصدر اشتقاق كلمة مكة في الروايات المختلفة :
اشتهرت مكة البلد الحرام موطن القبلة ومولد رسول الله ﷺ بهذا الاسم
وفي التنزيل :

" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن

أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " الفتح / ٢١

ومكة كما في القاموس من مكة أو امتكة وتمكة وتمكة نصه
جميعه .. ومنه مكة للبلد الحرام أو للحرام كله لأنها تنقص الذنوب أو
تفنيها أو تهلك من ظلم فيها ..

وقال أبو بكر الأنباري : سميت مكة لأنها تمك الجبارين ، أي تذهب
نخوتهم . ٢

ويقال : إنما سميت مكة لارحام الناس بها من قولهم " قد امتك
الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديدا " ويرد ياقوت على هذا
التفسير بقوله " فقلط في التأويل لا يشبه مص الفصيل الناقة
بازدحام الناس وإنما هما قولان " ٣

قال الشرفي بين القطامي : إنما سميت مكة لأن العرب في الجاهلية
كانت تقول لا يتم حجنا حتى تأتي مكان الكعبة فتمك فيه ، أي تصفر
صفير المكاء حول الكعبة وكانوا يصرخون ويصفرون ويصفقون

١- متفق عليه .

٢- ياقوت معجم البلدان ، مادة مكة مجلد (٥)

٣- نفس المصدر في ١٨١ ، ١٨٢

بأيديهم إذا كانوا بها . والمكء بتشديد الكاف طائر يأوى الرياض .
ويطلق ياقوت على هذا الرأي بقوله " والمكء ، بتخفيف الكاف والمد
الصغير ، فكانهم كانوا يحاكون صوت المكء ولو كان الصغير هو
الفرض لم يكن مخففا " ١ .

وقال قوم : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عندها وهى فى
هبطه بمنزل المكوك " ٢ ، والمكوك عربى أو معرب قد تكلمت به
العرب وجاء فى أشعار الفصحاء ..

قال الأعشى :

والمكاي والصحائف من الفـ * ضة والضامرات تحت الرجال
ويذهب أهل اللغة إلى أنها سميت مكة لقولهم : " سميت مكة لأنها
عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم : أمتك
الفصل أخلاف الناقة إذا جذب ما فيها جذبا شديدا فلم يبقى فيها شيئا " ٣
ولما كانت مكة مكاتا للعبادة فقد امتكت الناس أى جذبتهم من جميع
الأطراف .

ويرى ياقوت أنها سميت مكة من :

• مك اللدى ، أى مصه لقلته مانها لأنهم كانوا يمتلكون الماء أى يستخرجونه
• وقيل : أنها تمك الذنوب أى تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا
يبقى فيه شيئا .

• وقيل : سميت مكة لأنها تمك من الظلم أى تنقصه .

• وقيل سميت بذلك لقلته مانها . أولا تمك المخ من العظم ما يقال قاصدها
من المشقة ، من قولهم مككت العظم إذا أخرجت ما فيه ، ومك الفصيل
ضرع أمه إذا امتص كل ما فيه من اللبن وشربه أو لأنها تمك من ظلم

١- نفر المصدر السابق

٢- نفر المصدر السابق

٣- ياقوت : معجم البلدان مكة محلد ١٨٢/٥

فيها . أى تهلكه وتنقصه ، أو لأن الناس كانوا يمكنون فيها ويضحكون
من قوله " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية " ^١ .
أى تصفيقا وتصفيرا وهذا ضعيف من جهة اللغة والتعريف

بكة :

وورد في القرآن الكريم اسم آخر لمكة هو بكة . فذكرت بكة في قوله تعالى :
" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه
آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت
من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين " ^٢ .
وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها :
" أن بكة هو موضع البيت ومكة هو موضع القرية " .
وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضا أمام البيت .
ونقل ياقوت عن يحيى بن أبي أنيسة : أن بكة موضع لثبيت ومكة هو
الحرم كله وعن زيد بن أسلم : أن بكة الكعبة والمسجد ومكة ذو طوى
وهو بطن الوادي ^٣ .
والذي ذكره الله تعالى في قوله :
" وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن
أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا " ^٤ .
ويرى بعضهم أن بكة هي نفس مكة أبدلت فيها الميم بباء على عادة
أهل الجنوب ويعتقد الدكتور / جواد على أن بكة ليست سوى لهجة من
لهجات القبائل التي تبدل الميم بباء .^٥

٢- الأزرقى أخبار مكة ١/ ٢٨٨

٣- ياقوت نفس المرجع السابق

د- جوك على / ٤ / ١٨٩

وفى القاموس أيضا فى مادة " بك " ومنه بكة لمكة أو لما بين جبليها
أو للمطاف لدقها أعناق الجبائرة أو لادحام الناس بها وقيل ابن هشام
أخبرنى أبو عبيد : أن بكة اسم لبطن مكة لأنهم بيتاكون فيها أى
يزدحمون .^١

وقيل أن بكة موضع بيت الله الحرام ومكة سائر البلد لقوله تعالى "
" إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين "

١٦ عمران

ومنها أن بكة المسجد ومكة الحرم كله وتدخل فيه البيوت .
وقد بقيت كلمة " وادى بكة " فى التوراة على ما دخل فيها من
التحريف والتغيير ، إلا أن المترجمين حولوها إلى " وادى البكاء "
وجعلوها اسم نكرة يدل على علم ، وقد جاء فى مزامير داود ما نصه :
" طوبى لأناس عزمهم بك ، طرق بيتك فى قلوبهم عابرين فى وادى
البكاء يعبرونه ينبوعا " (مزامير)^٢

وقد اتتبه علماء اليهود بعد قرون إلى أن هذه الترجمة كانت خاطئة ،
فقد جاء فى دائرة المعارف اليهودية اعتراف بأن واد مخصوص لا ما فيه
، وأن فى ذهن من صدرت عنه هذه العبارة صورة لواد له أوضاع طبيعية
عبر عنها بهذه الكلمة .^٣

وقد كان ناقلو هذه الصحف إلى الإنجليزيه أكثرأمانه ودقة فى الترجمة
من الذين قاموا بالترجمة العربية فقد تركوا كلمة " بكة " كما كانت فى
الأصل وكتبوها بالحرف الاستهلالى كما تكتب الأعلام ، وفى الترجمة
الإنجليزية كما يلى .^٤

١- الروض الأنف للسيهلى ١ / ١٢٦ .

٢- الكتاب المقدس فى مطبعتها فى ساحة استورين مدينة نيويورك ، لندن ١٨٠٤ م .

٣- Lewis Cyclopdia fol. ١١٠ p. ٤١٥ .

٤- مستفاد من " التفسير الماجدى " للأستاذ الكبير عبد الماجد اللربابادى ، وكتب رحمة للعالمين
للقاضى سليمان المنصور فوزى انظر السيرة النبوية للنورى / ٥٦

heart are the ways of them who passing through the
fallefaf baca makeitawell . (psalm)(١١) .

ما كورابا :

وجاء ذكر مكة في جغرافية بطليموس تحت اسم " MACORABA " (١) .
ومضاه مقدس أو حرم ، مما يستفاد منه ان مكة كانت في أول عهدها مقاما
دينيا وأنها كانت مركزا للعبادة قبل البعثة النبوية بزمن طويل وبيدوا أن
هذا الاسم له علاقة بالبيت الصفيق الذي كان سر شهرتها كعاصمة دينية
في الجاهلية ، فكلمة " ماكورابا " قرينة من مكرب التي عرفت عند
العرب وتعبر عن لقب كان يحمله الكهنة في سبأ قبل أن يتحولوا إلى
ملوك ومن المرجح أنها تضي " القرب إلى الله " لأنها مدينة مقنمة .

الناسفة :

والناسفة هو من نست الشيء إذا أذهبته .
فلقد بغت جرحهم بمكة ولمستحلوا حلالا من الحرمة فظلموا من دخلها
من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها فرق أمرهم . فلما رأت
بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان فنقومهم من مكة وكنت مكة في
الجاهلية لا تفر فيها ظلما ولا بظيا ولا يبقى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت
تسمى : الناسفة ولا يريد ما ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه .

١- حواد على تاريخ العرب قبل الإسلام ١٨٨/٤

٢- lamnes. bameepfaafeilledeimegure p -٢٢

٣- الزوج الأعد النبي ١٠٠ / ١

الباسة :

والباسة بالياء وهو من يست الجبال بسا أى فنت وثریت كما یثرى السوق .
وقیل : الباسة لأنها تبس أى تحطم الملحد وقیل تخرجهم .

أموجه وأم القرى :

وسمیت أيضا بأم رحم " وأم القرى " ووردت بهذا الاسم فى قوله تعالى " ولتنذر أم القرى ومن حولها " الاسم / ٦٢
قل بعض العلماء سمیت بذلك لأنها أقدم القرى التى فى جزيرة العرب واعظمتها خطرا . إما لاجتماع أهل تلك القرى فيها كل سنة أولا لتجانسهم إليها وتعويلهم على الاعتصام لها لما يرجونه من رحمة الله تعالى وقد وردت فى القرآن الكريم مرتين الأولى كما ذكرنا والثانية فى قوله تعالى " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى " نسوى / ٧١

معاد والحاطمة :

وسمیت أيضا : معاد ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها .

الوايس والحوام وصلح :

وسمیت بالرلس وصلح . كما سمیت أيضا بالحرم والبلد الحرم . كما ثبت فى الصحيحين أن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .
وقد ذكرنا الحديث أننا فى حرمة مكة .

المحرم:

وسميت بالمحرم كما فى قوله تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْتَلَى لَتَيْدَهُ مِنْ النَّاسِ تُهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقَهُمْ مِنَ
الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " " ١ "

العرش والقادر والمقدسة :

وسميت بالعرش لأنها حيال العرش ، والقادر لأنها تقدر أى تطهر من
الذنوب .

كوثى:

وسميت بكوثى : وهى اسم بقعة كانت منزل بنى عبد الدار قديما .
وقيل كوثى : ربا هى التى يخرج منها الدجال ، ومنها كانت أم
إبراهيم عليه السلام
وأبوها هو الذى احتضر نهر كوثى . " قاله الطبرى " .

البيت العتيق :

وسميت البيت العتيق لأنه عتيق من الجبابرة . قال تعالى :

" وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ " صح / ٢١

قال تعالى :

" ثُمَّ مَجَّئُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ " صح / ٢٣

البلد :

قال تعالى :

" لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌ بهذا البلد وما وكد لقد خلقنا الإنسان

في كبدٍ " سورة ٤٧

والبلد : هو مكة بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض ليكون مثابة لهم وأما يضعون عنده سلاحهم وخصوما تهم ويلتقون فيه مسالمين : حرام بعضهم على بعض كما أن البيت وشجره وطيره وكل حي فيه حرام ثم هو بيت إبراهيم ووالد إسماعيل أبي العرب والمسلمين أجمعين .

البلد الأمين :

وسميت بالبلد الأمين كما في قوله تعالى

" والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين " سورة ١٠٧

ويرجع سبب التسمية إلى أن أهلها كانوا يتقاتلون طوال العام ويحرمون القتال في الأشهر الحرم فتكون أمان لكل من فيها وكل من دخلها . حتى أنهم كانوا يحرمون على الابن قاتل أبيه وعلى الأب قتل من قتل ابنه ، ولأن أهلها كانوا لمنين في أنفسهم في الشهور من أعدائهم ومن الوحوش والأفاعي .. وغيرها

وقيل بأن الله قد حرم على المسيح الدجال دخول مكة والمدينة وحرم فيها

القتال والصيد لذلك سميت بالبلد الأمين .

وادي غير ذي زرع:

وتوصف بأنها واد غير ذي زرع . قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:
" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ " " إبراهيم ٢٧ "

مكرب:

ويذكر " بروكلمان " أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ومعناه الهيكل.^١ بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من مك في البابلية بمعنى البيت .^٢ ويستفيد من جميع التسميات التي أطلقت على مكة أنها كانت في أول أمرها مقاما دينيا أسسه إبراهيم ولهذا لا يستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أي مقدس ثم تحول إلى مكة .^٣ وهكذا تتعدد الأسماء وتعدد الأسماء دليل على شرف المسمى كما يقال .

١- بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ١١ / ٢٢٢

٢- جرحى وديان : العرب قبل الإسلام / ٢٧٥ .

٣- د / السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب

الفصل الثاني

منازل مكة

اختار الله ﷻ مكة واصطفاهما ، وجعلها خير وأشرف بلاد الأرض وأحبها إلى الله، كما ثبت بذلك الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال ولولا أنى مكة :

” والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى لخرجت منك ما خرجت “^١ .

وقد كتب علماء التاريخ والسيرة في أخبار مكة وفضلها شئنا كثيراً

بين المخطوط والمطبوع

(١) لمن تلك كتاب " أخبار مكة " لأبي الوليد الأزرقي (توفي ٢٥٠ هـ) ، وكتب " أخبار مكة " لفاكهيروا (توفي ٢٧٥ هـ) وكتب أحمد بن حنبل في تاريخ الأندلس و " شعاع الحرم بأخبار ذلك الحرم " كالمصنف في أخبار الحرم (توفي ٨٢٢ هـ) ، وكتب " بحار النور بأخبار مكة لعمرو بن محمد الكوفي (توفي ٩٦٢ هـ) وغلبة الحرم بأخبار سيطرة البلد الحرم لعز الدين الكوفي (توفي ٩٨٨ هـ) ، والمصنف للضيف في فضل مكة وأهلها وبنائها لبيت الشريف لأبي طهيرة الخزرجي

(توفي ٩٨٦ هـ) والإعلام بأعلام بيت الله الحرم ، لقطب الدين الشهرستاني (توفي ٩٨٨ هـ) وفتح الحرم في

أخبار مكة والبيت وولاء الحرم للسجدي (توفي ١١٢٥ هـ) ، ونور العوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة للمنظمة ، لحد فخر الإسلامى وكتب الإنصار في ممالك الحج وطريق الحجاز ، لرضوان رضوان وقد ألف كتابه هذا (١٢٤٥ هـ) .

وقد عرضت هذه الكتب وغيرها بين كثير ومقل لأخبار مكة المكرمة فتحدث مؤلفوها عن الحجر الأسود (

أصله وفضله) ، وعن بناء بيت الله الحرم .

(نشأة وتاريخه) وعن كسرة الكعبة على من المصرون وتبليغ الدهور وعن مقام إبراهيم وما يتعلق به وعن

مرمر ومالها من الفضل والمنزلة والحكماء مقها وتحدثوا . كذلك عن أصفاء والمرورة والسمي بينهما وعلاقة تلك

نقصة بسماعل التتلا رله هلمر

وكتبوا عن " منى ومريضة وعمرات " وذكروا المسافات بين مكة وهذه الأماكن ، ووصفوا الحجاب الحرام
 والسلبه ، وعدد هذا كما وصف بعضهم مداح للرحلات الثرية القنينة على طهر الأبل وشرحها على وجه
 للتعمير والبيان ووصف المتأخرين منهم لرحلات البحرية القنينة بالبحارة
 وكان دافعهم جميعاً لتسجيل هذه الأخبار حبههم الشديد لبيت الله الحرام
 ومكة المكرمة والمشاعر المقدسة .

وأما عن فضائل مكة :

فقد ذكر العلماء لها من الفضائل والخصائص التي شرفها الله بها ولم يجعل شيئاً
 منها لبلد سواه :

❁ أول مسجد وضع في الأرض بها :

وهو أول مسجد وضع في الأرض كما في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال :
 سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض ؟
 فقال : " المسجد الحرام " .

قلت : ثم أي ؟

قال : " المسجد الأقصى " .

قلت كم بينهما ؟

قال : " أربعون عاماً " ١

وفضائل هذا المسجد لا تخفى على أحد وكفاه فخراً أن الصلاة منه بمائة
 ألف صلاة كما جاء في الحديث الصحيح وهذا يدل دلالة قاطعة على أن
 المسجد الحرام أفضل بقاع ومساجد الأرض على الإطلاق .
 من جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من
 ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل
 من مائة ألف صلاة فيما سواه ٢

١ - متفق عليه

٢ - رواه أحمد وابن ماجه بإسنادين صحيحين

ه أفضل الرسل أجمعين منها ..

و من فضائلها أن الله قد اختار أفضل الرسل والنبیین صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منها ، واختاره لنزول أفضل كتبه على الإطلاق وهو القرآن الكريم والذکر الحكيم ففيها بدء نزول الوحي وشهدت أولى أحداث وقائع الرسالة ..

❁ مناسك للعباد ..

ومن خصائص البلد الحرام أن الله جعلها مناسك لعباده ، وأوجب على كل قادر ومستطيع للإتيان إليها من قريب ومن كل فج عميق فلا يدخلونه إلا خاشعين خاضعين كاشفي رؤوسهم متجردين من لباس وزينة الدنيا .

❁ حرماً آمناً ..

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله قد جعله حرماً آمناً لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر له صيد ولا يقطع نباته الرطب ، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف أبداً غير مقيد بزمن كلقطة غيره .

❁ يحط الخطايا ويمحو الذنوب ..

ومن فضائلها : أن الحج إليها وسيلة لحط الخطايا ومحو السيئات كما تبث في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " ١ أى بغير ذنوب ولا سيئات . وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

" العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " ٢

١ - رواد البحارى ومسلم والسنائى وغيرهم

٢ - متن عليه

◦ أقسم الله ﷻ بما ..

ومن فضائل البلد الأمين : أن الله ﷻ قد أقسم به في موضعين من القرآن الكريم فقال تعالى :

" والثين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين " ١

وقال أيضاً :

" لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد " ٢

◦ قبلة أهل الأرض :

ومن فضائل مكة أن الله قد جعلها لأهل الأرض كلهم فليس على وجه الأرض قبلة غيرها وكل مصل وقامع وساجد لله يجب عليه أن يتوجه إليها في صلته وإلا بطلت صلته إذا توجه عامداً إلى غيرها مع قدرته على التوجه إليها .. قال تعالى :

" قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ " سورة البقرة / ١٤٤

وقد عد جمهور الفقهاء التوجه إلى القبلة من شروط صحة الصلاة .

◦ يحرم استقبالها أو إسنتديارها عند الغائط :

ومن خصائصها : أنه يحرم استقبالها وإسنتديارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض تشرافاً لها . لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إذا جلس أحدكم لحاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها " ٣

٣- التير / ١-٣

٤- البلد / ١-٢

٥- رواد لحمد ومسلم

◦ أم القرى ..

وقد سماها الله ﷺ أم القرى ، فالقرى كلها لها تبع .. إظهاراً لمنزلتها وعظيم قدرها .

❖ يعاقب على الصم بالسيئات نجماً .

ومن خصائص البلد الحرام أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها قال تعالى :

" ومن يرد فيه بإلحادٍ بظلم نذقه من عذابٍ أليم " ص ٢٥٧

وعلى هذا تكون الحسنه في الحرم مضاعفة والسيئة كذلك مضاعفة .
وقد ذكر ابن القيم رحمه الله " أن السيئة في حرم الله أعظم جرماً من مثلها في أى موضع آخر من الأرض " وقد جاء منصوصاً من طريق ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال " من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟
قال : " الحسنه فيه بمائة ألف حسنة " ١

❖ نصوى إليه القلوب :

ومن أعظم ما يختص به البلد الحرام أن القلوب تهوى إليه والأفئدة تميل إليه فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فكم أنفق في حب مكة من الأحوال والأرواح ورضى المسافر لها شوقاً مفارقة الأهل والأحباب والأوطان وتحمل في سفره صنوفاً من العذاب والمشقة والهوان ، والسرفى ذلك أن جعل بيته الحرام مثابة للناس أى يقومون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار ولا يقضون منه وطراً بل كلما سافروا إليه ازدادوا شوقاً ومحبة إليه .

٤- لسند البرار _ للروض الأتف للسهلى ح ٢٣١/ ٢

○ أحب بلاد الله إلى الله .

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة وقف على الحزوة وقال :

" بئى لأعلم أنك أحب البلاد إلى وأنتك أحب أرض الله إلى الله . ولو لا أن
المشركين أخرجونى منك ما خرجت .

وقالت عائشة رضي الله عنها :

" لو لا الهجرة لمكنت مكة فبئى لم أرى السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها
بمكة ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أرى القمر بمكان أحسن منه
بمكة " .

وقال ابن أم مكتوم وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهو يطوف :

يا حبذا مكة من وادى - أرض بها أهل وعوادى .

أرض بها ترسخ أوتادى - أرض بها أمش بلا هادى .

ولما قدم الرسول ﷺ المدينة هو وأبو بكر وبلال فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى

يقول :

" كان أمرى مصيب فى أهله - والموت أدنى من شرك نعله " .

وكان بلال إذا انقضت عنه رفع عقيرته .. وقال :

" ألا ليت شعرى هل أبيت ليلة - بقفح وعندى أذخر وجليل " ؟

" وهل أردنا يوماً مياه محبة - وهل يدون لى شامة وطفيل " ؟

ووقف رسول الله ﷺ عام الفتح على جمرة العقبة وقال :

" والله إنك لخير أرض الله وإنك لأحب أرض الله إلى ولو لم أخرج ما

خرجت إتبا لم تحل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد كان بعدى ، وما أحلت لى

إلا ساعة من نهار ثم هى حرام يعضد شجرها ، ولا يحنش كلالها ولا

تتنفط ضالتها إلا المنشد " .

فقال رجل : يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لبيوتنا وقبورنا فقال ﷺ إلا الأذخر " ١

وروى في الأثر أنه : " من صبر على حر مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مائة عام ، ووجد على حجر فيها كتاب فيه " .

أنا الله رب مكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحفظتها بمسبعة ألاف صنفاء لا تزال أحشائها مباركة لأهلها في الحما والماء ، ومن فضائله أنه من دخله كان آمنا . ومن أحدث في غير من البلدان حدثا ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله فإذا خرج فيه أقيمت عليه الحدود ومن أحدث فيه حدثا أخذ بحدته .
وقوله تعالى :

" وما كان ربك مهلك القرى حتى ينبغث في أهلها رصولا " (نمر / ١٠١)

وقوله تعالى :

" ولتذنب أم القرى ومن حولها " (نمر / ١٠٢) دليل على فضلها على سائر البلاد " ومن شرفها أنها كانت لقاحا لا تدين لدين الملوك ولا يؤد أهلها إتابة ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان تحج إليها ملوك حمير وكندا وغسان ولحم فيدينون لحمص (وهو من الحماسة والتحمس : مذهب القرشيين المتشدد في الجاهلية ، وقد أبطله الإسلام) من قریش و يرون تعظيمهم والاقتداء بأثارهم مفروضا وشرفا عندهم عظيما ، وكان أهله أميين يقرون ويتسبون ولا يستبون ولم تسب قرشية قط فتوطأ قهرا ولا يجال عليها السهام ، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء فقال بعضهم :
أبوا دين الملوك فهم لقاح * إذا هيجوا إلى حرب أجابوا .

وقال انزبير : " فإن من بدر لرجل من بنى عوف كان قد هجا ابا جهل
وتناول قريشا :
أندرى من هجوت أبا حبيب * سليل خضارم سكنوا البطاحا .
أزاد الركب تذكر أم هشام * وبيت الله والبلد اللقاحا ؟

ومما زاد فى فضلها وفضل أهلها وميانتهم العرب أنهم كانوا حلفاء
متألفين و متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم عليه السلام ولم يكونوا
كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب ، وكانوا يختنون
أولادهم ويحجون البيت ويقيمون المناسك ويعنون قوتاهم ويقتسلون من
الجنابة ، وتبرأ وامن ألهر بزة " لاهى المجوسية والله أعلم " .
وتباعدوا عن المناكح فى البنت و بنت البنت والأخت و بنت الأخت غيرة
وبعدا من المجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ،
وكانوا يتزوجون بالصدائق والشهود ويعلقون ثلاثا ، وذلك قال عبد الله بن
عباس وقد سأل رجل عن طلاق العرب فقال :

" كان الرجل يطلق امراته تطليقه ثم هو أحق بها ، فإن طلقها اثنتين
فهو أحق بها أيضا فإن طلقها ثلاثا فلا سبيل له إليها ولذلك قال الأعشى :

أيا جارتي بينى تأنك طالقه * كذلك أمور الناس غار و طارقه .
وبينى لقد تارقت غيرى ذميمة * وموموته منا كما أنت وامقة .
وبينى فإن البين خير من المصا * وأن لا توى لى نوق رأسك بارقة .

الفصل الثالث

حرمة مكة المكرمة

إن مكة المكرمة كانت معلومة الحرمة في الجاهلية و صدر الإسلام
وتحريم مكة المكرمة كان قيل إبراهيم عليه السلام بدلالة قوله تعالى على لسان
إبراهيم : " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمُحَرَّمِ " - إبراهيم ٢٧ - وإبراهيم عليه السلام بعد بناءه البيت مع ولده إسماعيل
عليه السلام أعلن تحريم مكة المكرمة ودعا ربه أن يجعلها بلدا آمنا
فاستجاب الله تعالى له .

قال تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ " البقرة ٢٥

قال الله تعالى : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ " إبراهيم ٣٥

ولما جاءت حادثة الفيل التي تحدث عنها القرآن الكريم :
" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي سَبِيلٍ
تَضَلُّيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ "

الفيل س ١ بر ٥

عظمت مكة في نفوس العرب وازدادت مكاتنها رفعة خاصة بعدما
علموا عن سبب هذه الحملة الشرسة كما عظمت مكاتة أهل مكة خاصة
عبد المطلب الذي لم يخرج من مكة حيث عظمت مكاتته عند أهل مكة
بالذات ، وقال الله تعالى على لسان رسوله محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب عليه السلام : " إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا "

الفيل ١١

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة
المكرمة :

" إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة
الله إلى يوم القيامة.. " ١ .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة المكرمة :

" إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي
ساعة من النهار لا يختلئ خلالها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا
تلتقط لقطتها إلا لمعرف " ٢

وقد أباح الشارع الحكيم لأهل مكة الأذخر حيث جاء في حديث ابن
عباس وكذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال العباس :

" إلا الأذخر فإنه لقينهم وبيوتهم " .

وفي رواية : " فإنه لصاغتنا وقبورنا " وفي أخرى : " فإن نجعله
لقبورنا وبيوتنا " فقال رسول ﷺ :

" إلا الأذخر " ٣

وقد جعل الله ﷻ أبلغ الناس إليه الملحد في الحرم فقال تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْكَرِيمِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ

سَوَاءً الْعَاقِبَةُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْخَادِ يَظْلَمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ " ٤

فمن هم في الحرم بأمر فظيع من المعاصي الكبار من شرك أو بدعة أو
معصية أو عمل سيئ أو ما يستحل فيه حرمة الحرم .. فما فوق ذلك عامداً
ظالماً أذاقه الله العذاب الأليم .. وهذا ما حدث مع أصحاب القيل وغيرهم
جعلهم الله عبرة ونكالا لكل من أراد به بسوء .

١ متفق عليه .

٢ متفق عليه واللفظ للبخاري .

٣ متفق عليه .

الباب الثاني مكة وقريش في التاريخ واللغة

وتاريخ مكة الحقيقي يبدأ أيام قصي بن كلاب بن مرة القرشي الذي تولى أمر مكة حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي أما ما قبل ذلك فليس لدينا ما نعتمد عليه في إثباته أو نفيه غير روايات الإخباريين وهم إسلاميون أو مخضرمون ، والمدة بعيدة بينهم وبين هذه للعهود بخلاف الأمر في حالة قصي وقبيلة قريش التي استقرت في مكة ونهضت بها وخطت منها مدينة ذات مركز اقتصادي وديني وأدبي ممتاز وأصبحت في عهدها تتمتع بتوجيه عربي عام في أواخر القرن السادس وأوائل السابع حين ظهر الإسلام .

وبين قصي وظهور الإسلام لا تزيد عن مائة وخمسين عاماً وهي مدة كانت حال قريش فيها منفصلة في مكة ولا يمكن أن تسمى فيها الأحداث وبخاصة إذا قدرنا ما للذاكرة العربية من قوة وما لقيمة التمسك بالنصب ولحمة الدم من سلطان يجعل الناس يحتفظون بذكر آبائهم والأحداث التي ارتبطت بهم وقد يعطون ذلك بعض المبالغة ولكننا على أي حال نستطيع من مختلف الروايات أن نصور للوضع تصويراً تقرب به كثيراً من الحقيقة إن لم نصل إليها .

الفصل الأول

تاريخ مكة

ويروى لنا التاريخ أن مكة قد عرفت من أحقاب طويلة ممضة في القدم حتى قبل عهد إبراهيم عليه السلام فقد كانت الكعبة مثابة للناس قبل بناء إبراهيم وبالتحديد منذ أن هبط آدم من السماء وبنى فيها البيت ... ومن جهة أخرى فقد ثبت أن مكة قد استقبلت هجرات سابقة من بلاد العرب المختلفة تعددت فيها أنواع المهاجرين من أجناس البشر .

كما تدل الدراسات الجيولوجية التي أجراها الباحثون أن مكة وما حولها من مساحات تشمل جزيرة العرب التي كانت في عهد من عهود التاريخ المجهولة مروجاً خضراء أهلة بالسكان لأن غيوم الرياح الغربية الشمالية كانت تصل إلى الجزيرة العربية قبل أن تفقد رطوبتها لتتهال الأمطار على قممها العالية وتجري في وديانها الأنهار وتروى أراضيها وتمسقى مروجها

غير أن كثيراً من المؤرخين اعتبروا أن هجرة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى مكة بداية واضحة لتاريخ مكة لأن أهم ملابسات الهجرة وظروفها وردت واضحة في القرآن الكريم . والمعروف أن إسماعيل قدم مكة وهي إذ ذاك فلاة يثبت فيها السلم والمر وبها ناس يقال لهم (العماليق) وكان البيت أو الكعبة يومئذ ربوة حمراء .

وقصة إسماعيل وأمه هاجر وقدومهما إلى مكة معروفة ، فبعد أن ضاقت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام بجاريته هاجر وابنها طلبت من زوجها أن يقصى الولد وأمه ، وقد كانوا جميعاً ينزلون في مشارف الشام فارتحل عنها ومعه إسماعيل وهاجر ليبلغا البقعة التي اختارها الله لمنزل

إسماعيل فيضع إبراهيم وديعته في ظل دوحه في بطن الوادي من مكة على خطوات من الریوة الحمراء حيث رفعت قواعد البيت فيما بعد : يقول تعالى :

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَتَّاسِكِنًا وَثَبَاتِيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " سورة / ١٢٧-١٢٨

ثم عاد إبراهيم راجعا إلى داره واتبعت هاجر أثره قليلا ثم قالت إلى من تتركني وابني ؟ قال : " اللَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " قالت :

" إِنَّا نَحْنُ بِضَعِيمَا إِلَهِهِ أَيْسَاءُ اللَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ "

أجل لقد تركها إلى الله تعالى وقد رأينا قدرته جل وعلا تتجلى في هذا العالم الزاخر من ذرية إسماعيل ورأينا تلك الدوحة التي أظلمته يوما تتبثق عنها أمة كان لها كياتها وكان لها دورها في فتح العالم وكشف حجب الظلام ونشر الدين وكانت هذه القلوب المؤمنة الموحدة ثمرة دعوته المباركة قال تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " إبراهيم / ٣٧

ولما اشتد بهاجر العطش وتصايح وليدها إسماعيل يبغى شربة ماء نظرت ما حولها وسعت في الأرض تبحث عن ماء تطفى به حرها وتروى غليل ابنها وتكرر سعيها وهرولتها في وسط الوادي بين جبلين هما (الصفا والمروة) حتى فعلت ذلك سبعا وعندها سمعت صوتا ثم خرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله الأرض فظهر ماء فوق

الأرض فكانت (زمزم) بل كانت مكة وكانت هذه القبائل من عدنان ثم
كانت قريش وكان بنو هاشم ومنها سطع نجم أضاء ثناء مشارق الأرض
ومغاريها وكان الإسلام وكانت أعلامه وراياته التي خفقت فيما بعد في
أكبر وأوسع بتاع للعالم .¹

¹ اخبار مكة للأزرقى تاريخ مكة / لحمد السباعى

الفصل الثاني قريش في اللغة

ولعله من المفيد أن نلقى الضوء على اسم قريش قبل أن نذكر أصل تجمعهم ولم يصل الباحثون لرأى حاسم فيما يتصل باسم قريش والطبري نص طويل^١ يفهم منه أنه اسم شخص بل اسم سمكة ربما كانت (طوطم)^٢، قريش أو صفة أطلقت على بعض زعمائها الأولين مثل النضر بن كنانة، وقد أجمل الطبري ذلك في قوله :

" سميت قريش قريشاً بقريش بن يدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة، وبه سميت قريش قريشاً لأن عير بنى النضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عير قريش : قالوا : " وكان قريش هذا دليل بنى النضر في أسفارهم وصاحب نصرتهم وكان له ابن يسمى بدرا " وقال ابن الكلبي :

" إنما قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة " وقال آخرون : إنما سمي بنوا النضر بن كنانة قريشاً ، لان النضر بن كنانة خرج يوماً على نادى فوق ، فقال بعضهم لبعض : انظروا النضر كأنه جمل قريش وقيل : إنما سميت قريش قريشاً بداية تكون في البحر تدعى القرش فشبهه بنو النضر بن كنانة بها ، لأنها أعظم دواب البحر قوة وقيل : أن النضر بن كنانة كان لسمه قريشاً.

^١ الطبري ج ٢ / ١٨٧ ابن حزم - جمهرة أنساب العرب / ١٠ مصعب الزبيري نسب قريش / ١٢ ابن دريد الاستقاق / ١٨ أبو الفرج الأصبهاني الأغاني ج ١ / ١٢ الأزرقى ج ١ / ٦١ .
^٢ طوطم من الطوطمية : عبادة بدائية يعتقد من الناس أنهم شيئاً معيماً - حيوان مثلاً من أصل واحد ويتخونه رمزاً محبوباً لهم ، ولهم طوطم عام وآخر فردي لكل إنسان في القبيلة (راجع د / على عبد الواحد وثى) " للطوطمية " دار المعارف - مصر .

وقيل : " بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصى بن كلاب " ف قيل لهم : " قريش من أجل التجمع وهو النقرشى " .

فقال للعرب : " نقرش بنو النضر أى تجمعوا " .

أو قيل : " إنما قيل قريش ، أجل أنها تترشيت عن القارات " .

وعن محمد بن سعد : سميت قريش قريشاً ، من اجتمعت إلى الحرم من تفرقتها ذلك التجمع النقرشى ، قال عبد الملك : ما سميت هذا ولكن سمعت أن تصيبا كان يقال له القرش ولم يسم قريش قبله ^١ .

وفى لسان العرب يقول ابن منظور : ^٢

" وقريش دابة فى البحر لا تدع دابة إلا أكلتها فجميع الدواب تخافها . وقريش قبيلة سيدنا رسول الله ﷺ أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه " .

وفى حديث ابن عباس فى ذكر قريش قال : هى دابة تسكن البحر تأكل دوابه .

قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحر * بها سميت قريش قريشاً

وقيل : " سميت بذلك لتقرشها " أى تجمعها إلى مكة من حوالىها بعد تفرقتها فى البلاد حين غلب عليها قصى بن كلاب وبه سمى قصى مجمعا .

وقيل : " سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن نهر كان صاحب عيرهم " فكاتبوا يقولون : " قدمت عير قريش وخرجت عير قريش " .

وقيل : سميت بذلك لتجرها وتكسبها وضربها فى البلاد تبتغى الرزق .

^١ لنظر يقرت ومعجم البلدان ١٨٣/٥ - ١٨٥ .

^٢ لنظر : لخيار نكة . لأثوري ج ١ ص ٣٢ وما بعدها - معجم البلدان : لياتوت (مادة كعبة ج ٨ ص ٤٦٢ وما بعدها) .

وقيل : " سميت بذلك ، لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب
ضرع " وزرع من قولهم : فلان نيقرشى المال أى يجمعه .

وقال سيبويه : " ومما غلب على الحى قريش " قال : " وإن جعلت
قريشا اسم قبيلة معربى " قال غير بن الرفاع يمدح الوليد بن عبد الملك :

غلب المساميح الوليد سماحة * وكفى قريش المتضلات وسادها

وإذا نشرت له التناء وحدته * ورث المكارم طرفها وبلادها .

وكان يقال لقصى بن كلاب القرشى ولم يسن قريش قبله لحاز قصى

شرف مكة وأنشأ فيها دار الندوة وفيها كانت قريش تقضى أمورها .

ولما جمع قصى قريشا بمكة سمي مجمعا وفى ذلك يقول خذاعة بن

غاتم الجمحى يمدحه :

أبوهم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبانل من قهر .

هم نزلوها والمياه فكيلة * وليس بها إلا كهول بنى عمر .

ويقال : " من أجل تجمع قريش إلى قصى سميت قريش قريشا " .

الفصل الثالث قريبته في النواحي

وتحق دعاء خليل الله إبراهيم فبارك الله في ذريتهما وتوسعت الأسرة الإبراهيمية العربية ، فقد صاهر إسماعيل جرحم .¹
وكانوا من العرب العاربة ، وبارك الله في ذرية إسماعيل حتى كان منه عدنان وتناقلت العرب العدنانية أنسابها وهو أكثر الأنساب العربية صحة وحفظا وتداولاً .

وكثر أولاد عدنان ، اشتهر منهم معدين عدنان وتبع في أولاده مضر .
وتبع من أولاده فهر بن مالك .

وسمى أولاد فهر بن مالك بن النضر " قريشاً " وغلب هذا الاسم على جميع الأسماء فاشتهرت هذه القبيلة بـ " قريش " وأقر أهل العرب كلهم بعون نسب قريش ، والسيادة وفصاحة اللغة ، ونساعة البيان ، وكرم الأخلاق والشجاعة والفتوة ، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشاً ولا جدلاً .²

قصى بن كلاب وأولاده :

ومن أولاد فهد قصى بن كلاب .

وظل أمر مكة لجرحم حتى غلبهم على ذلك خزاعة وكانت سدانة البيت فيهم إلى أن عظم شأن قصى بن كلاب وظهر فضله فانتقلت إليه واقتضت له قريش وأحلوا خزاعة من مكة وتم له أمر مكة ، وكان سيداً مطاعاً ، كانت إليه حجابة البيت وعند مفاتيحه فلا يدخل أحد إلا بإذنه وسقاهم

¹ قيل : إن جرحم كانت أولى القبائل العربية التي أقامت بمكة ، وقد استهواها للمقام هناك وجود ماء لا ينقطع ، وجاء في بعض الروايات أنها كانت هناك قبل أن يترك إبراهيم زوجته هاجر وابنه إسماعيل في هذا الولدى .

² اقرأ للتفصيل السيرة النبوية لابن هشام ق أو كتب السيرة والأئمان

زمزد والرفادة والندوة التي يجتمعون فيها للمشورة ، والرأى واللواء فى الحرب ، فحاز شرف مكة كله .
وتبيل فى اولاده عبد منائف ، وكان هاشم أكبر أبناء والده عبد منائف وكان كبير قومه ، وكانت عنده السقاية والرفادة وهو والد عبد المطلب جد الرسول ﷺ وقد ولى عبد المطلب السقاية والرفادة بعد عمه المطلب بن عبد منائف وشرف فى قومه شرقاً لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .

فيذكر ابن هشام أن قصى بن كلاب هو الذى غلب على أمر مكة وجمع قريش فيقول : قال ابن اسحاق : " فلما كان ذلك العام ، فعدت صوفه كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دين فى أنفسهم فى عهد جرهم وخزاعة وولايتهم . فاتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة " ، فقال : " لنحن أولى بهذا منكم فقاتلوه ، فاقبل الناس قتالاً شديداً ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك " .

قصى يقاتل خزاعة ويغى بكر :

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصى ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فاقبلوا قتالاً شديداً ، حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح وإلى أن يحكموا بينهم رجلاً من العرب ، فحكموا بعمر ابن عوف بن كعب بن عامر بن لبيب بن بكر بن عبد منائف بن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم

أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر : موضوع يشدخه تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة . ففيه الدية موداة ، وأن بخلى بين قصى وبين الكعبة ومكة .
فسمى بعمر بن عوف يومئذ : الشداخ ، لما شدخ من الدماء ووضع منها .

قصى يتولى أمر مكة :

قال ابن إسحاق : " قولى قصى البيت وأمر مكة " ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكود . إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه ذيناً فى نفسه لا ينبغي تغييره ، فأقر آل صفوان وعدوان والنساء ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كله .

فكان قصى أول بنى كعب بن لوى أصاب مكة أطاع له به قومه ، فعانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة ، والندوة : واللواء . فحاز شرف مكة كله وقطع مكة وباعاً بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها .

ويزعم الناس أن قريشاً هتأبوا شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده وأعوانه فسمته قريش . مجعاً لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره ، فما تنكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء كحرب قوم من غيرهم إلا فى داره . يعتقد له بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره . يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها .

فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ، ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها .

قال ابن هشام : قال الشاعر :

قصي لعمر كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر .
قال ابن إسحاق : " حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه " قال :
" سمعت السائب بن ضباب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلا
يحدث عمر بن الخطاب وهو خليفة حديث قصي بن كلاب وما جمع من
أمر قومه وإخراجه خزاعة وبنى بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ،
فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .^١

بنو هاشم :

وكان بنو هاشم واسطة العقد في قريش ، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السير
من أخبارهم وأقوالهم (وهو قليل من كثير جداً) ، اسند لنا به على ما كان يمتاز به
هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة ، والاعتدال في كل شيء ورجاحة العقل وقوة
الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله ، والبعد عن الظلم ومكابرة الحق ، وعلو
الهمة ، والعطف على الضعيف والمظلوم ، والسخاء والشجاعة ، وما تشتمل عليه
كلمة " الفروسية " عند العرب ، من معان كريمة وخلال حميدة ، السيرة التي تليق
بأجداد الرسول الكريم ﷺ وتتفق مع ما كان يفضلهُ ويدعو إليه من مكارم الأخلاق ،
غير أنهم عاشوا في ومن الفترة وسايروا أتباع قومهم ، في عقائد الجاهلية
وعباداتها .

^١ الروض الأنف للهيلى فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ح ١ ص ١٤٧ - ١٤٩ .

الفصل الرابع

مركز مكة الديني

تضرب مكة في القدم إلى إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وهي قصة البلاد الحجازية ولم يكن يأوى أحد قبل إبراهيم وابنه إسماعيل لأنها واد غير ذي زرع اللهم للصالح والهمسوس فقد كانوا يسكنون الحبوب في شمالي مكة ثم جاؤوا إسماعيل وأمه لما أتاح الله لهما بئر زمزم وكان إبراهيم يختلف إليهما من حين لآخر إذ كان يسكن فلسطين ثم أمره الله أن يبني البيت الحرام ويجعله "مصلى" :

" وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ "

الفرء / ١٢٥

" وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَإِنَّا مُتَسَلِّمُونَ وَتَبَّ عَلَيْكَ إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "

الفرء / ١٢٦ - ١٢٩

فلما أتم بناءها أمر الله إبراهيم أن ينادى الناس ليحجوا هذا البيت ويقصدوه بالتعظيم .

" وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيُشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَانِسَ الْفَقِيرَ "

الحج / ٢٧ - ٢٨

مركز مكة السياسي :

كان يحكم مكة الأشراف مجاوروا البيت الحرام وكانوا يتولون خدمة البيت وقاصديه فكاتوا يحكم مركزهم الدينى مهيين فى عين الناس لا تتناول إليهم العيون ولا تتال منهم الظنون لا يحاربون ولا يتحاربون من دخل بلادهم كان أمنا حتى لقد يلقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه وهو بالحرم فلا يرفع له رأسا ولا يضر له شرا احتراماً للبيت للحرام والبلد الحرام لهذا مرع الناس من كل فج إلى مكة يطوفون حول للكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ويقبلون الحجر الأسود حيث يمثلون الطاعة والإقرار بالعبودية لله ويؤدون مناسكهم لمنين مطمئنين وأهمها الوقوف بعرفات وهو أشبه بمؤتمر هام وهناك كاتوا يختلطون ويتزاحمون على اختلاف لهجاتهم وتباين قبائلهم .

مركز مكة التجارية :

لا عجب أن يكون بلد كمكة قبلة للعرب ومفخرهم وملاذهم ومتابيتهم انحرمة فيها لا تقطع والرحلة إليها دائمة لا تمتنع تضرب إليها أباط الإبل يستحثها السوق إليها وتساق إليها القوافل فلا يرثى لها من حضن أو كلاله حتى تصل إلى غايتها لا عجب أن تكون سوق التجارة فيها ناشئة وصفقتها رابحة غير خاسرة وإذا كان رواج التجارة أو كسادها يرجع إلى ما يسمى " بالعرض والطلب " فإن تجارة مكة لا يتطرق إليها الكساد والبوار بل يقم كل من يؤمها للحركة الدائبة فيها ولمركزها الجغرافى الذى جطها بحاجة دائمة إلى مدد غيرها ناهيك بالأنوف التى كانت تفتد إليها من للرحلات المتعددة شتاء إلى اليمن وصيفاً إلى بصرى وخوران وربما ضربوا إلى الحبشة وفارس ، كل أولئك جعل لها مركزا تجاريا ممتازا .

فكانت عنايتها بالتجارة تفوق كل شرفانهم وذو المكاة فيهم يتقدمون صفوف القوافل اللغائية والرابحة بين مكة والبلدان التي لها معها علامة تجارية ولذا أنزل الله فيهم سورة آيات عن حرصهم على التجارة وعنايتهم بها وسميت باسمهم :

" لِيَأْتِيَنَّكَ قَرْيَتَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا طَأْفُورٌ وَأَخْرُجُوكَ مِنْهُمَا نَجْفًا وَأَخْرُجُوكَ مِنْهُمَا بَيْتًا يُحْرَمُ " **سورة النحل: ١٠١**

وقال تعالى :

" أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا لِمَنَا وَيُتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ " **سورة النحل: ١٧١**

وقال تعالى :

" وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهَيْدَىٰ مَتَكَّنْكَ يَتَخَطَفُونَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا لِمَنَا يُحْرَمُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا " **سورة النحل: ١٧١**

وكانوا بحكم مركزهم الديني محترمين لا يتعرض لهم أحد بسوء لسي حلهم وترحالهم فزكت تجارتهم واتسعت مواردهم واشتدت بها عنايتهم .

فما جاء الإسلام أباح التجارة في الحج فليس هناك حرج في ذلك :

" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْفَرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ الضَّالِّينَ "

طبره: ١٩٨/

وكانت أشهر الحج عندهم أشهر حرماً ، يعتقدون فيها أسواقهم التجارية بحاتب البيت وداخل حدود الحرم والناس يهرعون إلى هذه الأسواق ويؤمنونها من جهات الجزيرة البعيدة ليقتضوا منها حاجتهم ، ويترودوا لقومهم ، وقد ذكرت أسواق كانت في مكة يستدل بها على ما وصلوا إليه من مدنية وتطور . منها سوق العطارين ، وسوق الفاكهة ، وسوق الرطب ، وكان مكان للحجامين والحلاقين وكانت رجة واسعة

كانت تباع فيها الحنطة والسمن والعسل والحبوب يحملها التعير من الخارج وكانت اليمامة ريف مكة^١

وكان زقاق للحدانين ، وسوق للبزازين . وكانت لأهل مكة منزهات ينتجعها المكيون في الأمانل ، من شهور القيظ وكانت المتنعمون فيهم يشتون بمكة ويصطافون بالطائف ، وكان كثير من فتيانهم تشتهر بالأناقة في الحياة والتجمل في اللباس وكانت كسوة بعضهم تقوم عينات من الدراهم ولما نشطت الحركة التجارية في مكة ، فكان تجارها يتجولون في بلاد كثيرة من إفريقيا وأميا ، ويحملون من كل بلد ما يستطرف ويستظرف فيها ، وما تستد إليها الحاجة في بلادهم .

فكانوا ينقلون من أفريقيا الصمغ ، والعاج ، والتبر ، وخشب الأبنوس ومن اليمن الجنود والبخور والثياب ، ومن العراق التوابل ومن حاصلات الهند الذهب ، والقصدير ، والحجارة الكريمة ، والعاج وخشب الصندل والتوابل والزعفران ، ومن مصر والشام الزيوت والغلال والأسلحة والحريير والخمور

وكانوا يرسلون إلى بعض الملوك والأمراء ما يستظرف من بضائع مكة وكان من أعجب ما يختار منها الأدم ، وهي الجنود ، كما فعلت قريش حين بعثت إلى النجاشي . ملك الحبشة . عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ، ليستردا من هاجر من المسلمين إلى الحبشة ، فأرسلوا معها من الهدايا ما يستظرف من متاع مكة وكان الأدم .

وكانت من النساء تاجرات ، لهن نشاط في إرسال القوافل التجارية إلى الشام وغيرها ، اشتهرت فيهن خديجة بنت خويلد ، والحنظلة أم أبي جهل يشير إلى ذلك

^١ لذلك لما منع ثمامة بن أثال . سيد بني حنيفة . حمل الحنطة إلى مكة بعد ما أسلم ، جهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يكتب إلى ثمامة يخلى إليهم حمل الطعام . ففعل رسول الله ﷺ (زاد المعارج / ٢٧٧ رواه مسلم في صحيحه) .

قوله تعالى :

" للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن " ن.ا. ٢٧

الالة الاقتصادية والمكاييل :

وهذا فاقت مكة في التجارة وأثرى كثير من أبنائها وتضخمت رؤوس أموالهم ، يدل على ذلك أن عير قريش التجارية التي كانت عائدة من الشام عند غزوة بدر بلغت ألف بعير ، وبلغ المنقول على أئقالهم خمسين ألف دينار .

وكانوا يتعاملون بالعملة الرومانية البيزنطية والعملة الإيرانية الساسانية وكانوا يستعملون الموازين في أسواقهم والمكاييل منها الصاع والمد والطل والأوقية والمنقال ويعرفون من مفردات أئقالهم أنواعا كثيرة وعندهم علم بالحساب اعتمد عليه القرآن في ذكر السهام والقرانض^١

الصناعات والثقافة والآداب في مكة :

ولم تكن للصناعات مكتاة كبيرة عند أهل مكة ، بل كان عندهم نوع احتقار لها ، وتعتبر منها ولم يباشرها في عامة الأحوال إلا الموالى وأبناء العجم إلا أنه قد وجد بعض صناعات كانوا مضطرين إليها ، ومارسها بعض أبناء مكة والعرب ، فقد روى أن حباب بن الأرتث كان قينا يعمل السيوف ، وكانوا يلجأون إليه في صناعة البتار وكان لا بد منه إلى عمال من الروم أو الفرس . وكان منهم كتاب يعرفون الكتابة والقراءة وأن كانت الأمية عالية عليهم ولذلك سماهم القرآن بـ " الأميين " فقال تعالى :

" هو الذي يغث في الأميين رسولا منهم " ن.س. ٢٧

^١ نفس المرجع السابق ١٠١ - ١٠٢ .

وكانت مكة وأهلها مثلاً في الجزيرة العربية في سلامة الذوق والظرف والأناقة شأن العواصم والمدن الرئيسية في كل قطر ، عريقة في الآداب ، أما لغتهم فكانت هي الميزان وهي المرجع وعليها الاعتماد في سائر أطراف الجزيرة ، وكانوا أبلغ العرب وأفضلهم وأصحهم تعبيراً ونطقاً ، وأبعدهم عن الهجئة أو الرطانة وتأثير الاختلاط بالعجم ، وكان حظهم من تناسب الأعضاء واعتدال الخلق والخلق والالتزام وحسن الشارة ، أكثر من النواحي الآخرة حتى كانوا شامة بين الناس يجمعون بين الصفات التي يسمى مجموعها بـ " الفتوة والمرورة " وتغنى بها شعراء العرب وخطبائهم لذلك كانوا أئمة الناس في الشر والخير .

وكان أكثر عنايتهم بالإنسان وأخبارهم ثم بالشعر ثم بالنجوم والأنواء وشيء يسير من الطب يقوم على التجربة ، والتناقل وشيء كثير من حلية الخيل والمعرفة الدقيقة بأعضائها وصفاتها والتفرس بالرجال والخيل وشاعت فيهم طرق للعلاج ، كالكي ، والبتر ، والفصد ، والحجامة وتناول الأدوية .

القوة الحربية :

أما قوة مكة الحربية ، فكانت قريش تؤثر السلم والهدوء في عامة الأحوال إذا تركت ، وشأنها شأن الشعوب والمجتمعات التي أكبر اعتمادها في الكسب والمعاش على التجارة ، ويسير القوافل ، وتنظيم الأسواق ، وتوجه الرواد من كل صوب إلى بلدها ، والتقاءهم التقاء يقيدها إجلالاً دينياً وقائدة اقتصادية ، ويدر عليها الأرزاق الكريمة ، وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله تعالى " "

" فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَتَّهُمْ مِنْ حُوبٍ " قريش / ١٠٣

لذلك كانت قريش ما لم تتحد عقيدتها ولم تثر غيرتها اندينية أو القبلية تؤمن بمبدأ " التعايش السلمى " ولكنها رغم كل ذلك كانت قوة حربية يحسب لها الحساب ، وكانت شجاعتها مضرب المثل ، وكانت مشهورة بانفروسية العربية و " الغضبه المضربه " معروفة فى جزيرة العرب وادابها وأمثالها .

ولم تكتف قريش بقوتها الذاتية فى الحرب ولكنها تستخدم قوة الأخابيش وهم بطون من القبائل العربية الضاربة حول مكة ، من كنانة وخزيمة بن مدركة ، وخزاعة تحالفوا مع قريش ، وكان لقريش عدد كبير من العبيد والموالي ، الذين كانوا يقاتلون فى صفوفها ، فكانت تستطيع أن توجه إلى القتال بضعة آلاف مقاتل وقد استطاعت أن تجمع عشرة آلاف مقاتل فى غزوة الأحزاب ، وهى أكبر قوة حربية عرفها تاريخ الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى ١ .

أنتو هذه الأحوال فى الحقبة أنويشتر :

مركز مكة الدينى والمياسى والتجارى الذى رفعها إلى مقام الزعامة فى الأمة العربية جعل للفتها الزعامة على لغات العرب أيضا فالعرب الذين كانوا يؤمنون مكة فى المواسم ويختلطون بأهلها ثم يتقلبون إلى ديارهم والخائفون الذين كانوا يلجئون إلى حمايتهم فيكون لهم فيها الملاذ الأعلى والحمى المنيع والتجار الذين كانت تسبل بأعناق مطيهم الأباطح غادين رانحين كل أولئك ما كانت مهنتهم لتقتصر على ما إليه قصدوا بل كانوا فوق ذلك يتخرجون فى مدرسة مكة اللغوية فتتصف أسنتهم وتصل لهجاتهم وتتهذب لغتهم فإذا ارجع أولئك البعوث إلى أقوامهم رجعوا بفضل كبير وتجديد فى لغتهم عظيم ذلك أن لغة مكة كانت هى

^١ السيرة النبوية للندوى / ١٠٦ & ١٠٧ .

المثل الأعلى للغاتهم لما علمت من مكاتنها الدينية والسياسية والتجارية تلك المنزلة التي مكنت لأهلها أن يختلطوا بكل القبائل فيأخذوا أحسن ما عندهما من الفاظ فيها كثير من الحوش أو المبتذل أو الغريب الذي يكدر لغتهم ويجهد خاطر .

هذه العملية عملية المحو والإبادة في لغة قريش أو عملية التهذيب والتصنيع المتكررة جعلتها سهلة المنطق خفيفة على السمع حسنة الجرس فكانت المثل الأعلى للغات العربية وكانت لها عليها فضل الأستاذية فلا عجب أن كانت هذه المنزلة في الجاهلية مرشحة لها أن تكون سيده اللغات في الإسلام نزل بها القرآن الكريم فجعلها لغة الدين والطم إلى اليوم .^١

كبرى مدن الجزيرة وعاصمتها الروحية والاجتماعية :

وبهذا المركز الديني والمكاتب الاقتصادية وقيادة النشاط التجاري والتقدم في المدنية والآداب أصبحت مكة كبرى مدن الجزيرة العربية وبدأت تنافس صنعاء اليمن في زعامة الجزيرة بل إنها تفوقت عليها بعدما حدث باليمن من استيلاء الحبشة عليها وتملك الفرس لها في منتصف القرن السادس المسيحي وفقدت مملكة الحيرة ومملكة غسان الشيء الكثير من العظمة والأبهة ، فأصبحت مكة بعد ذلك كله هي عاصمة جزيرة العرب الروحية والاجتماعية من غير منافس ولا مشارك .^٢

^١ مجلة منبر الإسلام - للعدد ١٢ لسنة ٢٢ ذو الحجة ١٣٩٤ هـ سبتمبر ١٩٧٤ م .

^٢ السيرة النبوية للدوي - ١٠٧ .

العباب الثالثة

"مكانة البيت الحرام"

إن بيوت الله موطن الشرف والخير والبركة ومعانق العبادة والقداسة والكمال ومعاقد الإضعاغ والمرحلة الواجبات المخلوق تجاد خالقه ثم نفسه .

والبيت الحرام في مكة المكرمة هو مركز الطاء في كل ما عرفت البشرية منذ القدم وما يجب أن تعرفه وتتم به من توحيد الله والإيمان به والوقوف على منهجه الحق في معاشها ومعادها وما يرسمه لها في حياتها صلوات وعلاق وأهداف ووسائل وعقائد وشرائع وأخلاق وسلوك ووظائف ومهام ...

من حيث كان البيت العتيق مثوى الإيمان ومثابة الوحي الذي طالما تنزل في رحابه وترد في أرجانه وتمثل في مناسكه ومشاعره آيات مباركات وصلوات خاشعات وطواف دانم ومسعى دانب ووقوف رانع باهر ومن ثم كان طبيعياً أن يهين الله لهذا البيت المعظم من يرفعون بنيانه ويتعهدونه بالتجديد والتحسين والتوسعة والإضافة والصيانة والرعاية اللاتقة به حسبما تقتضيه ظروف كل عصر من الإمكانيات والطاقت البشرية والمادية وما وصل إليه العجم في مجالات العمارة والهندسة والفن .

وما كان لأصل الإيمان أن يدخروا في ذلك وسعاً سيما وأن البيت العتيق يحتل من ذواتهم مكانة في القلوب وقداسة وجلالاً واحتراماً وحباً .
وإذا تأملنا قوله تعالى :

" وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً " سورة / ١٢٥

ترى أن الله سبحانه وتعالى قد جعل البيت محلاً لتشتاق إليه النفوس
وتحن إليه القلوب استجابة لدعاء الخليل إبراهيم عليه السلام عندما عاربه
قائلاً :

" فاجعلُ أفئدة من الناس تهوي إليهم " ر . د

وقد ورد في فضل الصلاة في المسجد الحرام أن رسول الله
قال :

" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الأقصى " (١)

وقال صاحب تفسير المنار : " قوله تعالى :

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا " نورة / ١٢٥

المعنى وأذكر أيها الرسول أو أيها الناس

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا " نورة / ١٢٥ أى إذا أمن بأن
خلقنا بما لنا من القدرة في قلوب الناس من الميل إلى حجة والرحلة إليه
المرّة بعد المرّة من كل فج وصوب ..

يذكر الله تعالى - العرب بهذه النعمة أو النعم العظيمة وهي جعل
البيت الحرام مرجعاً للناس يقصدونه ثم يثوبون إليه وأمننا لهم في تلك
البلاد التي يتخطف الناس فيها من كل جانب .

ويدعوة إبراهيم عليه السلام للبيت وأهله المؤمنين وفي هذا التذكير
ما فيه من الفائدة في تقرير دعوة النبي عليه السلام وبيان بنائها على أصول
ملة إبراهيم الذي تحترمه قريش وغيرها من العرب وقد اختار المثابة
على القصد والمزار لأن لفظ المثابة يدل على القصد وزيادة فإيه لا يقال :
ثاب المرء إلى الشيء إلا إذا كان قصده أولاً ثم رجع إليه ..

١- منق عليه

وكذلك جعله امنا معروفا عندهم فقد كان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يزججه على ما هو معروف عندهم من حب الانتقام والتفاخر بأخذ الثأر.

وهذا البيت الحرام له في نفوس المؤمنين مكانة لا يعبر عنها ، وقد اشار الله عز وجل في آيات أخرى غير التي ذكرناها مثل قوله تعالى في سورة المائدة :

"جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْيَدْيَ وَالْقَلْبَانَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "

المائدة / ٩٧

أى جعل الله الكعبة التي هي البيت الحرام تقويماً لأخلاق الناس وإصلاحاً لما فسد من طباعهم وهداية لهم إلى طريق الله المستقيم .

* نصح اشاع ح ١ / ٤٦٠ وما بعدها تصرف .

الفصل الأول

صفات البيت الحرام

لقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا البيت الذي أمر الناس بالحج إليه بجملة من الصفات الكريمة منها :

① **البوكة** : وهي كثرة الخير الدائم والنماء ، فبركة البيت تعم من حجة أو اعتمره أو اعتكف فيه ، أو طاف حوله .. فمن بركته المادية قدوم الناس إليه من مشارق الأرض ومغاريها ومعهم خيرات الأرض يقدمونها على سبيل الصدقة تارة أخرى لمن يسكنون حول هذا البيت الحرام المبارك ، إجابة لدعوة سيدنا إبراهيم التي حكاها لنا القرآن :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ "

إبراهيم / ٣٧

• ومن بركته المنوية أنه مكان لأكبر عبادة جامعة للمسلمين وهي فريضة الحج ، وإليه يتجه المسلمون في صلاتهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكنهم .

② **هدى للعالمين**

وقد وصف الله عز وجل البيت بأنه هدى للعالمين - هو بذاته مصدر هداية للعالمين - فهو قبلتهم ومنتجدهم في استقباله توجيه للقلوب والعقول إلى الخير وإلى ما يوصلهم إلى رضا الله سبحانه وتعالى وجنته .

③ **آيات بيّنات**

ويقول سبحانه في شأن البيت الحرام : " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ .. " أي أن في هذا البيت علاقات ظاهرات ، ودلائل واضحات تدل على شرف منزلته وعلو

مكاته من هذه الآيات والدلائل مقام إبراهيم وهو الموضع الذي كان فيه إبراهيم عليه اسلام تجاهد الكعبة لعبادة الله تعالى وإتمام بنانه .

○ الأمان والأمان:

ويضيف القرآن في صفات هذا البيت الحرام وشرفه أن من دخله كان آمنا على نفسه وعلى عرضه وعلى ماله من التعرض له بالأذى أو القتل .. قال تعالى : " أولم يروا أنا جعلنا حراما آمنا ويتخطف الناس من حواشيهم "

شمسوت / ٦٧

وقال تعالى : " ليلابن قريش إيلافهم رحلة الشتاء والضيف فليضيؤوا رباً هذا البيت الذي أطعمهم من جوع ولمنهم من حوَّاب " قرين / ١٠١
ولا شك في أن هذه الصفة لهذا البيت - هي أمن من دخله على علو مكاته عند الله حيث جعله سبحانه " مثابة للناس وأمنا " سورة / ١٢٥
بِ الْحَجِّ إِلَيْهِ :

وقد أوجب الله ﷻ على المسلم أن يحج إليه بشرط القدرة والاستطاعة فقال ﷻ :
" وإله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين "

أي أن الله تعالى فرض على الناس أن يحجوا بيته في أوقات معينة وبكيفية مخصوصة ، متى كان في استطاعتهم ذلك ﴿ومذبحهم﴾ أي جدد فريضة الحج وأكراها ولم يؤدما مع استطاعته على الأداء فإن الله غنى عن حجه وعن الناس جميعا .

وقد توارثت الأحاديث النبوية الشريفة التي تأمر المسلمين بتأمين من يكون بالبيت الحرام أو بالأماكن التي جعلها الله تعالى حراما آمنا ..

ومن هذه الأحاديث ما جاء في الصحيحين عن أبي شريح أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث إلى مكة لقتال عبد اله بن الزبير : " إنذن لي

يا ايها الأمير ان احثك قولاً قال به النبي ﷺ عند فتح مكة سمعته
أذناى ووعاد قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ..
انه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله وأثنى عليه ثم
قال :

" إن مكة حرمها الله وأثنى عليه ثم قال : " إن مكة حرمها الله ولم
يحرّمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً
أو يقطع بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها أى أخذ فيها
بالرخصة فقولوا له : أن الله أذن لنبيه ولم يؤذن لكم وإنما أذن لى فى
ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس " .
هذا جانب من حديث القرآن عن البيت الحرام وهو حديث يعنى من
شأن هذا البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً كما جعل الناس تحت
سقفه متساويين سواء من كان منهم يقيم بداخله أو حوله أو من كان
منهم ياتيه من مكان بعيد .

قال تعالى :

" إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى
جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه
من عذاب أليم " الحج / ٢٥

الفصل الثاني قريش والبيئة الحرام

كان من يقيمون منازلهم بعيدا عن البيت الحرام إجلالا باتييت ومهابة من السكنى بجوارده حتى عادد قصى بنى كلاب حين حث الناس على السكنى بجوارده وأذن لهم بذلك حتى لم يبق حول البيت إلا دفعة صغيرة عرفت بالمطاف ، وكانوا يبنون بيوتهم من أشكال مستديرة حتى لا تشابه بناء الكعبة جاعلين بين كل دارين طريقا يؤدي إلى دائرة المطاف .
وذكر أن قصى قطع مكة رباعا " الدور وما حولها " وإن أهلها هابوا قطع شجر الحرم للبنيان .

وقال الواقدي : " الأصح فى هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى : " كيف نمنع فى شجر الحرم ، فعذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون فى منزله قال : " فأول من ترخص فى قطع شجرة الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين أتانى دورا بقرية ، لكنه جعل دية كل شجرة بقرة " ١

تقسيم خدمة البيت :

وفى عهد قصى تشقق بناء الكعبة فأعاد بنائها وبنى دار الندوة ليجتمع فيها كبار القوم للتشاور فيما يهمهم تحت إشرافه وهو الذى رتب وظائف الكعبة وحدد مدلولاتها وهذد الوظائف هى :

١ الروض الأمت للهيولى ج ١ / ٥٢ .

السقاية:

كان الماء عزيزا بمكة بعد روم وبنر زمزم ، فكان من ميل السقاييا يحضر الماء من أبار بعيدة ويضعه في حياض ويحليه بئى، من التمر و"زيب ليشرب منه الحجاج .

* الرفادة وإطعام فقراء الحجاج:

وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى ابن كلاب فيصنع به طعاما للحجاج قياكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصى فرضه على قريش فقلل لهم حين أمرهم به : " يا معشر قريش إنكم جبران الله وأهل بيته وأهل الحرم وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم فكاتوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ثم جرى فى الإسلام إلى يومنا هذا فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .^٢

* اللواء:

الدعوة إلى الحرب يرفع راية فوق رمح ويتبعها قيادة الجيوش .

^١ أعز عبد المطلب حفرها فيما بعد .

^٢ ابرووس الألف للسهلى ج ١ / ٥٢ .

الحديث:

و هي خدمة الكعبة المشرفة وتولى مفاتيحها وبعد قصي اتقت وظائف الكعبة إلى بنه عبد الدار لكبر سنه مع ان عبد مناف بن قصي كان اعظم منه ذكرا وأعلى شأنا بين أئداده ، ولذلك نجد أبناء عبد مناف يريدون أن يأخذوا لأنفسهم هذه الوظائف من أبناء عبد الدار ، وبغضهم إلى أبناء عبد مناف وأوشكت أن تقع بينهم حرب طاحنة لولا نجاح بعض المساع التي وزعت هذه الوظائف بين هؤلاء وأولئك .

فأعطت السقيا والرفادة لأبناء عبد مناف وأعطت الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار وتولى هاشم بن عبد مناف حينذاك السقيا والرفادة وتولاها بعدهم أخوه المطلب ثم عبد المطلب بن هاشم وفي عهد عبد المطلب عز شأنه وزاع سيطه وأصبح مرجع كل الأمور بمكة المكرمة .. وبخاصة بعدما حضر عبد المطلب (طيبة) أو زمزم بعد أن رأى ذلك في المنام .

الفصل الثالث حدود الحرم المكي

ما من شك أن لكل حما حدودا تحدد وعلامات تفصله عن غيره ، ومن هنا كان حما الله تعالى أحق بذلك وأولى فقد روى أن جبريل عليه السلام أخذ بيد إبراهيم عليه السلام وأوقفه على حدود الحرم فنصب عليها خليل الرحمن عليه السلام علامات تعرف بها .

قال محب الدين الطبري : " عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الله قال : " نصب إبراهيم أنصاب الحرم بربه جبريل عليه السلام " .

ثم لم تحرك حتى كان قصي فجددها ، ثم لم تحرك حتى كان النبي ﷺ فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجددها ، ثم لم تحرك حتى كان عمر رضي الله عنه فبعث أربعة من قريش : فحرمه ابن نوفل وسعيد بن يربوع ، وحويط بن عبد العزى وأزهر بن عبد عوف فجددوها ثم جددها معاوية ، ثم أمر عبد الملك بتجديدها .. وبيان هذه الحدود على النحو التالي :

* من جهة الشرق (الجعرانة) على بعد ستة عشر كيلو مترا من المسجد الحرام.

° ومن جهة الغرب مع ميل قليل إلى الشمال (من جهة جدة) (الحديدية) وتسمى الشمس على بعد خمسة عشر كيلو مترا ° ومن جهة الشمال الشرقي ناحيه العراق (وادي نخلة) على بعد أربعة عشر كيلو مترا . ° ومن جهة الشمال (التنعيم) على طريق المدينة على بعد ستة كيلو مترات .

° ومن جهة الجنوب (أضاه) على طريق اليمن على بعد اثني عشر كيلو مترا .

الفصل الرابع البيعت الحرام في ظل الإسلام

تعتبر الفترة الأولى من مولد الإسلام ضعيفة الصلة ببيت الله الحرام حيث كان المسلمون متضهدين ولم يكن لهم صلة بالمسجد الحرام إلا في مرات معدودة حيث كانت تعبد فيه الأصنام والأوثان .. وكان رسول الله ﷺ يصلى بالمسجد الحرام في بعض الأحيان وكان يتعرض للإيذاء والمضايقات من قبل المشركين . وكذلك كان بعض المسلمين يبلغون القرآن الذي ينزل بعضه أو آيات منه وكانوا يتعرضون بسبب ذلك للإيذاء الشديد والضرب في كثير من الأحيان كما حدث لعبد الله بن مسعود وغيره .. فلم تكن هناك أي فرصة في هذه الفترة للصيانة أو التوسعة أو الترميم .

توسعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٧ هـ

بعد أن دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً طاف حول البيت الحرام وكان يحاط بالأصنام من كل اتجاه فجعل النبي يشير بقضيب في يده إلى الأصنام قائلاً :

” جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ” وتم تطهير البيت الحرام وما حوله من آثار الشرك .

وما كان حول البيت حائطاً حتى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العام السابع عشر من الهجرة إزداد عدد المسلمين وضاق المسجد بالمسلمين فاشترى رضي الله عنه المنازل المجاورة حول المسجد

وهدمها وضم مساحتها إلى المسجد الحرام . ويعد بذلك أول من قام بتوسعة المسجد الحرام وأول من اتخذ له جداراً .
وذكر ابن جرير الطبري ، وابن الأثير الجوزي في تاريخهما أن زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبعة عشرة من الهجرة .^١ فقد دهم المسجد سيل يعرف بسيل (أم نهشل) وهي امرأة جرفها ذلك السيل فسمى باسمها واقتلع السيل فقام إبراهيم وجرفه أسفل مكة فرحل عمر من المدينة ليقيم على الأمر في رمضان عام ١٧ هـ وأعاد المقام ، واشترى المباني المجاورة ووسع المسجد ثم بنى سورا بطول القامة وشق فيه أبواباً ووضع مصابيح فوق حائط المسجد ثم وسعه ثانياً .^٢

توسعة عثمان بن عفان :

زيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد جعل فيها للمسجد رواقاً مسقوفاً وتلك أول مرة يسقف فيها المسجد وكان ذلك سنة ست وعشرين للهجرة .

^١ تاريخ تنقيح المسمى (كتاب الأعلام بيت الله الحرام) نضف الدين الحنفي ، ٩٨٨ هـ .

^٢ حريدة السلطان سنة ١١١٠ هـ (٥٧٢) .

الفصل الخامس العصر الأموي (٤١ - ١٣١ هـ)

توسعة عبد الله بن الزبير ١٧ رجب ٦٦ هـ

وفي عام ٦٤ للهجرة بنى عبد الله بن الزبير رُفِدَ عنبها الكعبة وأعاد إصلاح وترميم المسجد ...

بعد الفتنة التي حدثت بينه وبين بنى أمية وبعد المعارك التي احتدمت بينه وبين يزيد بن معاوية ، اشتعلت النيران بالكعبة وقد رمى البيت العتيق بالمنجنيق فأصاب الكعبة وكسوتها فاحتترقت وتصدعت حيطانها .. وبعد انتهاء الحصار الذي تعرضت له مكة ، باء ابن الزبير بإزالة الأحجار التي أنقبت في الكعبة ثم أمر بهدم البناء الذي لم يبق من أصله إلا القليل ، وكان الحجر الأسود قد كسر إلى ثلاثة أجزاء فضم ابن الزبير أجزاء داخل إطار من الفضة وأودعه في مكان البيت ثم أعاد بناء الكعبة على أساس إبراهيم فازداد طولها من ١٨ - ٢٧ ذراعاً وقد ركب ابن الزبير بابين طولهما أحد عشر ذراعاً أحدهما في الجانب الشرقي لدخول الكعبة والآخر في الجانب الغربي للخروج منها وقد طينت الجدران من الداخل والخارج بالمسك وكسيت الكعبة بقماش قبضي من الحرير (قباطي) ...
ومن الأحجار الزائدة المتبقية أنشئ حول الكعبة مسار دائري عرضه عشرة أذرع وقد وسع الجدار الذي كان يحيط بالحرم رمت الجدران الموجودة واستخدمت الأروقة التي سقفت بالخشب .

توسعة الحجاج بن يزيد سنة ٧٥ هـ.

وفى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان تم تجديد سقف المسجد وإضاءة ما بين الصفا والمروة وقد استأذن الحجاج الخليفة عبد الملك بن مروان فى بناء الكعبة فأذن له وهدم الحجاج كل البناء الذى أقامه ابن الزبير وأعاد بناء الكعبة منقصة حولها سبعة أذرع وقسم وجه المبنى إلى ثلاثة

أقسام الكعبة :

كان القسم السفلى يشتمل على الباب ، أما العلوى فكان يحتوى على أربعة نوافذ من الممر فهى جاونبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامى بناء الحجاج

وفى العهد الأموى بدأت ظاهرة وقف العبيد على خدمة الكعبة وتدوير الصفوف للصلاة حول الكعبة وفى عام ٧٥ هـ أمر عبد الملك بن مروان بتزيين رؤوس الأعمدة بالذهب وأضاء الشارع الواقع بين الصفا والمروة وأقام ثلاث سدود لتخفيف ضغط السيل على مكة والمسجد الحرام .

توسعة الوليد بن عبد الملك بن مروان عام ٩١ هـ

وفى سنة ٩١ هـ قام الوليد بن عبد الملك بن مروان بتوسعة أخرى للمسجد الحرام ونقل إليه أعمدة الرخام وسقف الأروقة من مصر وسوريا وبرز من العمارة فى العهد الأموى حين أقام رجاله الأبنية الفخمة المشيدة بالأحجار المنحوتة والرخام وزخرفوه بأبداع الزخارف الملونة بواسطة المواييك وهو ذات الأسلوب الطبقي فى زخرفة المسجد الحرام كما رمم الكعبة بعد سيل جارف أصابها ووسع رقعة المسجد وحدد البناء وأقام سقفا على أعمدة بكرمات من خشب الساج المزخرف كما أدخل الفسيفساء الزجاجى والبواكى الرخامية والميازيب المموهة وفتحات الشرفات ..

الفصل السادس

العصر العباسي (١٣٣ - ٦٤٦ هـ)

وعد ما ذهبت دولة الأمويين طراً تغيير شديد على الفن المعماري في ظل الدولة العباسية التي تأثرت بالنفوذ القارسي وظهرت أبنية البواكي ذات الأربعة محاور كشكل جديد في البناء إلى جانب استخدام مادة (القرميد) اللامع وظهور الأقواس على الأبنية ...
ولما حج الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة (١٣٧ هـ) اشترى بعض المنازل حول البيت لتوسعته وكانت الزيادة في الشق الشمالي والغربي ولم يزد في الجهة الجنوبية ولا الشرقية ، وأحدث رواقاً في صحن المسجد وبنى على فوهة زمزم شباكاً لمنع السقوط فيه وقرش الأرض بالرخام .

توسعة محمد المهدي (١٦٠ - ١٦٤ هـ)

وحينما حج المهدي عام ١٦٠ هـ قام بتوسيع المسجد الحرام وعمر بنازاته ونصب حجر المقام وأنشأ قبتين بجوار زمزم ، واشترى البيوت الواقعة بين المسجد الحرام والمسعى وهدمها وأضاف مساحتها للمسجد وقام بنقل أعمدة الرخام من الشام ومصر ثم زاد في مساحته مرة أخرى عندما رأى أن الكعبة لا تتوسط المسجد ليصبح إجمالي التوسعة في عهد (١٢٠ ألف ذراعاً) أي ٣,٤٤مترًا مكعباً وأعدته ٤٨٤ أبوابه ٢٣ باباً وارتفاع جدرانه ١٨ ذراعاً .
وفي عهد الرشيد أنشأت مظلة للمبلغيين فوق سطح المسجد .
وفي عهد الواثق اتخذت الأعمدة من نحاس ..

ثم قام المعتمد على الله في سنة ٢٧١ هـ بإعمار ترميم .
أما الخليفة أبو العباس المعتضد بالله فقد قام بتوسعة المسجد وجعل
أبوابه إثني عشر باباً والبناء القديم الحالي هو انبناء المهدي غير زيادتين
يسيرتين وهما العامة (دار الندوة) في عهد المعتضد .
وزيادة ما يلي باب إبراهيم بأمر الخليفة المقتدر عام ٣٠٦ هـ .
وفي سنة (٣٢٠ هـ) أضاف المقتدر بالله تحسينات وساحات عند باب
إبراهيم .

العصر المملوكي (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ)

تمت أعمال ترميم على أثر ما كانت أحدثته السيول في عام ٧٧١ هـ
وأعاد السلطان الأشرف شعبان ، عمار إحدى مآذنه بعد أن تهدمت على
أثر السيول .
وقام السلطان الناصر برفوق عام (٧٠٢ هـ) بإعادة بناء بعض الأعمدة .
أما للسلطان يرسباي فقد قام بتعمير وإصلاح أبواب المسجد .
ولقد احترق جزء من المسجد الحرام عام ٨٠٢ هـ وأعيد إصلاح وبناء
الجزء الذي تهدم في عهد المماليك حكام مصر وبمعرفةهم .

العصر العثماني

وقد تم تجديد المسجد الحرام على مساحة المهدي في عصر السلطان سليم العثماني ٩٧٩ هـ واختار سنان باشا والي مصر أحمد بك كتحدا للقيام بمهمة تجديد عمارة المسجد الحرام وقد استكمل العمل في عهد مراد الثاني ابن سليم باشا حيث انتهت أعمال الترميم والتجميل في عام ٩٨٩ هـ وفي عهد السلطان مراد خان .

وكذا بقيت رقعة المسجد الحرام عند توسعة الخليفة المهدي سنة ١٦٠ هـ على ما هي عليه سوى الزيادتين في عهد الخلفتين المعتضد والمقدر حتى كان الحكم السعودي المبارك كما ستري .

الفصل السابع

البيعت الحرام والأسرة السعودية (آل سعود)

كان لأسرة السعودية آل سعود باع كبير فى الحفاظ على بيت الله الحرام وعمارته وتطويره وتوسيعه .. حيث بدأ العمل فى تطوير بناء الحرم المكى الشريف مع بداية شهر شعبان عام ١٣٦٨ هـ أى بعد نحو ١٢٠ عام من توسعة المهدي .

أعلن الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود للعالم رغبته فى توسعة الحرمين فكانت التوسعة الأولى التى رعاهما هو وأبنائه من بعده سعود وفيصل .

وكانت أولى الأعمال التنفيذية حفر أثار الجدار الخارجى بحيث يصعب المسعى داخل سور المسجد وتضيق على الحقيقة هى بداية مرحلة جديدة فى تاريخ هذا البناء منذ التوسعة الأخيرة التى تمت فى عهد الخليفة الصاسى المشكدر بالله منذ ما يقرب من ألف ومائة سنة ...

وتوسعات أخرى فى عهد الملوك النابيين حيث تم إنشاء طابق علوى للمسعى بارتفاع تسعة أمتار وإنشاء حاجز طولى ذى اتجاهين وتخصيص مسار مزدوج للعجزة وغير القادرين وإنشاء ستة عشر بابا على امتداد الواجهة الشرقية للمسعى بالإضافة إلى مجارى لتحويل مجرى الميول وقد حظى سطح المسجد باهتمام كبير حيث تم عمل قمم معدنية جميلة

(٥٢) لاحتواء المعدات للكهربائية (بأدوارها الأربعة)

(البدوم - والأول - والثانى - والسطح) وقد بلغت المساحة الإجمالية

بعد أعمال التوسعة ما يزيد عن ٣٦,٠٠٠ م^٢ بعد أن كانت ٢٨,٠٠٠ م^٢

وروعى فى وضع خطط للتوسعة أن تكون قابلة للتطوير والزيادة .

وبهذه المرحلة قد بدأت مشروعات التوسع فى الميادين وانظرق والإقامة فى البلد الحرام ..

واستمر التجديد ٢٣ سنة كاملة شيدوا خلالها القسم الخاص بالسعى بين الصفا والمروة فوق الممر التاريخى لهاجر عليها السلام وأقيم الهيكل الخرسانى للمبنى ثم قاموا بحفريات بالمنطقة وتبين أن أرضية التحميل الطبيعى تقع على عمق أربعة أمتار فقط من مستوى الأرض .. فعملوا على توسيع منطقة المطاف بأسلوب هندسى متقدم ووضعوا السلالم الرخامية الحالية لبنى زمزم .

فى عهد الملك فيصل بن عبد العزيز

وفى عام ١٣٨٧ هـ أى عام ١٩٦٧م ، اهتم الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز بالتطوير والتوسع وبناء الميادين ، ومحال التجارة كما شق لها الطرق الجديدة وأنشأت البوابات الثلاثة الرئيسية ، وأكتمل الشكل الهندسى للمسجد الحرام وأصبح من روائع الهندسة المعمارية الإسلامية فوق الكرة الأرضية ، كما أصبحت مكة المكرمة صورة متقدمة للإجازات الفنية الحديثة على المستوى العالمى التى اكتملت فى عهد الملك الراحل خالد .

الملك فهد بن عبد العزيز

على الرغم من التوسعة السعودية السابقة فبان المسجد الحرام بات فى حاجة إلى توسعة أخرى وذلك بسبب الازدياد المستمر فى أعداد المصلين

والزائرين فبيت الله الحرام يزخر على مدار العام بملايين الحجاج والمعتمرين يملأون جنباته وساحاته ويعمرونه أثناء الليل وأطراف النهار وتزداد أعداد المسلمين إلى الذروة وأثناء الحج والعمرة الرمضانية فتضيق مساحة الحرم على سعتها بالمصلين والطائفين والعاكفين وتكتظ الساحات الخارجية والممرات والطرق بأفواج الحجاج والمعتمرين والمصلين مما يسبب المشقة والعناء بضيوف الرحمن

فبعد مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ملكاً على المملكة العربية السعودية في ٢١ شعبان عام ١٤٠٢ هـ

(١٣ يونيو ١٩٨٢ م) كان شغله الشاغل توفير الرعاية لحجاج بيت الله الحرام وزواره ، وقد شعر أن المسجد في حاجة ماسة إلى توسعة ، فأمر بتوسيع المسجد الحرام جهة الغرب ٧٦٠٠٠ م ٢م ليبلغ استيعاب المسجد بكامل توسعته أكثر من مليون مصلٍ دفعة واحدة ووضع حجر الأساس يوم الثلاثاء ٢ صفر ١٤٠٩ هـ (١٣ سبتمبر ١٩٨٨ م) .

تضمن مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة وعمارة الحرم المكي الشريف إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد الحالي من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبد العزيز تبلغ مساحة أدوار هذا المبنى حوالي ٧٦,٠٠٠ م ٢م موزعة على الدور الأرضي والدور الأول والقبو والسطح تتسع لحوالي ١٥٢,٠٠٠ مصلٍ .

كما يشمل مشروع تجهيز الساحات الخارجية وتبليطها بالرخام الأبيض ومنها الساحة المتبقية من جهة السوق الصغير والساحة الواقعة جهة الشامية والساحة الواقعة شرقي المسعى بمساحة إجمالية تبلغ ٨٥٨٠٠ م ٢م يكفي لاستيعاب حوالي ١٩٠,٠٠٠ مصلٍ ، وبذلك تصبح مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد التوسعة الحالية والأسطح وكامل الساحات حوالي ٣٥٦,٠٠٠ م ٢م تتسع لحوالي ٧٧٣,٠٠٠ مصلٍ أمّا في

أوقات الذروة فيتمتع الحرم والتوسعة مع الساحات المحيطة به لأكثر من مليون مصلى .

المدائل والمآذن

يضم مبنى التوسعة مدخلا رئيسيا وثمانية عشر مدخلا عاديا .
وقد روعى فى التصميم إنشاء مدخلين جديدين للقبو إضافة إلى المدائل الأربعة الموجودة من قبل
يشمل مبنى التوسعة منذنتين جديدتين بارتفاع تسعة وثمانين مترا تتشابهان فى تصميمهما المعماري وفى المواد المستخدمة مع المآذن السبع القائمة من قبل .

حديقة المصلين

وتسهيلاً للوصول أفواج المصلين إلى سطح التوسعة فى المواسم ، تم إضافة مبنيين للسلام المتحركة إحداهما فى شمالى مبنى التوسعة والأخر فى جنوبه تبلغ مساحة السلم المتحرك الواحد ٣٧٥ متر وطاقته الاستيعابية ١٥,٠٠٠ شخص فى الساعة ، علاوة على مجموعتين من السلام المتحركة على جانبي المدخل الرئيسى للتوسعة وبذلك يصبح إجمالى عدد مباني السلام المتحركة الكهربائية بمبنى التوسعة ٥٦ ملما وهى منتشرة فى محيط الحرم والتوسعة الجديدة وكذلك يحتوى المبنى على مصعدين كهربائيين رئيسيين ومصعدين داخل المآذن ومصعدى خدمة إضافة إلى ثمان وحدات سلام داخلية .

الأمدة الرخامية والواجبات

تتوسط مباني التوسعة أمدة رخامية مزخرفة ذات أشكال هندسية رائعة يبلغ - ٥٠ ها في كل طابق من طوابق التوسعة ٤٩٢ عمودا تحمل الطوابق والأسطح العلوية ، منها أمدة مستديرة وأخرى مربعة ذات قواعد سداسية يكسوها الرخام الأبيض الناصع أما الواجهات الخارجية الرخامية والتي يبلغ ارتفاعها ٢٢,٦٠ مترا ، فهي محلاة بالزخارف ومكسوة بالرخام والحجر الصناعي مع تناسق وتجانس شديدين مع الواجهات الأصلية لمبنى الحرم ، ويأتي هذا الارتفاع نتيجة لأن الطابق الأرضي والأول يصل ارتفاع كل منهما حوالي عشرة أمتار خلاف انبدروم الذي يصل ارتفاعه إلى حوالي أربعة أمتار ، وقد تم إنشاء ثلاث قباب في منتصف سطح التوسعة ترتفع كل منها إلى ١٢ متر .

الأبواب

وقد روعي أيضا تتطابق الأبواب الخارجية والنوافذ في التوسعة الجديدة مع ما تم من أعمال في التوسعة السابقة ، حيث استخدم الألومنيوم الأصفر المخروط والمشربيات في صناعة النوافذ وصنعت الأبواب الخارجية من الألومنيوم المتجانس مع الأبواب الأصلية للحرم ، وللمسجد ما يزيد على اثنين وعشرين بابا منها ثمانية في الشمال وهي :
(باب الدريبة - باب الحكمة - باب الزيارة - باب القطبي - باب الباسطة
باب الزمامية - باب عمرو بن العاص)

ومن حصة الجنود سبعة أبواب وهي:

(باب أم هاني - باب العجلة - باب الرحمة - باب حياء - باب الصفا - باب بنى مخزوم - باب يازان) .

ومن الجهة الغربية ثلاثة أبواب وهي :

(باب العمرة - باب إبراهيم - باب الجرورة)

ومن الحصة الشوائية أربعة أبواب وهي:

(باب بنى هاشم " أو باب علي " - باب العباسي - باب النبي - ثم باب السلام " وهو أول باب يدخل الحاج منه عند طواف القدوم ") .

وقد روعى في التوسعة السعودية الأولى الإبقاء على أسماء أبواب المسجد القديمة ومواقعها مع زيادة جديدة في هذه الأبواب بحيث أصبح إجمالي عدد الأبواب واحداً وخمسين باباً ، ما بين كبير وصغير ، منها

ثلاثة أبواب رئيسية هي:

(باب الملك عبد العزيز & باب العمرة & باب السلام) وتعلو كل من هذ الأبواب منارتان ارتفاع كل منهما (٩٢) متراً وعرض قاعدتها ٧ X ٧ أمتار وفي أعلى كل منارة هلال مع قاعدته بارتفاع خمسة أمتار وستين سنتيمتراً وهو مصنوع من البرونز المطلي بالذهب الخالص ، أما للمنارة المسابعة فهي فوق باب الصفا وجوارها سطح مقبب مستدير تطوه من الخارج قبة قطرها ٢٥ متراً وقد زين داخلها بآيات من القرآن الكريم ولها هلال مماثل للأهلة الأخرى .

كما أقيم بجوار كل من الأبواب الثلاثة الرئيسية سبيلان لسقيا الحجاج من ماء زمزم مباشرة لتخفيف الزحام عن بئر زمزم .

ويضم مبنى التوسعة الجديد مدخلًا رئيسياً جديداً و (١٤) مدخلاً فرعياً ومدخلين للطابق تحت الأرض (البدروم) إضافة إلى المداخل الحالية

وهى ثلاثة مداخل رئيسية و (٢٧) مدخلا فرعيا و (٤) مداخل للطابق تحت الأرض .

السلام الكهربائية المتحركة

أقيم مبنيان للسلام الكهربائية المتحركة أحدهما شمالي التوسعة والآخر جنوبيها ومساحة كل منهما (٣٧٥) م^٢ وفى كل مبنى مجموعتان من السلام الكهربائية المتحركة تحمل (١٥,٠٠٠) شخص فى الساعة إلى سطح المسجد علاوة على الأدرج الثابتة ، بما يحقق الكفاءة التامة أوقات الذروة وبذلك يصبح عدد مباني السلام المتحركة خمسة تنتشر حول محيط الهرم والتوسعة .

النوافذ

على اختلاف أنواعها صنعت من نوع خاص من الألومنيوم الأصفر المخروط وهى مماثلة لنوافذ الحرم السابقة واستوحيت فى تصميمها وتنفيذها أسس الزخرفة الإسلامية الدقيقة .

الأرضيات

بلطت الأرضيات برخام مزين بزخارف إسلامية وإجمالية مساحتها (٧٥,٠٠٠) م^٢ أما الساحات الخارجية فقد بلغت مساحة الرخام الذى بلطت به (٤٦,٠٠٠) م^٢ .

١ و حصة صوف الرحمن - وزارة الإعلام العمدة / ٨٢ - ٨٣ .

دورات المياه

أما عن دورات المياه فقد أنشأ ميناها الجديد شمال مساحات المسعى من دورين إجمالية تبلغ (١٤٠٠٠) م^٢ حيث يحتوى على (١٤٤٠) دورة مياه و (١٠٩١) نقطة وضوء و (١٦٢٠) نافورة لمياد الشرب علاوة على دورات المياه الموجودة تحت أرض الساحات الخارجية ويقدر ما تم إنفاقه على مشروع توسعة المسجد الحرام فى مكة المكرمة وما ارتبط به من مشروعات أخرى حوالى ٢٥ مليار ريال .

الأعمال الكهربائية (الإنارة)

ونظرا لضخامة التوسعة واحتياجها للطاقة الكهربائية اللازمة للإنارة وتشغيل الأجهزة المختلفة من سلالم متحركة وتكييف مركزى وغير ذلك . تم إنشاء محطتين على جانبي التوسعة تحتوى كل محطة منهما على ثلاثة محولات عملاقة قدرة كل منها ١,٦ ميجا وات فولت أمبير توفر طاقة احتياطية تبلغ ١٠٠% من الإجمالى ، وذودت التوسعة بالثريات التى تناسب الشكل المعمارى السائد فى الحرم .

أما تجهيزات الإنارة للتوسعة فهى مستقلة عن التجهيزات الحالية حيث زودت بعدد (٧١) نجفة كبيرة و (١٦٠) فاتوسا وحوالى (٧١٨) وحدة إضاءة على الحائط وجميعها مصنوعة من النحاس والكريستال وكذلك حوالى (٥١٣٥) وحدة إضاءة فلورسنت وحوالى (١٧٤) كشافا قدرته (٤٠٠) وات وحوالى (٦٧٢) لمبة زئبق قدرة ٢٥٠ وات توفر مستوى أعلى فى الإضاءة من المستوى السابق .

شبكة الإذاعة الداخلية

ولهذه التوسعة الضخمة تم تنفيذ شبكة إذاعة داخلية تغطي كافة أرجاء التوسعة وتتناسب مع مساحة التوسعة ، تم دمجها وربطها بالشبكة القديمة وكذلك تم تزويد التوسعة بعدد من السماعات تتصل بالنظام المركزي للسماعات الموجودة بالحرم من قبل هذا بالإضافة إلى نظام الإنذار من الحريق ونظام الهاتف ونظام التحكم الأوتوماتيكي .

مشروع تكييف مبنى توسعة الحرم المكي الشريف

ولتجديد المبنى وتجديد الهواء بالطوابق المتعددة ، صممت الفتحات الخارجية والداخلية للنواقد بطريقة تسمح بمرور الهواء داخل المبنى ، وتم تركيب مراوح كهربائية مثبتة على الأعمدة وفي الأسقف .
استحدث نظام جديد لتلطيف الهواء بالطابقين الأرضي والأول لمبنى التوسعة يعتمد على مبدأ دفع الهواء البارد من موقع مرتفع ثم توزيعه حول الأعمدة المربعة .

إنشاء محطة التكييف المركزية بأجياد

وقد أقيمت من أجل ذلك محطة في منطقة أجياد تحتوي على عدد من ماكينات التبريد ومضخات المياه المثلجة ومركز تشغيل وتحكم آلي وتحكم أوتوماتيكي بطاقة (٤٥,٠٠٠ طن تبريد) كما تم إنشاء نفق للخدمات يربط بين المحطة المركزية والحرم المكي الشريف بطول حوالي ٣,٥ كم وصولاً عند باب الملك عبد العزيز ثم يربط بعدها بعبارة الخدمات الدائرية المحيطة بالحرم .

كما روى تصميم وتوزيع هذه الخدمات ضمن المناطق الفاصلة بين مباني المسجد الحرام القديمة وبين التوسعة الجديدة بما يسمح بإداء أفضل لتصريف مياه الأمطار وتوفير مياه زمزم ومد شبكات الإطفاء وإيجاد مخارج لمياه التنظيف .
ويحتوى النفق على مواسير مفرولة نائقة للمياه كما أنه مجهز بجميع وسائل الإضاءة والتهوية وأجهزة السيطرة والتحكم الأوتوماتيكي .

التوسعة بالأرقام

وتبين الأرقام حجم هذه التوسعة فقد بلغت كمية الأعمال الإنشائية (١١١٧٥٠) م^٣ من الخرسانة وتم استخدام (١٢٧٠٠) طن من حديد التسليح كما تقدر كميات الرخام والحجر الصناعى المستخدمة فى تشطيب الجدران بحوالى (٤٥٠٠٠) م^٢ وذلك خلاف تكسية الأعمدة الداخلية بكميات من الرخام بلغت (٦٠٠٠٠) م^٢ وتم تبليط الأرضيات برخام مزين بزخارف إسلامية على مساحة (٧٥٠٠٠) م^٢ ، إضافة إلى (٤٦٠٠٠) م^٢ من الرخام لتغطية أرضيات الساحات الخارجية المحيطة بالحرَم المكى الشريف .

التخطيط المرورى

وقد استلزم تنفيذ هذه التوسعات الضخمة تعديل التخطيط المرورى حول منطقة الحرم فتم تحويل أنفاق السيارات وأماكن عبور المشاة وتعديل مسار الطريق الدائرى الأول فى المنطقة ما بين شارع (أجياد) ومنطقة

(شُحِبَ عَلَى) وَتَمَّ إِثْنَاء (٤) جَسُورَ لِتَوْفِيرِ السَّيُولَةِ لِحَرَكَةِ الْمُرُورِ وَتَأْمِينِ حَرَكَةِ الْإِلْتِفَافِ وَالْعُودَةِ لِلسَّيَّارَاتِ .

و- مِنطَقَةُ جَبَلِيَّةَ وَعَرَةَ بِالمَسُوقِ الصَّغِيرِ تَمَّ شَقُّ نَقِيقِ بَطُولِ (١٥٠٠) م وَبَارْتَفَاقِ (٥٠٥٠) م يَتَكُونُ مِنْ مَسَارِينِ مَنْقُصَلِيْنِ أَحَدُهُمَا لِادْخُولِ الْقَادِمِينَ مِنْ غَرْبِ مَكَّةَ وَجِدَّةَ عِبْرَ شَارِعِ أُمِّ الْقُرَى وَالثَّانِي لِقَادِمِينَ مِنْ شَرْقِ مَكَّةَ وَالمَشَاعِرِ عِبْرَ طَرِيقِ (أَجِيَادِ) وَتَمَّ تَزْوِيدُهُ بِوَسَائِلِ تَهْوِيَّةِ حَدِيثَةٍ وَتَكْيِيفِ الْجَزْءِ الْمَغْطَى مِنْهُ كَمَا زُوِدَ بِشَبَكَةِ لِلصَّرْفِ الصَّحِيِّ لَضَمَانِ عَدَمِ تَسْرِبِ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ إِلَى الدَّاخِلِ وَغَطِيَّتِ جُدْرَانَهُ بِالْبِلَاطِ الْخَرَسَاتِي .

تَوْسِعَاتُ أُخْرَى قَامَ بِهَا خَادِمُ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ الْمَلِكُ فَهْدُ .

أَعْمَالُ تَحْسِينِ جَسْرِ الْجَمْرَاتِ وَالمِنطَقَةِ المَحِيْطَةِ بِهِ لِسَنَةِ ١٤١٥ هـ .

لَمْ يَكْتَفِ خَادِمُ الْحَرَمِينَ الشَّرِيفِينَ بِتَوْسِيعَةِ الْحَرَمِ فَقَطْ وَلَكِنْ امْتَدَّتِ التَّوَسِيعَةُ إِلَى المَنَاطِقِ المَحِيْطَةِ بِالْحَرَمِ لِخِدْمَةِ حِجَاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ . فَقَدْ تَمَّ هَدْمُ وَإِزَالَةُ المُنْحَدَرِ السَّابِقِ الشَّرْقِيِّ جِهَةَ مَنَى وَإِثْنَاءِ مُنْحَدَرٍ جَدِيدٍ لِلصُّعُودِ بِعَرْضِ (٤٥) م بَعْدَ تَعْدِيْلِ الْمَسَارِ وَجَعَلَ المُنْحَدَرَ مُوَاجِهًا لِطَرِيقِ المَشَاةِ الْقَادِمِ مِنْ مَنَى وَالجَمْرَةِ الصَّغْرَى كَمَا أُزِيلَ المُنْحَدَرَانِ الْجَانِبِيَّانِ الْمُؤَدِيَّانِ لِلجَمْرَةِ الصَّغْرَى مِنْ الشَّمَالِ وَالجَنُوبِ وَتَمَّ اسْتِبْدَالُ الْجَزْءِ الْمَغْطَى مِنْ بِلَاطِ الْجَسْرِ بِأَجْزَاءِ خَرَسَاتِيَّةٍ يَنْتَاسِبُ مَتَسَوِيَّاتُهَا مَعَ أَجْزَاءِ الْجَسْرِ المَحِيْطَةِ بِهَا .

كَذَلِكَ أُنشِئَ مُنْحَدَرَانِ جَدِيدَانِ بِعَرْضِ ١٥ مِترَ لِكُلِّ مَنَهُمَا لِلنُّزُولِ مِنْ الْجَسْرِ وَمَا بَيْنَ الْجَمْرَةِ الكُبْرَى وَالجَمْرَةِ الوَسْطَى مَعَ زِيَادَةِ مَنطَقَةِ اتِّصَالِ الْجَسْرِ بِالمُنْحَدَرِينَ ، إِضَافَةً إِلَى تَوْسِيعَةِ مُنْحَدَرِ النُّزُولِ القَرِيبِي بِاتِّجَادِ الْحَرَمِ مِنْ (٢٠ - ٤٠) مِترَ وَتَحْسِينِ مَنطَقَةِ اتِّصَالِ هَذَا المُنْحَدَرِ بِطَرِيقِ المَشَاهِ إِزَالَةَ التَّظْلِيلِ بِطُولِ (٦٠) مِترَ وَإِزَالَةَ العَوَانِقِ الأَرْضِيَّةِ أَيْضًا .

وقد تم إنشاء خمس مبان لمراكز الخدمات والطوارئ موزعة على طول الجسر تحتوي على المصاعد والسلالم اللازمة لتوفير خدمات الإسعافات الاولية في حالات الطوارئ كما أنشأ برج للمراقبة وذلك ببناء ثلاثة أدوار إضافية على جزء من مساحة سطح مركز الخدمات الواقع شمال الجمره الوسطى .

وإضافة إلى ذلك تم إنشاء أربعة مراكز أمنية موزعة عند مداخل المنحدرات الرئيسية والفرعية ومهاجع لجنود الأمن العام تتسع لحوالي أربعائة جندي تحت المنحدر جهة منى .

وفي إطار أعمال التحسينات نفذ نظام إشارات عادية معقمة لإرشاد الحجاج مع إنارتها وتركيب مسادات هوائية لتوجيه حركة المشاة بالقرب من الجمره الكبرى أعلى الجسر .

ومن أجل توفير خدمات إضافية لضيوف الرحمن تم تنفيذ نظام لتبريد المياه حيث ركب مائة وخمسون صنبراً للمياه المبردة ما بين الجمره الصغرى والكبرى أعلى الجسر مع نظام تصريف خاص به .

كذلك تم تحسين وتجديد نظام الإنارة بمضاعفة عدد وحداتها وتعديلها إلى اللون الأبيض بدلاً من الأصفر مع إعادة توزيع الوحدات القديمة وإضافة إلى ذلك فقد تم تحسين وزيادة فاعلية نظام التهوية أسفل الجسر لزيادة مراوح السقف لجميع مواقع الجسر وتركيب ثمانية عشر مروحة نفثة موزعة بواقع ستة مراوح لكل جمره من الجمرات الثلاثة .

أعمال التحسينات في منطقة مزدلفة (المرحلة الثانية) :

تشمل المرحلة الثانية من التحسينات في منطقة مزدلفة تنفيذ موقعين جديدين لمواقف حافلات الحجاج يقع الأول منهما على الطريق رقم ٢ جنوب غرب منطقة مزدلفة وفيه تم إنشاء مواقف للحافلات من صفين مختلفين الطول موازيين للمواقف الحالية في هذا الموقع .

أما الثاني فيقع غرب جسر الملك فيصل بين الطريق رقم ٣ وطريق
العريزية وفيه تم إنشاء مواقف للحافلات من ثلاثة صفوف متوازية
ومختلفة الطول .

وتتضمن أعمال الموقعين المذكورين تنفيذ اللقطة الصخري ، والردم
والتسوية وطبقات الرصف والحواجز الخرسانية والبردورات وتصريف
مياه الأمطار ودهان إشارات الطرق وأعمال الإنارة باستعمال الأبراج وما
يلزم ذلك من تجهيزات .

ومن أعمال هذه التحسينات أيضاً إنشاء طريق على امتداد جسر الملك
فيصل تسهيلاً لحركة مرور حافلات الحجاج بين عرفات ومزدلفة^١ .

المسعى

لقد بنى المسعى فى التوسعة السعودية الأولى من طابقين إنطلاقاً من
نظرة مستقبلية أخذت فى الاعتبار تزايد أعداد الحجاج عاماً بعد عام .

يبلغ طول المسعى (٣٩٤,٥) متراً وعرضه (٢٠) متراً وارتفاع
الطبقة الأولى منه (١٢) متراً ، وارتفاع للطبقة الثانية (٩) متراً مما
ساعد ليس على تيسير السعى فحسب بل على توفير مساحات واسعة
تستوعب عدداً كبيراً من المصلين وتخفيف الزحام فى المسجد ، وقد أنشأ
الطابق الثانى للمسعى استناداً إلى فتوة شرعية بجواز ذلك .

كما أقيم فى وسط المسعى حاجز يقسمه إلى قسمين متوازيين أحدهما
للسعى باتجاه الصفا والثانى للسعى باتجاه المروة وأنشأ وسط القسمين

^١ حربة المملوك الع ١١ العدد (٥٧٢) وانظر مجلة رسالة الإسلام العدد (٤٤) دى احنة

(١٤١٧ هـ) مايو (١٩٩٧ م) .

ممر ضيق ذو اتجاهين لسعى العاجزين وغير القادرين على المشى
وانهرونة ، وبنى درج قسدا الى قسمين فى انصفا والمرودة ولكل منهما
جانبا احدهما للصعود والثانى للهبوط .

كما انشا (١٦) بابا للمسى تنتشر على الواجهة الشرقية للمسجد وعند
الطبقة العليا انشا مدخلان على خارج الحرم احدهما عند انصفا وثانيهما
عند المرودة وهذان المدخلان يرتفعان عن سطح الأرض بما يساوى
السطح المخصص للصلاة .

وفى داخل المسجد أقيم فى الطبقة العليا سلمان أحدهما عند باب انصفا
والثانى عند باب السلام وتحت الطبقة الأولى أنشأت طبقة من الأقبية
سطحها بمستوى الأرض وارتفاعها ثلاثة أمتار ونصف المتر .

وحماية المسجد من السيل انشا مجرى خاص يمتد تحت رصيف الجهة
الجنوبية من شارع القشاشية ويمر أسفل منطقة انصفا ثم أسفل رصيف
الشارع الجديد وبلغ عرض هذا المجرى خمسة أمتار وارتفاعه بين أربعة
امتار وستة وبذلك حول مجرى السيل الذى كان يخترق المسعى ويتسبب
فى تسرب المياه من أبواب المسجد .

مشروعات إيجابية أخرى

ومن المشروعات الإيجابية بالمملكة العربية السعودية ذلك المشروع
الذى أقام مركز علمياً لأبحاث الحج يقوم على استخدام الحقل الإلكتروني
فى تطبيقات علوم الإحصاء واستقراء التوقعات وقد غذيت الحاسبات
الإلكترونية بما لدى المملكة من وثائق قديمة عن الحج من بينها مثلاً أن
عدد الحجاج عام (١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م) كان ٩٠,٦٦٣ حاجاً ، وفى

عام (١٩٢٣ د) حيث بلغت الازمة الاقتصادية العالمية ذروتها . مضى العدد الى ٢٠١٨١ حاجا . وفى عام ١٩٤١ والحرب انعامية الثانية فى نفس مراحلها هبط عدد الحجاج الى ٩٠٢٤ حاجا . ومنذ عشرين عاما فى اواخر القرن الرابع عشر الهجرى بلغ عدد الحجاج أكثر من مليونى مسلم و مسلمة وفى عام (١٤٠٥ هـ) سجلت العقور الإلكترونية ما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة أدوا فريضة الحج مما جعل الحكومة السعودية تصدر قرار بعدم السماح لمن يقيم بالمملكة بالحج مرة ثانية إلا بعد مرور خمسة أعوام على الحجة الأولى لإتاحة الفرصة أمام القادمين إلى الاراضى المقدسة من خارج المملكة وأعدادهم تتزايد عاما بعد عام مما جعل وزارة الحج بالمملكة أن تطلب من كل دولة أن تخفض نسبة الحجاج لديها حتى يتلائم مع سعة المكان وقداسته .

وتوفر الحكومة السعودية للحجيج كل عام ما يقرب من مليونى رأس من الذبائح للهدى أو الغدو فى منى أيام التشريق يدفعون فيها ما يقرب من (٢٠ مليون ريال) تنفيذاً للشروع الحنيف ، وقد أقاموا مصانع لتصنيع لحوم الهدى وتعبئة وحفظه و إهداء لفقراء المسلمين فى عدة دول فى آسيا كما توفر الحكومة السعودية ما يزيد عن مائة وخمسون ألف مركبة أو سيارة لخدمة الحجيج وتوصيلهم إلى الأماكن المقدسة وأماكن إقامتهم كما أنشأ مركز بحوث الحج قسما خاصا للدراسات الحضارية بمخة المكرمة وفرعا مستقلا بالمدينة المنورة وأخيرا تبنت جامعة الملك عبد العزيز المركز بفروعه ، وأضافت لها قسم التصوير والفديو للأفلام الوثائقية ، وقسم ثالث للبيئة المعمارية ، ولجنة عليا تعمل طوال العام فى دراسة حلول المشاكل ذات العلاقة بالحج جغرافيا واقتصاديا وأمنيا وإخضاع كل الوسائل الحديثة التى يستخدمها الحجاج لخدمة الإسلام والمسلمين .

ويقود طلبة الجامعة بالدراسات الميدانية والاستفتاءات والاحصائيات فى مناطق الكثافة وقد أمدت القوات الجوية السعودية المركز البحثى بطائرات الاستطلاع لتصوير المناطق المقدسة جوا الى جانب التصوير الارضى تُد اقامت الجامعة معسكرا دائما للكشافة ما بين عرفات حتى منى لخدمة التخطيط الإرشادى للحجاج يطبقه المطوفون والهيئات الحكومية لحماية الحجاج الذين يضنون الطريق وإرشادهم إلى اماكن مخيماتهم .

كما انشأوا محطة أرصاد دائمة فى وادى منى لدراسة المناخ وعوامل الحرارة والبرودة بهدف الوقاية من الحرائق التى تهدد المخيمات وقد اهتدى خبراء مراكز بحوث الحج إلى مشروع تحصين الخيام .. وتتخلص فترة التحصين بدهان الخيام بمادة كيميائية غير قابلة للاحتراق ... تُد تطور المشروع حيث أعدوا خياما جديدة ذات معاملات نسيجية خاصة تتلامح مع درجة حرارة الهواء والرطوبة النسبية داخل الخيمة مع مقارنات بين الخيم القديمة والجديدة للتعرف على تغيير عوامل المناخ ما قبل وأثناء كثافة الحجاج ودرجة الإشعاع الشمسى وسرعة اتجاه الرياح طوال أيام ذو القعدة وذو الحجة لخدمة الدراسة العلمية لسلوك الحرارى داخل وادى منى .

وتوفر الحكومة السعودية لحجاج بيت الله الحرام كل عام ما يقرب من مليونى رأس من الذبائح للهدى أو الفدوى فى منى أيام التشريق . واستطاع المركز العلمى لأبحاث الحج تجميد ذبائح الهدى فى مجزرة منطقة المعيصم وذلك باستخدام النتروجين السائل وطاقة الوحدة الكهربائية التى جاءوا بها لتستقبل (ستة خراف) كل دقيقة . لتصبح مجمدة فى ٩٠ درجة تحت الصفر . ويقوموا بإرسال هذد اللحوم لفقراء المسلمين فى أسيا وإفريقيا .

(مسلمى باكستان وأفغانستان والتيجر ومالى وتنزانيا .. وغيرهم)

كما قاموا بإنشاء مصنع لاستغلال الجلود والشعر وصناعة الاعلاف وهذه المهمة العلمية حصلوا من أجلها على فتاوى شرعية من علماء الإسلام بتحقيق مصلحة المسلمين في الذبائح وتوزيعها على الفقراء . وقد قدم عدد من الأمراء سيارات الثلجات الكبيرة لنقل الذبائح إلى المطارات والموانى .

كما قاموا بمشروع هام ويتضمن إقامة أرضية صناعية لسفح جبل يفرودونها فوق الأرض فيحميها من النفايات حيث يفترش المسلمون الأنفاق والسفوح والجسور وهذه الأرضية الصناعية أو الهيكليّة بدرجة ميل ما بين (٣٥ - ٤٥ درجة) طبقا لحال الجبل ودون انماس بطبيعة البيئة وتزيد الطبقة الصناعية من الأرض القدرة على استقبال الضعف لأعداد الحجاج كل عام ويتحقق الاستقلال لسفح الجبال .

قام خبراء المركز بدراسة التطور الاجتماعي والثقافي للحجاج وهي دراسة ميدانية أثناء موسم الحج والوقوف على اللغات التي تتداول أثناء أداء غير اللغة العربية فوجدوا أنها الإنجليزية والتركية فالفرنسية فالفارسية والأوربية ويعدون مرشدين من أبناء المملكة يجيدون كل تلك اللغات لإجراء اللقاءات الشخصية .

كما درسوا أيضا مشكلة مياه الشرب والمياه الملوثة المتجمعة في منطقة منى وقدموا حلولاً للزحام في المطارات والموانى ، ونقل النفايات وكميات القمامة التي تتولد يوميا والخلص منها في الوقت الصحيح ودون إبطاء وقد طبقوا بعض الإجراءات منذ العام الماضي .

قاموا ببحث دقيق عن خصائص المطوفين الاجتماعيه والثقافية وأسلوب أداء عم لمهنة انطوافة ومشكلاتهم الشخصية ومرتباتهم والتعرف على انطباعاتهم تحت بند خدمة الحجاج والوصول إلى الأسلوب الأمثل إليه .

كما اولت اللجنة القائمة على المركز العلمى لبحاث الحج مشكلة توفير السكن الملائم للحجاج اهتماما بالغاً... فكانت بين أولى القضايا التى حصلت على اهتمام خبراء المركز من أجل وضع تصور دقيق لمواجهة تزايد عدد الحجاج خلال السنوات القادمة .

درسوا أيضاً معدلات تدفق المياه إلى بنر زمزم خلال العام ودراسة توصيلها إلى المدينة المنورة وقد وصلت الآن بالفعل . ودراسة أخرى عن المياه الجوفية بالمنطقة المحيطة بالحرم المكى ، والأنفاق التى يتم إنشائها فى مكة ثم دراسة علمية عن التركيب الكيماوى والبيولوجى لمياه بنر زمزم

وأخيراً فإن هذه التوسعات الضخمة تبرز اهتمام أولى الأمر فى الأماكن المقدسة للتيسير لجموع المسلمين من مشارق الأرض لمغاربها لأداء المناسك فى سهولة وأمان وإظهار بيت الله الحرام الذى يحتضن بين جنباته الكعبة المشرفة ومقام إبراهيم وحجر إسماعيل عليهما السلام وزمزم المباركة والصفاء والمروة فى أبهى وأرقى صورة يعتبر معجزة لكافة المسلمين فى أرجاء المعمورة ...

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزى كل من شارك وساهم فى هذه الأعمال الجليلة خير الجزاء وأن يجعله فى ميزان حسناته ويجزيهم بالإحسان إحساناً إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الثامن مسجد الرسول (الحرم النبوي)

والله اعلم بالشئ يذكر فما بالناس بان هذا ليس بشئ عادي بل هو قيمة غالية وصرح مقدس فطالما تحدثنا عن إحدى الحرمين الشريفين (الحرم المكي) لا بد أن نلقى الضوء على المسجد النبوي الشريف (الحرم النبوي) فهو من المساجد التي تُشد إليها الرحال والصلاة فيه خير من الصلاة في غيره إلا المسجد الحرام ، وبين المنبر والقبر الشريف روضة من الجنة كما قال رسول الله ﷺ (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة) ومن زار القبر الشريف حظي بشفاة صاحبه ﷺ ومن زار قبري وجبت له شفاعتي) والمسجد النبوي بالمدينة المنورة بانيه هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الغر الميامين ، وهذا امر ثابت في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما من تثبت الأحاديث والسنة والمساندة وهذا امر نقله الخلف عن السلف حتى بلغ حد التواتر المعتد للقطع واليقين ، وللمسجد اثنيون في قلب ونفس وشعور كل مسلم ذكريات وذكريات لا يكفى في بياتها مقال ولا بضعة مقالات وإنما هو امر يحتاج إلى كتاب برأسه ونحن إذا أردنا أن نتحدث عن هذا المسجد فإنا سنتحدث عن جانب واحد وهو عمارته من بناء رسول الله ﷺ حتى أكبر توسعه في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

بناء رسول الله ﷺ

في السنة الأولى للهجرة عام (٦٢٢ م) أسس النبي ﷺ المسجد النبوي الشريف على مساحة تقدر بنحو (١٠٣٠ م٢) وارتفاع سقفه (١,٧٥ م) وكان بثلاثة أروقة من الجهة الشمالية . ولما تحولت القبلة إلى الكعبة في ١٥ شعبان ٢ هجرية جُنت الأروقة من الناحية الجنوبية وفي محرم عام ٧ هـ ٦٣٨ م وسعه النبي ﷺ فأصبح طوله ٥٠ م وعرضه ٤٥ م ومقدار التوسعة ٢١٤٤٥ م٢ . وكان سقفه من الجريد وفرشه من الحصى فإذا نزل المطر صلى المسلمون في الوحل .. ويرغم أن فرشه الحصى فقد غطته أجساد طاهرة نقية ..

توسعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وفي عام ١٧ هـ قام عمر بن الخطاب بتوسعة الحرم النبوي فأصبحت مساحته حوالي ٢٣٥٧٥ م٢ وارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر ، وكانت التوسعة من الجهات الثلاثة إلا الشرقية .

توسعة عثمان بن عفان

وفي خلافة عثمان زاده ٤٩٦ م ٢ من الجهات الثلاثة إلا الشرقية وقد بنى من الحجارة المنقوشة والجص ، وكان بناءه السابق من اللبن والطين .

العصر الأموي

توسعة الوليد بن عبد الملك

وفي عهد الوليد بن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز بإعادة بناء وإدخال حجرات أمهات المؤمنين فيه وقد انتهى البناء عام ٩١ هـ ومقدار الزيادة ٢٣٩٦ م ٢ والمساحة ٨٣ م X ١٠٠ وقد جعل له سققان وأقام له أربعة مآذن ومحراباً مجوقاً وشرفات فتم يكن في زمن النبي ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين مآذن في المسجد .. وقد تم زخرفته بالفسيفساء وماء الذهب والرخام .

العصر العباسي

وفي عهد المهدي العباسي زلاد فيه ٤٥٠ م ٢ وقد بدأ في العمارة عام ٢٦٢ هـ وانتهى عام ٢٦٥ هـ فجعل له ٢٤ باباً .
وكان حريق عام ١٢٥٦ م المروع ليلة الجمعة أول رمضان ٦٢٤ هـ وقد أصاب هذا الحريق المسجد بضرر غير قليل .. وما أن بلغ خبر هذا الحريق الخليفة العباسي المستعصم بالله حتى أعد العدة لإعادة إعمار الحرم النبوي من جديد ولكن الظروف السياسية التي مر بها العالم الإسلامي لم تسمح له بذلك إذ أن بغداد نفسها قد اجتاحتها غزو مدمر من فعل المغول الذين اجتاحتوا الشرق الإسلامي في غزوة كاتيرق ويوم من الطبول ناشرين الخراب والدمار والموت حتى عمت الظلمة كل بلاد المسلمين في الشرق وجاء الدور على بغداد عاصمة الخلافة واصطبغ فيها دجلة بلون الدم وما لبث هذا اللون أن سار أسود قائماً كظلمة قلوب

فاعليه . وزحل المستعصم بالله هو وروخته واولاده اى معسكر هولاءكم
ولم يخرجوا منه ولم يعرف مصيرهم . كيف قتلتهم هولاءكو او كيف تخلص
منهم يوم ١٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ وبذلك انتهت الدولة العباسية ، وانتهت
مع موت المستعصم بالله كل النشاطات من أجل إعادة إعمار الحرم النبوي .
وامتد المغمول ينقضون كالمسهم المنطلق إلى العرب يكتسحون مد
الشام يحيلون فيها الحياة إلى موت والأعمار إلى الخراب والأخضر
واليابس يجتثونه من جنوره ناشرين الرعب واطلام خلفهم ..
وكادت الحضارة الإسلامية أن يقضى عليها لولا أن تعرضوا لهزيمة على
يد قنظ سلطان المماليك فى مصر عند (عين جالوت) ..
وبتولى مصر الزعامة سار سلاطين المماليك هم حماة الحرمين الشريفين
وقد استطاع السلطان بيبرس
(خلف قنظ بعد مقتله أثناء عودته من عين جالوت) أن يستنقم لحد
أفراد البيت العباسى وبايعه بأن يكون خليفة المسلمين ..
وبدأ سلاطين المماليك فى تعمير المسجد النبوي حيث سارع السلطان "
الظاهر بيبرس " بإعادة عمارته من جديد . وقد عمل من جاء بعده من
ملاطين المماليك على التجديد والإصلاح فى المسجد .
ومنهم على سبيل المثال وليم على سبيل الحصر السلطان للناصر محمد
الذى أضاف باتكتان من الأعمدة فى رواق القبلة من جهة الصحن .
وقام السلطان " الظاهر جقمق " عام ٨٥٣ هـ جدد بعض الأسقف التى
تحتاج للتجديد لسوء حالتها .

حريق عام ٨٨٦ هـ

٠ فى ليلة ١٣ رمضان ٨٨٦ هـ انقضت صاعقة على إحدى مآذن الحرم النبوي حرقت الموزن الذى كان يؤذن بالصلاة فى ذلك الوقت ، وأصابت النيران سقف المسجد وأحرقته وأصابت بعض المصلين بالمسجد وتهدمت الجدران وسقطت الأعمدة وابت النار على المنبر وأغلب الكتب ولم يسلم من هذا الحريق سوى الغرفة الشريفة وقبة الصحن .

عمارة قايتباي

وحى إحدى العمارات الهامة فى المسجد وقد سارع السلطان قايتباي بعد الحريق فأعد العدة لعمارة المسجد وعين الأمير " سنقر الجمالى " مسنولاً عن هذه العمارة .

وتتخص عمارة قايتباي بإضافة قبة فوق الغرفة النبوية الشريفة ثم فوقها قبة أخرى يحملها عدد من الأعمدة ، وتم نقل الجدار الشرقي للشرق قليلاً . وفى رأس مثلث الغرفة النبوية الشريفة أقاموا قبة تقف على اسطوانة تم إنشاؤها خصيصاً لذلك ويحيط بهذه القبة ثلاث قباب صغيرة .

وقد تم إنجاز:

- ١- كسوة الغرفة النبوية الشريفة وما حولها بالأواح الرخام .
- ٢- استخدام محراب مجوف فى وعانة مستحدثة أقيمت بين قبر الرسول ﷺ والمنبر
- ٣- أقاموا معصبة من الرخام (يستخدمها الموزن)
- ٤- توسيع وزخرفة محراب عثمان ؓ .

- ٥- إعادة بناء المنذنة الجنوبية الشرقية
 - ٦- بناء منذنة باب الرحمة فى الجنوب الغربى من المسجد .
 - ٧- إعادة بناء الجدار المتهدمة .
 - ٨- جلدت الحوائط فى المسجد بالرخام
 - ٩- باب السلام تم بناؤد وجلد بالرخام الرابع .
 - ١٠- إنشاء مدرسة بين باب السلام وباب الرحمة وهى المعروفة بالمدرسة المحمودية
- صارت الأعمدة تحمل عقودا يجلس السقف فوقها وقد عمر قايتباى على تغطية مصاريف عمارة المسجد النبوى ببذخ إذ بلغت تكاليف إعادة الإعمار مبلغا كبيرا . ومهما كان الأمر فإن حدود المسجد لم يتم تغييرها تقريبا .. إلا أن الطابع المعمارى المملوكى قد ظهر بوضوح وجلاء .
- وزود المسجد بالمفروشات والأثاث اللازمة وكذلك بعض الأعمال الفنية الإسلامية الرائعة منها على سبيل المثال شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة (صناعة مصر زمن المماليك وهو جاليا محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة) وقد استقرت عمارة قايتباى للمسجد النبوى ما يقرب من العام ولم يكتف بذلك بل أنه رتب لسكان مدينة الرسول بعض المون التى تكفيهم
- واستمر المماليك يهتمون اهتماما كبيرا بالحرم النبوى تجديدا وإصلاحا طول العصر المملوكى ، وقد ظل المسجد النبوى بعد عمارة قايتباى دون التعرض لعمارة هامه طول أربعمائة عام تقريبا .

العثمانيون والمسجد النبوي

• بدأ العثمانيون يتجهون إلى المشرق منذ عهد السلطان سليم الأول فاصراً، ثم بالصفويين أولاً ثم بالمماليك ويهمننا هنا إيضاح انتصار سليم على فتوة الغوري سلطان المماليك في مصر والشام عند " مرج دابق " وانجلى غبار المعركة عن عصر جديد بدأ يطل على المنطقة اكتمل ظهور هذا العصر عند تعليق طومان باي بأخر سلاطين المماليك على باب زويلة في القاهرة ..

وتتابعاً بدأت الولايات الإسلامية في الدخول تحت السيادة العثمانية ومنها أن شريف مكة قد التفت رغبته مع عرض عثمانى يقبول السيادة العثمانية .. وكان الأمر في نهايته مفاتيح الحرمين الشريفين لسليم الأول العثماني ودخول الحجاز اسماً تحت سيادة آل عثمان .

وبذلك تأكد لهم للزعامة الروحية والسياسة على العالم العربي وحينئذ صار لهم شرف رعاية وحماية المسجد النبوي .

وتعرض المسجد النبوي للتجديد أكثر من مرة على يد آل عثمان .. فقام بعض السلاطين بعمارة المسجد وترميمه .. مثل سليمان الثقاتوني الذي أقام المحراب السليماني عام ٩٤٨ هـ

وسليم الثاني سنة ٩٨٠ هـ قام بتعمير أحد المحاريب غرب المنبر وأمر بزخرفته وكسوته بالموزاييك الذهب ووضع اسمه عليه .

ومراد الثالث الذي وضع المنبر الموجود الآن عام ٩٨٨ هـ

وكذلك السلطان محمود قام بتعمير قبة الحجرة الشريفة سنة ١٢٢٣ هـ

وأحمد الثالث الذي أجرى إصلاحاً في غرفة القبر عام ١١٣٣ هـ .

وعبد الحميد الأول الذي قام بتغطية أرضية المسجد بالرخام ومحمود الثاني الذي أعاد بناء القبة ولونها باللون الأخضر .

ولكن العمارة الهامة التى تمت فى انحرى النبوى الشريف على عصر العثمانيين كانت هى التى تمت فى عهد السلطان عبد المجيد .. وقد كانت تحديدا شاملا للبناء الذى مر عليه ما يقرب من أربعمانه عام وقد تم إعداده مجموعة من المعماريين والفنانين والمهرة مطلقا لهم العنان فى العمل لإخراج عمارته وزخرفتها على نحو من الفخامة تليق بقيمته العظيمة عند جماهير المسلمين .

وقد نقل هؤلاء العمال الأحجار من هضاب وادى العقيق عند " أبار على " ونقلوها فى طريق مهدوه خصيصا لنقل هذه الأحجار .

وعند البناء لم يهدم البناء جميعه ولكن تم البناء والتجديد جزءا جزءا .. وذلك حتى لا يتوقف الصلاة فى هذا المسجد وهو نظام متبع فى العصر الحديث فى أغلب المساجد الجامعة إذ يلجأ المهندسون إلى إغلاق جزء من الجامع يتم دمه وإعادة بنائه من جديد بينما إقامة الشعائر الدينية فى باقيه .

واستمرت هذه للعمارة من عام ١٢٦٥ هـ حتى ١٢٧٧ هـ أى حوالى ١٢ عاما تقريبا وقد تكلف هذه العمارة ٧٥٠ ألف جنيه مجيدى ، وقدرت التوسعة بنحو ١٢٩٣ م٢ . وفيها أعيد بناء المسجد كله فيما عدا المقصورة والجدار الشمالى ومعظم الجدار الغربى ومحراب عثمان والمحراب النبوى ومنبر النبى ﷺ ، حدود المسجد فى هذه العمارة ظلت كما هى تقريبا عدا زيادة بسيطة فى الجنوب الشرقى وأضيف إليه مساحة من الأرض فى الشمال أصبح مكانا للوضوء وفتح باب جديد عرف باسم الباب المجيد .

تم تغيير وتبديل جميع الأعمدة فيما عدا بعض الأعمدة بالروضة وفوق العقود التى بنيت من الحجر الأحمر المنحوت جاءت عقود أخرى تحفل القباب التى تتخللها شبابيك شغلت بمشغولات النحاس والزجاج الملون .

وقد أعيد بناء المنذنة الموجودة فى الشمال الغربى التى صارت تعرف باسم المنذنة المجيدية .. وأعيد بناء باب السلام على نحو فخر ومن خلفه جاءت قبة عظيمة وتم ترميم منائر المسجد ومداخله وإضافة بعض الغرف وبعض الخلوات .

وتم تبليط أرض المسجد بالرخام وكذا جلدت بعض حوائطه بالرخام وزخرفت بواطن القباب ببعض المناظر الطبيعية من أشجار وزهور ومجارى مائية وذهنت بعض المحاريب .

وحول هذه المناظر الطبيعية صار جدل كبير بين علماء الآثار الإسلامية حول طبيعتها ومقصد الفنان المسلم منها .. وهل قصده كان تخيل شيكل الجنة ؟

وعند انتهاء هذه العمارة صار المسجد النبوى على نحو فخر يليق بمقامه بين المساجد الجامعة عند المسلمين .. عمارة رائعة وزخارف من أرقى ما وصل إليه الفن الإسلامى فى المدرسة التركية وشرائط من الكتابات التى أبدع خطوطها مشاهير الخطاطين المسلمين مثل أفنان الخطاط زهدى وممدون على باب السلام :

رسول الله إبنى مستجير

بجاهك والزمان له اعتداء

وجاهك يا رسول الله جاه

رفيع ما لرقطه انتهاء

وظنى فيك يا طه جميل

ومنك الجود يعهد والسخاء

وحاشا أن أرى ضيما وذلا

ولى نسب يمدحك وانتماء

ولقد اهتم الخزافون الأتراك بتصوير المسجد النبوي على البلاطات الخزفية تعظيماً له وتبركاً به وقد حققت هذه الخزفيات أثراً تاريخياً وفنياً كبيراً في الدراسات المتعددة حول تاريخ العمارة في مسجد الرسول ﷺ وهذه البلاطات محفوظة في كثير من المتاحف العالمية ولعل أعظمها موجود بمتحف (طوبقا بوسراي) في استامبول بتركيا ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة وهما يشكلان أكبر تجمع أثري وفني إسلامي وقد أفادت هذه البلاطات كثيراً في التاريخ للمسجد النبوي ولعله من الملاحظ أن العثمانيين لم يولوا عنايتهم الفائقة لمساجد وجوامع في العالم الإسلامي إلا تلك التي أنشئت في تركيا بالإضافة إلى عنايتهم واهتمامهم بالحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة .

آل سعود والمسجد النبوي

وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود تم البدء في أكبر توسعة مرت على المسجد وهي (٢م ٦٠٢٤) .

وفي عهد الملك سعود بن عبد العزيز أصبحت مساحة المسجد (١٦٣٢٧ م ٢) وأقيمت هذه العمارة الخرسانية المسلحة من اعمدة تحمل عقوداً مدببة وقسم السقف إلى مسطحات مربعة .. وصنع للأعمدة المستديرة تيجان من البرونز زخرفت بزخارف نباتية وكسيت الأعمدة بالموزايكو وغطيت قواعدها بالرخام ، وأقيمت منذتان في الجهة الشمالية ارتفاع الواحدة ٧م وأساسها ١٧ م .

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز تم هدم البيوت الواقعة شمال وغرب الحرم عام ١٣٩٣ هـ وجعل عليها مظلات لحماية المصلين من الشمس محاطة بسور وميلطة بالرخام بمساحة (٢م ٣٠٤٠٦) .

وفى عهد الملك خالد بن عبد العزيز زِيدت مساحة المظلات بعد هدم بيوت أخرى لتبلغ المساحة الإجمالية للمظلات (٦٢٨٠٧ م٢) .

الملك فهد بن عبد العزيز والمسجد النبوي

ومنذ أن تولى الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله ملكاً على المملكة العربية السعودية فى ٢١ شعبان ١٤٠٢ هـ (١٣ يونية ١٩٨٢ م) كان شغله الشاغل توفير الرعاية الحجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد رسول الله ﷺ .

وقد شعر أن المظلات السابقة غير كافية ولا تفي بالغرض المنشود من رعاية المصلين والزوار لذلك عند زيارته للمدينة المنورة فى شهر المحرم عام ١٤٠٣ هجرية (أكتوبر ١٩٨٢ م) أمر بتوسيع مسجد رسول الله توسعة كبرى لتستوعب أكبر عدد ممكن من المصلين وتمتد هذه التوسعة من جهة الغرب حتى شارع المناخة ومن الشرق إلى شارع أبى ذر بمحاذاة البقيع ومن الشمال حتى شارع السحيمي ، ومنذ تلك اللحظة أخذت الدراسات مجراها بسرعة فائقة لدرجة أنه لم يحل العام التالى وبالتحديد فى يوم الجمعة التاسع من شهر صفر عام ١٤٠٥ هـ

(٢ نوفمبر ١٩٨٤ م) فى موكب حافل مهيب وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حجر الأساس لهذه التوسعة المباركة والتي فاقت كل التوسعات السابقة منذ عهد الرسول ﷺ وفى العام التالى وبالتحديد فى السادس من شهر المحرم عام ١٤٠٦ هـ (سبتمبر ١٩٨٥ م) كانت بداية العمل فى هذا المشروع الضخم وقد عهد إلى (مجموعة بن لادن السعودية) بتنفيذ هذا المشروع .

مبنى التوسعة .. المساحة والطاقة الاستيعابية

وهي التوسعة السعودية الثانية فقد تم إضافة مبنى جديد بجانب مبنى المسجد يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب بمساحة قدرها حوالي ٨٤٠٠٠ م^٢ تستوعب حوالي ١٥٠٠٠٠ مصل أى أربعة اضعاف المسجد المبنى قبلها .. وبذلك تصبح المساحة الإجمالية للمسجد بعد التوسعة حوالي ٩٨٥٠٠ م^٢ تستوعب حوالي ١٨٠٠٠٠ مصل وقد تمت الاستفادة من سطح التوسعة للصلاة بعد تغطيته بالرخام وبمساحة قدرها حوالي (٢٦٧٠٠٠ م^٢) تستوعب حوالي (٩٠٠٠٠ مصل) وبذلك أصبح المسجد النبوى الشريف بعد التوسعة يستوعب أكثر من (٢٧٠٠٠٠ مصل) ضمن مساحة إجمالية معدة للصلاة تبلغ حوالي (١٦٥٥٠٠ م^٢) تضمنت أعمال التوسعة إنشاء دور سقلى (بدروم) بمساحة الدور الأرضى للتوسعة وذلك لاستيعاب تجهيزات التكييف والتبريد والخدمات الأخرى وذلك بمساحة قدرها (٨٢٠٠٠٠ م^٢) .

المساحات

يشتمل المشروع كذلك على إحاطة المسجد النبوى الشريف بمساحات تبلغ مساحتها حوالي (٢٣٥٠٠٠ م^٢) أرضيتها مكسوة برخام أبيض بارد عاكس للحرارة والباقي مساحته حوالي (٢١٩٠٠٠٠ م^٢) أرضيتها مكسوة بالجرانيت وفق أشكال هندسية يطرز إسلامية وألوان متعددة جميلة وهي مخصصة للصلاة وتستوعب حوالي (٤٢٠٠٠٠ مصل) فى حالة استخدام كامل المساحة مما يجعل الطاقة الاستيعابية لكامل المسجد

والساحات المحيطة به تزيد عن (٧٠٠٠٠٠٠ مصل) لتصل إلى مليون مصل في أوقات الذروة .

القباب المنحركة

كما زود المسجد بسبع وعشرين قبة متحركة بقطر (١٨ م) وزنه (٨٠ طن) للواحدة تغطي مساحة (٢٢٤ م^٢) وتتوفر لها خاصية الانزلاق على مدار حديدية مثبتة فوق سطح التوسعة ويتم فتحها وغلقها بطريقة كهربائية عن طريق التحكم عن بعد مما يتيح الاستفادة من التهوية الطبيعية في الفترات التي تسمح فيها الأحوال الجوية بذلك .

أعمال الزخرفة

وقد صممت أعمال الزخرفة بالتوسعة بحيث تحقق التناسق والانسجام مع نظيرتها بالتوسعة السعودية الأولى وذلك لإبراز الجانب الجمالي في الفن المعماري الإسلامي .

ويشمل ذلك أعمال الجلييات والزخارف والكراتيش لتجميل الحوائط والكمرات والكينارات والمآذن وأعمال الخشب المشغول كالمشربيات والشبابيك والأبواب الخشبية المطعمه بالنحاس وأعمال النحاس كالدريزونات وتيجان الأعمدة والثريات المطلية بالذهب وأعمال التكمية بالرخام المزخرف على كامل الجدران الداخلية للتوسعة حتى علو ثلاثة أمتار والأعمدة الدائرية المكسوة بالرخام المستدير وقواعدها أيضا

مكسوة بأرخام المزخرف بأشكال هندسية وبها تجويفات خاصة لوضع المصاحف الشريفة بطريقة منظمة .

الأعمال الكهربائية

وشملت الأعمال الكهربائية لتوسعة المسجد النبوي الشريف أعمال الإنارة التي تتضمن (٦٨ نجفة كبيرة) و (١١١) نجفة أصغر حجما وكلها مصنوعة من النحاس والكريستال وكذلك حوالى (٢٠٤٥٠) وحدة إنارة منها (٧٣٣٠) نحاسية ومكبرات الصوت ونظام التحكم الأوتوماتيكي ودائرة تليفزيونية مغلقة للمراقبة تغطى جميع أجزاء المسجد والساحات الخارجية ونظام إنارة للطوارئ باستخدام بطريات شحن خاصة ، وأنظمة كشف الحرائق ومكافحتها وغرف خاصة للوحات المفاتيح وتركيبات الإنارة وشبكات التوزيع وذلك فى الدور السفلى من التوسعة كذلك أعمال الإنارة الخارجية للواجهات والمآذن .

الأعمال الميكانيكية

إن أعمال تلطيف هواء المسجد النبوي الشريف تعد من أكبر الأعمال فى العالم حيث ترى مواسير التبريد عبر نفق الخدمات بطول حوالى سبعة كيلو مترات ليصل ما بين المحطة المركزية للخدمات التى توجد بها أجهزة التبريد ومعدات ومولدات الكهرباء وبين دور التسوية بالتوسعة وبالإضافة إلى ذلك فقد تم تلطيف هواء المسجد القديم وفق أسس هندسية

ومعمارية تحوز دون إجراء أى تعديلات فى المبنى انقاصه او انمساك به
والمحافظة على شكله وذلك عن طريق دفع الهواء البارد من خلال فتحات
النوافذ الموجودة فى الجدار القبلى للمسجد .
وهذا يكون كل مسجد الرسول ﷺ وتوسعته قد تد تطيف هو انهما
بالكامل .

أبوابه

بعد أن تم عمل ساحات للمسجد محاطة به من جهاته اثلاث بعروض
تتراوح من ١٠٠ - ١٥٠ م أيضا فقد أصبح له (٨٢) بابا لها (٢٧)
مدخلا ... ويعمل معها (١٨) سلما متحركا إضافة الى (٣٦) سقفا
متحركا .

إن هذا المشروع الضخم العملاق قد انتهى وتم ربط توسعة خادم الحرمين
الشريفين الملك فهد بالتوسعة السعودية الأولى بالمسجد القديم كل فى
بناء واحد متناسق ومنسجم ليقف شاهدا أبدا الدهر على عظمة التشييد
وفخامته ودقة التنفيذ ومتانته ويدل على مدى ما بذل من فكر وجهد ومال
على تصميمه وتنفيذه بهذه الصورة الرائعة الخالية . وقد تفضل خادم
الحرمين الملك فهد حفظه الله بوضع آخر لينة لأكبر توسعة فى التاريخ
للمسجد النبوى الشريف يوم السبت الخامس من ذى القعدة ١٤١٤ هـ
الموافق السادس عشر من إبريل ١٩٩٤ م ويبدو مسجد الرسول ﷺ
الآن كدرة .

الباب الرابع الكعبة المشرفة الكعبة مركز العالم

سر أسرار الكعبة المشرفة يتجلى في أن الله ﷻ هو الذى اختار مكانها بنفسه فتحن نبنى المساجد ونختار لها الأماكن ولكن الله ﷻ هو الذى اختار مكان الكعبة بنفسه لذلك فهي تتوسط الكرة الأرضية من جميع الاتجاهات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فقد أوصت دراسة علمية أجراها المعهد القومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيائية بالقاهرة أن الكعبة المشرفة تمثل مركز الأرض وقد أوضحت الدراسة أن مكة المكرمة وكعبتها المشرفة هما مركز لدائرة نصف قطرها ثمانية آلاف كيلو متر بأطراف القارات القديمة آسيا وأفريقيا وأوروبا ، كما أنها أيضا مركز لدائرة نصف قطرها ثلاثة عشر ألف كيلو متر تمر بأطراف القارات الجديدة ، أمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، وأستراليا والمتجمدة الجنوبية .

وأشارت الدراسة أيضا إلى أنه من المحتمل أن تكون مكة المكرمة مركز اليابسة قبل ترحل القارات وانفصال بعضها عن بعض فى العصور الجيولوجية السخية .

فإذا كانت الكعبة المشرفة التى هى قبلة المسلمين هى فى البقعة المباركة والمكان الوسط فهى فى وسط الكوكب الأرض متوسط دنيا الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فبم ذلك على أن الله ﷻ هو الذى اختار مكان رسالته وموقع قبلة الصلاة ومهبطه فى هذا المكان الوسط

الذى يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ويتناسب مع الرسالة العامة
الخاصة لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم .
وهكذا اقتضت الحكمة الربانية أن يكون المكان وسطا في جغرافية الأرض
لتنمك الدعوة من أن تنتشر في ربوع الأرض وتؤدي أمة الإسلام أمانة
التبليغ التي حملها الله تعالى إياها حيث نزل الوحي قرآنا وسنة بلسان
عربي مبين ، وفي أمة عربية وفي مكان وسط من العالم كل هذا يؤكد
وجوب تبليغ الأمانة التي كلف الله تعالى هذه الأمة بها وشرفها بإنزال
الوحي على أرضها وأرسل رسولا من أنفسهم وقيام القبلة الكعبة
المشرفة في هذا المكان الظاهر والحرام الأيمن في قلب العالم .. وهكذا
تتكشف حقيقة نزول الوحي الإلهي في البلد الحرام والقبلة المشرفة داخل
المسجد الحرام فمكة المكرمة هي مركز الكرة الأرضية ووسط العالم
بأسره ..

الفصل الأول

أبهما أقدم وجوداً مكة أم الكعبة ؟

والإجابة الحاسمة بناء على النصوص الموجودة بين أيدينا أن الكعبة المشرفة أقدم وإنها عاصرت التاريخ الإنساني .

قال تعالى :

” إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين ” در عماد / ٩٦

يقول المفسرون :

إن المراد هو أن البيت الحرام ” الكعبة ” أول بيت وضع للناس ومان الهدف أن يعبد الله فيه وأنه كان موجوداً قبل هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض فلما هبط آدم أمر بأن يحج إليه ويطوف حوله حتى لا تتوقف الصلة بين الخالق والمخلوق .^١

والذي يبين لنا أن الكعبة المشرفة إنما هي أقدم من مكة ما يلي :

قد أورد السهيلي في الروض :^٢

” أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود قباذا هو : ” أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحفظتها بسبعة أفلak حنقاء ، لا تزول حتى يزول أخشابها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن ”

وهذا ما يدل على أن مكة خلقتها الله يوم خلق السموات والأرض وقد أورد السهيلي أيضاً أن الكعبة كانت على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض وإليك نصه :

^١ تفسير الإمام البيهقي ج ١ / ٩٣ .

^٢ الروض الأنف للسبكي ج ١ / ٢٢٦ .

في الخبر أن موضعها كان " أي الكعبة " غشاء على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التربة قبل السماء ، فلما خلق السماء وقضاهن سبع سماوات دحا الأرض أي بسطها وذلك قوله سبحانه : " والأرض بعد ذلك دحاها " هـ زك / ٣٠

وإنما دحاها من تحت مكة ولذلك سميت أم القرى .

وعن سعيد بن سلام عن طلحة عن ابن عباس أنه قال : كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض وبعث الله تعالى ريحا هفافة فصفت الماء فأبرز الأرض من تحتها فمادت ثم مادته فإوتدها الله تعالى الجبال ولذلك سميت أم القرى .

وعن عثمان بن عبد الرحمن بن هشام قال: خلق الله عز وجل الكعبة قبل أن يخلق أي شيء بألف سنة وإن قواعدها في الأرض السابعة " وعن عبد الله بن عمر قال :

خلق الله الكعبة قبل الأرض بألف عام ودحيت الأرض تحتها .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أول بقعه وضعت في الأرض هذا البيت ثم مدت منها الأرض وقيل إن الكعبة قد أنزلها الله بإتوته من السماء مجوفة .

وعن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ أي المساجد وضع في الأرض قال : المسجد الحرام فقلت ثم أي قال : المسجد الأقصى ، فقلت كم بينهما قال : أربعون سنة " ٢

وقد روى الواحدى عن مجاهد قال : خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق الأرض . وفي رواية قبل أن يخلق شيئا بألف سنة .

^١ عن تاريخ السابق / ٢٢٢ .

^٢ زياد الدين في شعب الإيمان .

وعن عبد الله بن عمر قال : إن أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض وقد خلق الله قبلها بألف عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الأرض من تحته " .

وفى التفسير : أن الله سبحانه حين قال للسماوات والأرض :

" انثيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين " .

لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم فلذلك حرمها .^١

وعن ابن عباس : خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة

أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألف عام ، ثم دحيت الأرض من تحت البيت .^٢

^١ الروض الأندلسي ج ١ / ٢٢٢

^٢ إمام الأحكام القرآن الترضي ١٩ / ٢٠٥ .

الفصل الثاني الكعبة في أبنية الجاهليين وأشعارهم

و-١، الناس في الجاهلية قد فرقوا بين أبنيتهم العادية والبيوت التي كانوا يعظمونها بأن جعلوها هذ البيوت المعظمة مربعة الشكل بينما جعلوا المساكن العادية مدورة

ولما ابنتى حميد بن زهير لنفسه بيتا مربعا استعظمت قريش فعلته وقال قائلها : (ربيع حميد بن زهير بيتا إما حياة وإما موتا)^١

كما كانوا يطلقون على القصر ذي الغرفة المربعة العالية : ذا الكعبات ، وفي هذا المعنى قال المتأسس ، الشاعر :

لك السدير ومبارق ومبايض ولك الخورنق^٢

والقصر من سندل ذو الكعبات والنخل الميثق

ومثله الأسود بن يعفر في بعض الروايات قوله^٣

أهل الخورنق والسدير ومبارق

والبيت ذي الكعبات من سنداد

ولشاعرين كلاهما ، يقصدان (بالكعبات) الغرف المربعة المرتفعة .

^١ نهاية الأرب في فنون الأدب شهاب الدين النوري ج ١ / ٣١٣ .

^٢ السدير والخورنق فطران منقاران في الحيرة من بلاد العراق ويقال إن أولهما ناه العمان الأكبر لبعض ملوك المعجم .

^٣ معجم البلدان المجلد / ٣ ص ٢٠١ .

الفصل الثالث الكعبة فى الجاهلية

كان العرب فى الجاهلية يظنون الكعبة ويطوفون حولها ويذبحون لها وكانوا يقدمون لها القرابين وكانوا يلوثون بدمانهم ولحومهم حيطان الكعبة المشرفة لأنهم لم يفهموا الهدف من النحر وهو التقوى قال تعالى :

" لَنْ يَنْالَ اللَّهُ لِحُومَهَا وَلَا دِمَائِهَا.." ص ٢٠٧

فكانت الناحية الخلقية عندهم ضعيفة - غير الأعراف والآداب والقيم الجاهلية التى كانوا يؤمنون بها ويعضون عليها بالتواجد فقد فُشى فيهم القمار والميسر وافتخروا به ، وفُتت فيهم الخمر وانتشرت القيان ومجالس اللهو وحفلات العزف يُقدم فيها الشراب ، وفُشا فيهم بعض الفواحش ، وقد وجد الظلم والقسوة وغمط النامس ، وبطر الحق ، وأكل أموال الناس بالباطل ..

ولا تصوير للحالة الخلقية التى كان يعيشها أهل الجزيرة بصفة عامة وأهل مكة بصفة خاصة أبلغ وأصدق من تصوير جعفر بن أبى طالب الهاشمى - وهو ابن مكة الأصيل - للحياة العربية والأخلاق الجاهلية أمام النجاشى وقد جاء فيه :

" أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف "

وكانت الناحية الدينية أضعف بحكم بُعد العهد بالنبوات وفُشو الجهل وانتشار الوثنية التى اقتبسوها من الأمم المجاورة فغلوا فيها - من

^١ راجع سيرة ابن هشام ق ١ / ٢٢٦

الناحية الادبية والحضارية فاغرقوا فى الوثنية واولعوا بالاصنام ، فكان فى جوف الكعبة وقناتها ثلاثمائة وستون صنما ، وكان كبيرها عندهم (ذبل) وهو الذى نادى به ابو سفيان بعد وقعة أحد . فقال : " اعل ذبل " وكان على بنر فى جوف الكعبة وهى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان بالعقيق الأحمر على صورة الإسمان مكسور اليد اليمنى أدرکه قریش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان أمام البيت صنمان (إساف) و (نائلة) وموضعها عند الكعبة ، أحدهما يلصق بالكعبة والآخر بموضع زمزم فنقلت قریش الذى يلصق بالكعبة إلى الآخر فكاتوا ينحرون ويذبحون عندهما وكان على الصفا صنم يقال له (نهيك مجاود الريح) وعلى المروة صنم يقال له (مطعم الطير) وكان فى كل دار من مكة صنم يعبدونه وكانت (العزى) قريبا من عرفات وكان عليها بيت وكانت أعظم الأصنام عند قریش ، وكانوا يستقسمون عند أصنامهم بالأزلام ، وكانت (الخلسة) بأسفل مكة وكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها المشير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ، ويعلقون بيض النعام بها ، وكانت الأصنام يطاف بها فى مكة ، فيشترها أهل البادية ويخرجون بها إلى بيوتهم^١ .

^١ السيرة النبوية للنذوى / ١٠٨ وما بعدها

الفصل الرابع

تعدد البيوت التي عرفت باسم الكعبة في الجاهلية

وجد في بلاد العرب بيوت عرفت ببيوت الأوثان والأصنام أو البيوت الحرم يقصدها الحجيج في مواسم معلومة تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية وكان من أشهر هذه البيوت في الجزيرة العربية بيت الأقيصر ، وبيت ذى الخلصة ، وبيت صنعاء ، وبيت رضاء ، وبيت نجران .

لكن بيت الله الحرام بمكة قد احتل مكانة لم تتح لغيره من بيوت الأصنام الأخرى في سائر أنحاء الجزيرة العربية ، لأن مكة كانت ملتقى طرق القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب وكانت محطة لازمة لمن يحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب . وكانت القبائل تتوّد بمثابة مطروحة تتردد عليها . وقد رغب القبائل فيها أن مكة لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل .

فليست في مكة دولة كدولة التبايعة في اليمن ، أو مملكة المناذرة في الجزيرة ، أو الغساسنة في الشام وليس من وراء أصحاب الرياسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو الفرس أو الحبشة وراء الإمارات المتفرقة على السواحل . أو بين بوادي الصحراء ، فهي مثابة عبادة وتجارة وليست حوزة ملك يستبد بها صاحب العرش ولا يبالى من عداه فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية . وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب ولهذا اجتمعت لها الخصائص التي كانت لأزمة لمن يقصدونها ويجدون فيها من يبادلهم ويبادلونه بحكم المنفعة المتبادلة .

والكعبة قديمة سابقة لأسفار العهد القديم في التوراة وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها هو إبراهيم وابنه إسماعيل على نبينا وعليهما

أفضل الصلاة والملازم قال تعالى " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً "

ل عمرو / ١٩٦٧

ويقول تعالى " وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهرت بيته للطائفين والقائمين والركع السجود " ص ٢٦١

ويقول تعالى " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل " لفر ١٢٧
من هذه الآيات نفهم أن المنطقة كانت معروفة حتى هيأ الله لإبراهيم أن يرفع قواعد البيت وقد ذكرت المصادر القديمة مكة كما تحدثت عن البيت الذي تعظمه العرب وهو الكعبة .

وقيل أن نتكلم عن الكعبة المشرفة التي تقديست في الإسلام وجعلها الله بيته الحرام في مكة المكرمة فإننا نستعرض فيما يلي أسماء البيوت التي عظمها أهل الجاهلية وحاولوا أن يضاهاوا بها تلك الكعبة وأن يصرّفوا وجود الناس عنها لأسباب قبلية أو سياسية أو دينية .

١ - القليس :

وسميت بالقليس ١ لارتفاع بنياتها وعلوها ، قال ياقوت الحموي الرومي نقلًا عن عبد الرحمن بن محمد ومنه القلائس لأنها في أعنى الرؤوس ، والقليس : كنيسة عظيمة شادها أبرهة بن الصياح قائد جيش الحبشة في صنعاء لما ملك اليمن ونقشها بالذهب والفضة وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر وجعل فيها خشباً له رؤوس كرؤوس الناس ودهنها بأنواع الأصباغ وجعل خارج قبتها برنسا فإذا كان يوم عيدها كشف البرنس عنها فيتلاها رخامها مع ألوان أصباغها حتى تكاد تخطف الأبصار .

١ القليس ، تصغير قليس وهو الخيل الذي تتحد من لبع التحل أو حوصه ومنه القلائس لأنها في أعلى البرنس
تقلى برجل وتقلي إذا لم يفسد ، وقلى طعاماً أي أرتفع من معدته إن به .

وقال الحسم شاعر أهل اليمن فى هذه الكنيسة :

من القنص هلال كلما طلعا * كادت له فتن فى الأرض أن تقعا
حلو شماله لولا غلاته * لمال من شدة التهيف فاتقطعا
كاته بطل يسعى إلى رجل * قد شد أقبه السدان وادرعاً .

ولما انتهى أبرهة من بناء هذه الكنيسة كتب إلى النجاشى . (بنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم بين مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب) ١ ولقد أراد أبرهة (وكان نصرانياً) من بناء القليس ، أن يتخذ منها كعبة تضاهى الكعبة المشرفة التى فى مكة المكرمة كى يتحول إليها العرب ويجعلوا حجهم إليها من دون بيت الله الحرام ، ولكن الله عز وجل لم يحقق له أمله .

فلقد ذكر المؤرخون أنه لما تحدث العرب بما كتبه أبرهة إلى النجاشى ، غضب رجل من بنى نعيم وخرج حتى أتى القليس وقعد فيها (أى تغوط) ثم لحق بقومه فلما أخبر أبرهة بما أصاب هذه الكنيسة من التلويت المهين ، قال من فعل هذا فليل له : فعل هذا رجل من أهل البيت الذى تجح إليه العرب بمكة .

لما سمع قولك (أصرف إليها حج العرب) فجاء مغضبا وفعل فيها ما فعل ، وقال إنها ليست أهلا لذلك . فغضب أبرهة وحلف ليسيرن إلى الكعبة المشرفة ويهدمها . وفعلا أمر أبرهة جيشه بالاستعداد للحرب وخرج به ومعه الفيل على مقدمته وفى هذه الواقعة نزلت سورة الفيل فى القرآن الكريم ..

وأشار صاحب الروض الألف ١ إلى هذه الكنيسة فقال ما خلاصته إنها عرفت بهذا الاسم لارتفاع بنائها بحيث يشرف منها على مدينة عدن .

وكان ابرهة قد استنزل أهل اليمن فى بنائها وجثمهم أنواع من السخرة ونقل إليها من قصر بلقيس الأعمدة من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب ، حتى بلغ ما أُراد لها من البهجة والرواء ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنبر من العاج والأبنوس فلما تلاشى ملك الحبشة من اليمن اقتر ما حول الكنيسة ولم يعمرها أحد ، وكثرت حولها السباع والحيات ، فكان العرب يتخوفون من اقتراب منها . ويزعمون أن من أخذ شيئا من أنقاضها استهوته الجن ، فبقيت كذلك إلى زمن العباس السفاح ، فبعث إليها عامله على اليمن (وهو أبو العباس بن الربيع) فأخذ من أنقاضها الثمينة أشياء كثيرة وباع ما أمكن بيعه من الرخام والخشب المرصع بالذهب ونحو ذلك ، فعفى بعد ذلك رسمها وأنقطع خبرها ودرست آثارها ، من الأنصاب التى كانت فيها تمثال من الخشب طوله ستون ذراعا وآخر بجانبه قالوا إن الأول يمثل كعبثا والأخر امرأته ٢ .

٢ - كعبة جحوان .

ونجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة ، وقد أخذت هذه الكعبة اسمها من نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، لأنه كان أول من عمرها ونزلها . وكان أهل نجران نصارى وفيهم نزلت الآية الكريمة التى تشير إلى ما فعله بهم ذونواس اليهودى الذى أراد حملهم على اعتناق اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاخترأوا الأمر الثانى . فحفر ذونواس أخدودا وألقاهم فى أعماقه وجعلهم بين قتيل بالسيف أو قتيل بالنار

^١ الروض الأم للبهلى ١ تصدرة ابن هشام ص ٦٢ ، ٦٣ .

^٢ حاشية لأحد ركنى باشا فى كتاب الأضام لأبى الكلى ص ٤٦ .

وفيما يلي قول الله ﷻ :

" قتل أصحاب الأخذود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد"

طروح: ١٠١

وكعبة نجران هذه ، كانت بيعة بناها بنو عبد المدان الديان الحارثي وجعلوها على شكل الكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة وبالغوا في ضخماتها وجعلوا لها قبة من آدم في ثلاثمائة جلدة وكانت هذه البيعة على نهر بتجران ، وكان المسيح بن دارس بن عدن بن معقل يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار وينفقها كلها على القبة .

ولقد عظم نصارى العرب هذه البيعة وسموها (كعبة نجران) معناها بالكعبة المشرفة التي في مكة المكرمة ..

ويقول ابن الكلبي في كتابه الأصنام : (إن كعبة نجران كانت ملجأ للخائف ومقصدا لطلاب الحاجات والراغبين في الضيافة فإذا جاءها الخائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت أو مسترفدا رُفد) ١ ولما جاء الإسلام وعمت دعوته سائر القبائل في الجزيرة العربية حرص النبي ﷺ على أن لا يبقى في هذه الجزيرة مع الإسلام أي دين آخر ، وقال : الآخرين اليهود والنصارى عن جزيرة العرب حتى لا ادع فيها مسلما .

ولم يمتحن النبي ﷺ من هذا التعميم أي فنة أو موضع من هذه البلاد بل أنه قبيل وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى نبه على أصحابه ضرورة إجلاء ما تبقى في الحجاز من اليهود وما كان في نجران نفسها من

١ مسند البلدان ، المجلد الخامس / ٢٦٦ وما بعدها .

النصارى فقال: " أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب " ١

ويظهر أنه بقى بعض النصارى فى نجران بعد وفاة النبى ﷺ مستتدين إلى كتاب كتبه لهم وسلمه إلى وفد منهم وفد عليه كان فيه السيد واسمه وهب والعاقب واسمه عبد المسيح والأسقف وهو أبو حارثة فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه أنفذ لهم من كتبه رسول ﷺ فى هذا الكتاب ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر مثل هذا الكتاب الذى لم يتأكد وجوده بالفعل وقال كلمته المشهورة (لا يبقى فى جزيرة العرب دينان) وأمر بإخراج هؤلاء النصارى من نجران كما فعل بغيرهم من أبناء الملل الأخرى .

ولقد روى ياقوت الرومى عن سالم بن أبى الجعد قال :
جاء أهل نجران إلى على رضى الله عنه فقالوا : شفاعتك بلسانك وكتابتك بيدك أخرجنا عمر من أرضنا ، فردها إيتنا منيعه فقال على : (يا ويلكم إن كان عمر رشيد الأمر فلا أغير شيئا صنعه) .
ويقول الأعمش تطبيقاً على هذه الواقعة : لو كان فى نفسه (أى على رضى الله عنه) عليه شيء لا غتتم هذا !
ولقد لى الشاعر الأعمشى على ذكر نجران وكعبتها فى قصيدة له يخاطب نائته :

ك حتى تناخى بأبوابها	وكعبه نجران حتم عليه
وقيسا ، هم خير أريابها	تزور يزيدا وعبد المسيح
ين والمسمعات بقصابها	وشاهدنا الورود والياسم
فأى الثلاثة أزرى بها	ويربطنا داتم معمل

١ من الترمذى السابق

٣- كعبة ذي الخلصة .

الخلصة فى اللغة ، نبت طيب الريح ، يتعلق بالشجرة له حب كعنب الثعلب ، جمع خلصة ، خلص بفتح أوله وثانيه ، ويضاف إليه ذو ، وهو بيت أصنام كان لقبائل روس وختعم وبجيلة ومن كان ببلاهم بتبالة . وتبالة (أوله مكسور) موضع فى اليمن أوفى تهامة . وقيل إن كعبة ذى الخلصة كانت بيتاً لصنم منصوب بأسفل مكة .

وكان أهل الجاهلية يلبسونه القلائد النفيسة ويعلقون عليه بيض النعام ويذبحون أضحياناً لهم وقرابينهم عنده .

وعرفت هذه الكعبة بأسماء عدة منها الكعبة اليمانية . بمقابل البيت الحرام الذى كان يدعى الكعبة الشامية . والذى تولى سدانته من أهل الجاهلية هم : بجيلة وختعم والحارث بن كعب وجرم وذبيدة والغوث بن مريم وأوينو هلال بن عامر ، قال ياقوت نقلاً عن أبى المنذر : ومن أصنام العرب ، ذو الخلصة .

وهو مروة (صخرة بيضاء منقوش عليها كهينة التاج) وكانت العرب تعظم هذه الكعبة وتهدى لها الذبائح .

وفى رواية لابن إسحاق نقلها المؤرخ الدكتور جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) (أن عمر بن لحي . نصب ذا الخلصة بأسفل مكة ، فكانوا يلبسونها القلائد ويهدون إليها الشعير والحنطة ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويعلقون عليها بيض التفاح)

ويضيف المؤرخ المذكور إلى قوله : (ويظهر من رواية لابن الكلبي أن العرب جميعها كانت تعظم ذا الخلصة) ١

ولما فتح النبى ﷺ مكة المكرمة وتوافق عليها العرب معنيين إسلامهم قدم عليه جرير بن عبد الله مسلماً فقال له النبى ﷺ يا جرير إلا تكفينى

١ تاريخ العرب قبل الإسلام - د/ جواد على ج ٥ / ١٠٧ .

ذا الخلصة فقال جرير بلى فوجهه إلى هذه الكعبة فلما بلغها نازل سدنتها من بنى قحافة بن عامر بن خثعم وانتصر عليهم وهزمهم وهدم بنيان ذا الخلصة وأضرم فيها النار فاحترقت فقاتلت امرأة من بنى خثعم :
 وبنو أمامة بالولية صرعوا * شملا يعالج كلهم أنبويها
 جاءوا لبيضتهم فلاقوا دونها * أسد ايقب لدى السيوف قبويها
 تسم المذلة بين نسوة خثعم * فتیان أحمی قسمة تشعييا .
 ولكعبة ذى الخلصة مع أمير شعراء الجاهلية قصة جاء فيها أنه لما قتلت بنوا أسد أباه حجرا وخرج يستجد بمن يعينه على الأخذ بثأره..
 مر يتبالة وبهاذ والخلصة ، فاستقسم عنده بقداحة وهي ثلاثة^١ ، الأمر والنأى والمتربص ، فأجالها فخرج النأى ، ثم أجالها فخرج النأى به وجه ذا الخلصة وخاطبه قائلاً : (" ... لو قتل أبوك ما نهيتى ") فقتل عند ذلك : (" لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا ** مثلى وكان شيخك المقبور الم تمته عن سئل العداة زورا .
 وفى كتب السيرة أن الصنم الذى كان بكعبة ذى الخلصة جعل فى الإسلام عتبة لباب مسجد تبالة ، أما كعبة ذى الخلصة نفسها ، فيقول ابن حبيب أنها فى عهد (صارت بيت قصار فيما أخبرت)^٢

٤- (اللات) :

يقول الدكتور جواد على : " واللات صنم من الأصنام المشهورة عند العرب وهو أيلات الإله الرئيسي عند العرب فى أيام المؤرخ هيرودوت

^١ الاستقام هو ما كانت عليه عادة العرب فى جاهليتهم من استشارة الأصنام فيما يفعلون أو يمتنعون وقد أبطل الإسلام هذه العادة وحرّمها على المسلمين .

^٢ ابن جرير ، أو جعفر عماد بن حبيب بن أمية بن عمراة خاشم البغدادى : رواية بن سعيد الخضر بن الحسين السكرى ، أعي تصحيحه المذكورة / اجرة لبحر شنبتر . ص ٣١٥ .

وهو (اللت) فى نصوص الحجر وصلخد ، أى النصوص البنطية التى
عثر عليها فى هذه الجهات ويظن أن (اللات) هى الشمس ، بدليل أن
الشمس أنثى أى إلهة فى العربية وفى كثير من اللهجات السامية الأخرى
وأن اللات أنثى كذلك ' .

ويقول ابن حبيب : (كان اللات بالطائف لثقيف على صخرة ، وكانوا
يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة) التى فى مكة المكرمة) وكان
له حجة وكسوة وكانوا يحرمون واديه) .

وكانت سدانة هذا البيت لآل أبى العاص بن أبى يسار بن مالك من
ثقيف أو لبني عتاب ابن مالك ، وكانت قریش وجميع العرب يعظمونه
أيضا ويتقربون إليه حتى أن ثقيفا كانوا إذا قدموا من سفر توجهوا إلى
بيت اللات أولا للتقرب إليه وشكره على السلامة ثم يذهبون بعد ذلك إلى
بيوتهم .

وقد تم هدم هذا البيت فى أيام النبى ﷺ دمه أبو سفيان بن حرب
والمغيرة بن شعبة .

ويقول بن الكلبي فى كتابه (الأصنام) ' :

" اللات بالطائف ، وهى أحدث من (مناة) وكانت صخرة مربعة وكان
يهودى يلت عليها السويق ، وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف
اليسرى اليوم (أو آخر القرن الثانى للهجرة) وهى التى ذكرها الله فى
القرآن الكريم فقال : " أفرايتم اللات والغزى " ص ١٩

وفيه يقول شداد بن عارض الجشمى حين هدمت وحرقت ، ينهر ثقيفا
عن العودة إليها والغضب لها

' تاريخ العرب قبل الإسلام ، القس العيني ، ج ٥ ص ٤١

' كتاب الأصنام ص ١٧، ١٦ .

لا تتصروا اللات إن الله مهلكها

وكيف نصركم من ليس ينتصر

إن التي حرقت بالنار فاشتعلت

ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

إن الرسول متى ينزل بمساحتكم

يطعن وليس بها من أهلها بشر

وكانت ثقيف تخص اللات بالعبادة بينما كانت قريش تعبد العزى ،

وكانوا يسمون بيت اللات (الربة) فقد جاء فى حديث عروة بن مسعود

الثقفى لما أسلم وعاد إلى قومه دخل منزله ، فأنكر قومه دخوله قبل أن

يأتى إلى (الربة) يعنون بها اللات كما جاء فى حديث وقد ثقيف ، على

النبي ﷺ " وكان لهم بيت يسمونه (الربة) يضاهنون به بيت الله " .¹

وفى تاج العروس : (بيت الربة وهو البيت الذى بنى على اللات) .

ويقول جواد على فى كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) :

" وأما الصنم (اللات) فإنه من الأصنام القديمة المشهورة عند

العرب وهو (آيت) الإله الرئيسى عند العرب فى أيام المورخ

(هيرودوت) وهو (اللت) فى نصوص الحجر وملحد أى فى

النصوص القبطية التى عثر عليها فى هذه الجهات .. وهو (ه ل ت)

فى النصوص الصفوية ، ولعله (هلات) أى على نحو ما ينطق بالكلمة

فى لهجة القرآن الكريم والهاء فى الكلمة أداة تعريف فى اللهجة الصفوية

فيكون المراد (اللات) ويظن أن (اللات) هى الشمس بدليل أن الشمس

أنثى ، أى إلهة فى العربية وفى كثير من اللهجات السامية الأخرى ، وأن

(اللات) أنثى كذلك .

¹ كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ١٠٩ .

² ج ٥ ص ٩١ وما بعدها .

وجاء فى الروض الأنف للسهيلي .

اللات وسبب عبادته : وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على
البيوت ونفت جرهم عن مكة ، قد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا
اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم ، فربما يخرج
فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكساء عشرة آلاف حلة ، حتى ليقال : " .
إنه اللات الذى يلت السويق ' للحجيج على صخرة معروفة تسمى

(صخرة اللات) ويقال إن الذى يلت كان من ثقيف فلما مات قال ليهم
عمرو أنه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا
عليها بيتاً يسمى (اللات) ويقال : " دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة
ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة (اللات) مخففة التاء واتخذ
صنماً يُعبد ، وقد ذكر ابن اسحق أنه أول من أدخل الأصنام الحبرم وحمل
الناس على عبادتها .

وذكر أبو الوليد الأزرقي فى أخبار مكة أن عمرو ابن لحي فقاً أعين
عشرين بعيراً وكتاتوا يلقنون عين الفحل إذا بلغت الإبل ألفاً فإذا بلغت
ألفين فقتلوا العين الأخرى .

٥- ذو الكمبان :

وهو من البيوت المنظمة عند غرب الجاهلية وكان لربيعة ، وموقعه
فى القسم الشمالى الشرقى من جزيرة العرب عند نهر يقال له (سنداد)
وإليه كانت العرب تحج .

ح ١ ص ١٠٢ .

ص ١٠٠ جمع من الخطة والشعر المدفوق .

وقد دعى هذا البيت (ذو الشرفات) ويروى المؤرخون ان الخليفة
الأموي عمر بن عبد العزيز مر بقصر لآل جفنة ، فتمثل مولاد مزاحم
بقصيدة الأسود النهشلى التى يقول فيها ' :

ماذا أدخل بعد آل محرق

تركوا منازلهم وبعث إياد

أهل الخورنق والسدير وبارق

والقصر ذى الشرفات فى سنداد

فقال له عمر : " الأقرات :

كم تركوا من جثات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورثناها قومًا آخرين " سما / ٢٠٢٥

وفى كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمذانى :

أو كانوا - أبى العرب - يصيدون بيتا سمي (ذا الكعبات) وفيه يقول
المتمس الشاعر :

ألك السدير وبارق

ومبايض ولك الخورنق

والقصر من سنداد

ذو الكعبات والنخل المبنيق

وفيه كذلك يقول الأسود بن يعفر فى بعض الروايات :

أهل الخورنق والسدير وبارق

والبيت ذى الكعبات من سنداد

١ ن ضريح الميثونوجيا عند العرب / محمود سلبه الحوت ، ج ١ ص ١٢٧ .

٦- بعثت غمدان :

وإلى جانب (الكعبات) التي ذكرناها ، فإنه كان للعرب فى جاهليتهم
بأبي : بيت يعظمونه ويؤدون فيه مناسكهم الدينية الوثنية ، وهو (بيت
غمدان) وهو الذى شاده فى صنعاء أحد ملوك اليمن ويدعى (ليشرح بن
يحبص) وجعله على اسم الزهرة (الكوكب) الذى اشتهر كذلك باسم
(عشتروت) فقد نقل ياقوت الحموى الرومى البغدادى عن هشام بن
محمد بن السائب الكلبى أن ليشرح هذا أراد اتخاذ قصر له بين صنعاء
وطيوة فأحضر البنانيين والمقدريين لذلك ، فمدوا الخيط ليقدروه فانقضت
على الخيط حداة ، فذهبت به فاتبعوه حتى ألقته به فى موقع غمدان ، فقال
ليشرح : " ابنوا القصر فى هذا المكان " فبنى على أربعة أوجه (وجه
أبيض * وجه أحمر * وجه أصفر * وجه أخضر) وبنى فى داخله قصر
على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً وكان ظله إذا طلعت
الشمس يرى على (عتيان) وبيتهما ثلاثة أميال وجعل أعلاه مجلساً يتأد
بالرخام الملون ، وجعل سقفه رخامة واحدة ووضع على كل ركن من
أركانه تمثال أسد من نحاس كاعظم ما يكون من الأسد ، فكانت الريح إذا
هبت على ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه ،
فيسمع له زئير كزئير السباع .

وكان يأمر بالمصاييح فتضاء فى ذلك البيت فكان سائر القصر يلمع من
ظاهره كما يلمع البرق ، فإذا أشرف عليه الإنسان من بعض الطرق ظنه
برقاً أو مطر ولا يعلم أن ذلك من ضوء المصاييح .

قال ياقوت :

وغمدان الذى حدثت عنه

بناد مشيداً فى رأس نيق

يمر مرة وأعداد رخام

سخام لا يعيب بالشقوق

مصايح السليط يلحن فيه

إذا يمسي لتوما في السبروق

فأصبح بعد جدته رمادا

وغير حسنه لهب الحريق

وهذا البيت الذي كان أول معبد بنى في جنوب الجزيرة العربية بقى قائما إلى ما بعد ظهور الدعوة الإسلامية ، ولما ولي عثمان بن عفان الخلافة أمر يهدمه ، ف قيل إن كهان اليمن يزعمون أن الذي يهدمه يقتل ، فأمر بإعادة بنائه فقيل له ، لو أنفقت عليه خراج الأرض ما أعدته كما كان فتركه خرابا ، ويقول ياقوت أنه وجد على خشبة في هذا البيت وعليها كتابة من الرصاص المصبوب: " أسلم غمدان ، هادمك مقتول) ومن عجب المصادفة أن هذا الخليفة لقي حتفه قتلا على ما هو معروف في التاريخ . (وهو قوله مردود على من قاله فضمان لا يؤمن بالكهانة) تقول : " وفي صنعاء اليوم قصر معروف بهذا الاسم قد اتخذت منه الحكومة اليمنية في المدة الأخيرة مستودعا للأسلحة والذخائر الحربية ، ويقال بأن هذا القصر الحالي قديم العهد ولكنه لا يرقى في بنائه إلى العصر الجاهلي بل هو من الأبنية التي شيدت في العهد العثماني وليس بين العصرين القديم والحديث أية صلة تاريخية ، وإن كانا يحملان اسما واحدا .

هذا وإن المسعودي عد (بيت غمدان أحد المعابد السبعة التي تعتبر أقدم ما عرف البشر من البيوت المعظمة في التاريخ) .

٧- يعقوب بن يعقوب:

قال ابن الكلبي ١ : " وكان لحمير بيت بصنعاء يقال له رنام يعظموه ويتقربون عنده بالذبانح وكانوا فيما يذكرون يكلمون منه ، فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه إلى العراق قدم معه الحبران اللذان صحباها من المدينة ، فأمراد يهدم رنام قال: " شأتكما فهدهما وتهود تبع وأهل اليمن فمن ثم لم أسمع بذكر رنام ولا (نسر) في شئ من الأشعار والأسماء ، قال هشام أبو المنذر : " ولم أسمع في رنام وحده شعرا وقد سمعت في البقية ..) .

وقال السهيلي في الروض : " وذكر البيت الذي كان لهده يقال له (رنام) وهو مقل من رنمت الأتشى ولدها تر أمه رنما ورناما إذا عطفت عليه ورحمته .

فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته والله أعلم ^٢ .

وذكر ابن هشام في هدم البيت المسمى رنام : قال ابن اسحق : " وكان رنام بيتا لهم يعظموه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم ، فقال الحبران لتبع : " إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه .

قال : " فشأتكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدمنا ذلك البيت فبقاياها اليوم - كما ذكر لي - بها آثار الدماء التي كانت تراق عليه ^٣ .

^١ محمد المداد : باقوت الرومي الحموي ، مجلد ٤ ص ٤٦٣ .

^٢ ازروض الأنف للجبلو ح ١ ص ٤٢ .

^٣ نسر المرجع السابق .

ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال^١ :

" ذو الشرى صنم كان لدوس ، كانوا قد حموا له حمى "

وقال أيضاً : " الشرى جبل بنجد في ديار طى وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع .. وموضع عند مكة .. وفي مكان آخر قال ياقوت : (الشرى ما كان حول الحرم ، وهى الشراء الحرم) على أن المصادر اللاتينية قالت إن ذا الشرى كعبة كانت فى مدينة سلع بالبتراء ، وأن هذه الكعبة كانت بيتاً على اسم (الشمس) وأن كلمة (ذى الشرى) هو الاسم الآخر للشمس ، ومعناه (الإله المنير) ، ولقد كان هذا الإله الأسطوري قائماً على قاعدة مكسوة بالذهب فى بيت خاص به وهذا البيت كان أيضاً قائماً على صخرة مرتفعة^٢ وهو موسى بالذهب وبداخله صور تمثل تقديم القرابين إليه وكان الأقباط وسائر الناس يحجون إليه من مواطن بعيدة تقرباً للصنم الذى بداخله^٣ .

ويرى بعض الكتاب من اللاتين واليونان أن (ذا الشرى) هو نفس الإله الأسطوري القربى باخوس ديونيسيسوس وكان أهل الجاهلية يطلقون عليه اسم رب البيت .

وذكره ابن الكلبي فى جملة الأصنام التى عبدها العرب وأنه كان خاصاً ببنى الحارث بن الشكر بن مبشر (هناك من يقول بأنه كان يوجد بداخل هذا البيت حجر أسود غير مصقول ارتفاعه ٤ أقدام وعرضه قدمان وكان الناس يقصدونه من أماكن قريبة للاحتفال به فى اليوم ٢٥ من شهر كاتون الثانى كل عام مرة على أن العالم الأثرى أحمد كمال باشا نشر فى

^١ معجم البلدان ، المجلد ٤ ، ص ٢١٠ .

^٢ كتاب الأصنام : تحقيق / أحمد ركنى ، ص ١١ .

^٣ معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٣٣٠ .

مجلة المسقط المصرية جـ ٢٣ ص ٥٠٥ أن الخورنق (ذى الضرى)
كانها من حرتش أى حوريس الأحمر وهو اسم المريخ بالمصرية القديمة

٩- الخورنق:

قال السهيلي : " الخورنق مصر بناه النعمان الأكبر لسابور ليكون
ولد فيه عنده وبناه رجل يقال له (سنيماز) فى عشرين سنة ولم ير
بناء أعجب منه ، فحشى النعمان أن يبنى لغيره مثله فأنقاده من أعلاه
فقتله ففى ذلك يقول الشاعر

جزانى جزاه الله شر جزانه ** جزاء ستمار وما كان ذا ذنب

سوى رضىة البنيان عشرين حجة ** يمد عليه بالقرامد والسكب

لئما انتهى البنيان يوم تمامة ** وأض كمثل الطود والياذ فى الضعب رمى بمسنيماز

على حقى رأسه ** وذلك لعمر الله من ألقبح الخطب .

قال السهيلي : " انشده الجاحظ فى كتاب الحيوان والسمام من

أسماء القمر والمقصود أن هذه البيوت كلها ضمت لما جاء الإسلام جنهز
رسول الله ﷺ إلى كل بيت من هذه مراًياً تخريبه وإلى تلك الأصنام من
كسرهما حتى لم يبق للكعبة ما يضاميهما وعبد الله وحده لا شريك له ' .

١١ - وضى:

ويكتب أيضاً (رضاء) وذكره ابن الكلبي فى كتابه الأصنام وقال إنه

كان بيتاً لربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وقد هدمه المستوغر فى
الإسلام وقال بعد أن هدمه شعراً جاء فيه ' :

١ انبأه والنهاية : لاس كتر ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

٢ كتاب الأصنام : ص ٣٠ والمستوغر هو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم وإنما سى .
استوغر لأنه قال : يش الماء فى الرهلات فيها " مشيت الرصد فى اللين الوغير .

ولقد شددت على رضاء شدة

فتركتهما تلا تتازع أسحما^١

ودعوت عبد الله في مكرورها

ولمثل عبد الله يقش المحرما

ويقول جواد على إن (رضى) من الأصنام التي عبدها قوم ثمود وأن عبادته كانت منقشرة بين العرب الشماليين^٢ .

وفي رأى بعض المستشرقين أن هذا الصنم كان بمنزلة (عثر) عند الجنوبيين ، ويظن بعضهم أن (أرضو) أو (أرصو) الذي قال عنه هيرودوت المؤرخ بأنه أحد آلهة العرب الكبرى يظن أنه هو نفس (رضاء) الذي أشار إليه الأخباريون^٣ .

١٢ - بيت:

يستفاد من كلام صاحب معجم (تاج العروس)^٤ أن (بس) كان بيتا تعبد قبيلة غطفان ، وسبب بنائه أن رجلا من هذه القبيلة اسمه ظالم بن أسعد ، لما رأى القرشيين يطوفون بالكعبة المشرفة ويسعون بين الصخرتين (الصفا والمروة) أراد أن يجعل لقومه بيتا يطوفون به دون للبيت الذي في مكة المكرمة .

^١ الأصح : ص اسود .

^٢ مراجع (تاريخ العرب قبل الإسلام) جواد على ١٥٠ - ١٥٦ ، ويقول العالم الأثرى المصري المحرم أحمد مند (رضاء) وهو بيت ص. أربعة ، ومصرته (رناو) أو (ربح ماري) ملوث (رخ) روحة (مينو) رابع مجلة ١١ - لعيسى اسكندر انطوف ح ١٠ عم ٤ / ٤٩٥ .

^٣ كتاب الأصنام : التكملة التي جمعها محقق هذا الكتاب أحمد ركي ناسا

^٤ يقول جواد على في كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ح ٥ ص ٩٨ .

فأخذ قياسات البيت الحرام طولاً وعرضاً ، واقتطع من الصفا والمروة حجراً من هذه وأخر من تلك ولما عاد إلى قومه بنى لهم على قدر البيت الحرام بيتاً آخر ووضع فيه الحجرين وقال لهم :

" هذا الصفا والمروة ، وطلب إليهم أن يقصروا حجهم على البيت الذى بناه لهم ، إلا أن ذلك لم يعجب بعض الناس الذين كانوا يرون ضرورة الحفاظ على حرمة البيت الحرام الذى فى مكة المكرمة فاتبرى واحد منهم يقال له (زهير بن جناب الكلبى) وأقسم أنه لا يكون ذلك وأنا حى ، ولا ألقى غطفان تتخذه (حرماً) أبداً ، وأغار زهير على ظالم المذكور فقتله وهدم البيت الذى بناه .

١٣ - الروية :

فى تاج العروس وفى النهاية لابن الأثير : (الروية ، كعبة كانت بنجران لمذحج وبنى الحارث بن كعب) .

^١ يقول حواد على فى كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ ص ٩٨ :

والخرم الذى بن بصدده (أى بس) فى ابن الكلوى أو روية كتب (الأصنام) أنه بيت ولدت قار أو قالوا: تى عليه (سا) وهو قول غريب فىس إنما هو ماء لقططان عمد فب ذلك الحرم وقد ورد (س) بجمعة (لیس) و موضع من كتاب (الأغانى) : ١٢ / ١٢١ (أحبار اخصير بن حماد وسبه) وهو خطأ فم يكون من الصاح .

الفصل الخامس

كعباته أخرى كانت العرب تحج إليها وتعظمها

وفى الجزيرة العربية كثير مما ذكرنا من الكعبات فلقد كان من عادة أهل الجاهلية أن يجعلوا لكل صنم من أصنامهم بيتا خاصا به ويعاملونه معاملتهم للكعبة المكية فيقدمون عنده الأضاحى والقرايين وينفحونه بالهدايا من غالى المتاع والكسى والسلاح ويخصصون له من يتولى فيه الحجابة والسدانة ويأتونه إما قصدا أو عرضا فى أثناء أسفارهم وتنقلاتهم وكانوا يفرجون على بيوت هذه الأصنام للإقامة فى جوارها أياما قد تطول وقد تقصر تبعاً لطقوسهم الوثنية فيرتاحون عندها ويستسقون وكثيرا ما كانوا يختارون أن يجعلوا هذه (الكعبات) عند عيون المياه أو الغدران أو فى الواحات وشعب الجبال والوديان

ويقول الدكتور جواد على : (والحج إلى مكة وإلى البيوت المقدسة الأخرى مثل بيت اللات فى الطائف وبيت العزى على مقربة من عرفات وبيت مناة وبيت ذى الخلصة وبيت نجران وبقية البيوت الجاهلية المنظمة إنما هى أعياد يجتمع الناس فيها بأبهى ما عندهم من حلل ، وأجمل ما يملكون من ملابس للاحتفال معا بتلك الأيام وهم يدخلون السرور على أنفسهم وعلى إلهتهم بحسب اعتقادهم وتقدير هذه الاحتفالات بذبح الحيوانات كل يذبح على قدر طاقته ومكانته فيأكل منها فى ذلك اليوم من لم يتمكن من الحصول على اللحم فى أثناء السنة لفقره فهى أيام يجد فيها الفقراء لذة ومنتعة وعبادة .

وفى كتب الأخبار ومدونات الأشعار أكثر من إشارة إلى أن القبائل العربية فى جاهليتها كانت تطوف فى أعيادها حول كعبات أصنامها

وتهدى إليها ثم تحرر عندهما بعد إكمال طوافها دلالة على إكمال شعائر
الحج إلى هذه المواضع المعظمة^١

وإذا نحن راجعنا ما كتبه المؤرخون عن أصنام العرب وبيوتهم
المعظمة في الجاهلية نجد هؤلاء المؤرخين يشيرون إلى أن الجاهليين
كان لهم بيوت يعظمونها ويقدسونها غير البيت الحرام الذي في مكة
المكرمة مثل بيت ذي الشرى الذي كان للنبط في البتراء . وإلى مثل هذا
ذهب المستشرق الألماني ولهوزن وجماعة من أمثاله الذين قالوا بتعدد
بيوت الأرباب التي كان العرب يحجون إليها في شهر ذي الحجة . وإلى
عدد حصر الحج في الجاهلية بموقع واحد دون سواد . وغير بيت ذي
الشرى ذكر المؤرخون في جملة بيوت العرب المعظمة (بيت رضى)
ويكتب رضاء ، وقد ورد اسم هذا البيت في كتابات الصقويين باسم
(رضو)^٢

وذكر ابن الكلبي في كتابه (الأصنام) أن البيت رضى كان لربيعة بن
كعب بن سعد بن زيد بن مناة وقد هدمه المسقوعز في الإسلام وقال :

ولقد شددت على رضاء شدة

فتركها بلا تنازع أسما

ودعوت عبد الله في مكرورها

ولمثل عبد الله يغشى المحرما

وذكر ابن حبيب أنه كان بالطائف ، بيت اللات ، وهو على صخرة
لثقيف وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة ، وكان له حجة
وكسوة وكانوا يحرمون واديه فبعث رسول الله ﷺ أبا شعبان بن حرب
والمغيرة بن شعبة فهدماد ، وكان مدنته آل ابن العاصي من بنى يسار بن

^١ تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ / ١٠٥ .

^٢ تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ ص ١٠٥ .

مالك من ثقيف وكان (بيت شمس) لبني تميم . وكانت تعبد بنو اكلها
ضبة وتميم وعدى وعكل وثور وكان سدنته من بني أوس بن مخاشر بن
معاوية بن شريف بن جرذة بن أسيد بن عمرو بن تميم ، فكسره هند بن
لبي هالة وصفوان بن أسيد بن الحلال بن أوس بن مخاشر^١
كما ذكر محمود سليم الحوت في كتابه (في طريق الميثولوجيا عند
العرب) أن هناك بيوتا معظمة كثيرة في أماكن شتى من بلاد العرب ذلك
(الفليس) لقبائل طيء عند جبلى أجداد سلمى و (السعيدة) وكان هذا
أيضاً بيتاً تحج إليه العرب وسدنته بنو عجلان ، وقيل أن قبائل الأزد كانت
تعبد^٢ .

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية باب جهل العرب :
وحدثنا أبو النعمان أبو عوانه عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في
سورة الأنعام : " قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا
رَزَقَهُمُ اللَّهُ اقْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ " (الاسم / ١٤٠)
وقد ذكرنا تفسير هذه الآية وما كانوا ابتدعوه من الشرائع الباطلة
بالدواب، والبهانم وهو كاذب مفتر في ذلك ومع هذا الجهل والضلال اتبعه
دولاء الجهلة الضغام فيه بل قد تابعوه فيما هو أظم من ذلك وأعظم بكثير
وهو عبادة الأوثان مع الله ﷻ وبدلوا ما كان الله بعث به إبراهيم خليله
من الدين القويم والصراط المستقيم من توحيد عبادة الله وحده لا شريك
له وتحريم الشرك . وغيروا شعائر الحج ومعلم الدين بغير علم ولا برهان
ولا دليل صحيح ولا ضيف ..

^١ امر ص ٣١٥ وما بعدها

^٢ انكباب المذكور ص ١٣٧ ، ١٣٨

قال ابن اسحق وغيره : " ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد
تبديلهم وابن إسماعيل فكان ود لبني كلب بن مرة بن تغلب بن حلوان بن
عمران بن الحاف بن قضاة وكان منصوباً بدومه الجندل " .

وكان سواع : لبني هزبل بن إلياس بن مدركة بن مضر وكان منصوباً
بجرش وكاب يعوق : منصوباً بأرقى همدان من اليمن لبني خيوان بطن
من همدان وكان نسر : منصوباً بأرض حبير لقبيلة يقال لهم (ذو الكلاع) .

قال ابن اسحق : " وكان لخلوان بأرضهم صنم يقال له (عم أنس)
يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون فما
دخل في حق عم أنس من حق الله الذي قسموه له وتركوه له وما دخل في
حق الله من حق عم أنس رده عليه وفيهم أنزل الله :

" وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا " ١٣٦ / ١

وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال : سعد
صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليوقفها
عليه التماس بركته فيما يزعم ، فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا يركب
وكان الصنم يهراق عليه الدماء تفرت منه فتدلى في حل وجهه وغضب
ربها وأخذ حجراً فرماه به ثم قال : " لا يارك الله فيك تفرت على إبلى ،
ثم خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة يتنوفة * من الأرض لا يعدو لفي ولا رشد

قال ابن اسحق : وكان في دوس صنم لعمر بن حمزة الرومي .
قال : وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بنر في جوف الكعبة يقال له
(هيل) وقد تقدم فيما ذكره ابن هشام أنه أول صنم نصبه عمرو بن لحي
لقبه الله .

قال ابن اسحق : " واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما ثم ذكر أنهما كانا رجلا وامرأة فوقع عليهما في الكعبة فمسخهما الله حجرين .

ثم قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن الحمد بن عمرو بن حزم عن عمرة أنها قالت : " سمعت عائشة تقول : " ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله حجرين والله أعلم .

وقد ذكر للواقدي : " أن رسول الله ﷺ لما أمز بكسر نائلة يوم الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتدعو بالويل واتشبور " .
وقد ذكر السهيلي : " أن أجا وسلمى وهما جيلان بأرض الحجاز ، إنما سميا باسم رجل اسمه أجا بن عبد الحى فاجر بمسلمى بنت حمام فمسلبا في هذين الجيلين فعرفا بهما .

قال : " وكان بين أجا وسلمى صنم لطى يقال له (قلس) .

قال ابن اسحق : " واتخذ أصل كل دار في دراهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يفعل حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله .

قال : " فلما بعث الله محمدا ﷺ بالتوحيد قالت قريش : " اجعل الألهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب " ص ١٠

قال ابن اسحق : " وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيث وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهى مع ذلك تعرف فضل الكعبة عليها لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده .

وكانت لقريش وبنى كنانة القرى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنى
شديان من سليم حلفاء بنى هاشم وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح .
قال : " وكانت اللات كثيف بالطائف وكانت سدنتها وحجابها بنى
معتب من ثقيف وخربها أبو سفيان وتمعيرة بن شعبة بعد مجيء أهل
الطائف .

قال : " وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة
على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد وقد خربها أبو سفيان أيضا ...
وقيل على بن أبي طالب قال : " وكان ذو الخليفة لدوس وختعم وبجيلة
ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة .
وكان يقال له : " الكعبة اليمانية ، وانبئت مكة : الكعبة الشامية وقد
خربه جرير بن عبد الله البجلي ...

الفصل السادس

أسماء الكعبة

وللكعبة المشرفة أسماء عديدة وردت في القرآن الكريم وتعدد الأسماء دليل على عظم المسمى . ومنها " الكعبة البيت العتيق . وائبيت الحرام . وائبيت المعمور . بكة . حرما أمنا . البيت المحرم ..

الكعبة :

ومن أسماءها المشهورة بها الكعبة :

قال تعالى : " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس " سورة ١٧ /

سبب تسميتها بالكعبة :

سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلق الكعب . وقيل التكعب : التربيع وكل بناء مربع كعبة .

وقيل : سميت لارتفاع بنائها ، وكل بناء مرتفع فهو كعبة ، ومنه كعب ثدى الجارية إذا علا في صدرها وارتفع " ١

وقال القرطبي :

سميت الكعبة كعبة لأنها مربعة وأكثر بيوت العرب مدورة وقيل : إنما سميت كعبة لنتونها وبروزها ، فكل ناس بارز كعب مستديراً كان أو غير مستدير . ومنه كعب القدم وكعوب القنائة وكعب ثدى المرأة إذا ظهر لها صدرها ٢ .

١ تحفة الأثر السنة (٦٩) ج ١ / ٤٠ .

٢ اذيع لأحكام القرآن ج ٦ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

○ البيعة :

وسميت بالبيت . قال تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا " سفر / ١٢٥
وقال تعالى : " وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " وعرر / ١٧
قال القرطبي : البيت يعنى الكعبة .
والبيت سمي بذلك لأنها ذات سقف وجدار ، وهى حقيقة البنية وإن لم
يكن لها ساكن .

○ البيعة الحرام :

وسميت بالبيت الحرام أيضا .
قال تعالى : " وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ " سورة / ٢١ وسميت حرما فى قوله
تعالى " جَعَلْنَا الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ " سورة / ١٧
وقال القرطبي : وسماه الله **حَرَامًا** بتحريره إياه .

○ البيعة الصتيق :

وسميت الكعبة بالبيت للصتيق لقوله تعالى : " وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ
الصَّيْقِ " سورة / ٢١
وسميت بالصتيق : أى للتقديم .
وقيل عتيقا لأن الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار بالهوان إلى
انقضاء الزمان . وعن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ
" إنما سمي البيت الصتيق لأنه لم يظهر عليه جبار " ^١
وقالت طائفة : سمي عتيقا لأنه لم يملك موضعه قط .
وقالت فرقة : سمي عتيقا لأن الله عز وجل يصدق فيه رقاب المذنبين
من العذاب
او قيل : سُمى عتيقا لأنه أعتق من غرق الطوفان .

^١ رواه الترمذى : وقال : حديث حسن صحيح .

قال مجاهد : خلق الله البيت قبل الأرض بألفى عام ، وسمى عتيقاً لهذا ،
والله أعلم .

⑤ بكة :

وقد سميت بكة لقوله تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ
مُبَارَكًا ۗ ر ١٦٦
روى عن زيد بن أسلم " أن بكة الكعبة والمسجد ، ومكة ذو طوى
وهو بطن الوادي .^١

⑥ حراماً آمناً :

وسميت حراماً آمناً كما فى قوله تعالى : " أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا " ل١٧٦
وقال تعالى : " وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَكَّةَ لِلنَّاسِ أَمْنًا " ب١٢٥١
وقال تعالى : " وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا " ر ١٦٦
كأنه قال : آمنوا من دخل البيت وقال : وآمنا " تأكيد للأمر باستقبال
الكعبة " ^٢

⑦ المعمور المحصور :

وسميت بالبيت المحصور : قال تعالى " وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّضْمُورٍ فِي رَقٍّ
مَّنشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَقْمُورِ " ل١٦١ ، ذكر الشوكاتى قائلأ : " والبيت
والمعمور فى السماء الممايعة وقيل فى سماء الدنيا وقيل هو الكعبة . فحلى
للقولين الأولين يكون وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل إليه من الملائكة
ويصعد الله فيه . وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة أو مجازاً

^١ ياقوت معجم البلدان ٥ / ١٨٢ .

^٢ اجمع لأحكام القرآن القرطبي ج ٢ / ١١١ .

باعتبار كثرة من يتجد فيه من بنى آدم " .^١ ويقول الحسن : البيت المعمور هم الكعبة ، البيت الحرام الذى هو معمور من الناس يعمره الله كل سنة بستماناة ألف قبان عجز الناس عن ذلك أنمة الله بالملائكة وهو اول بيت وضعه الله لعبادة فى الأرض ..^٢

^١ فتح التقدير للشوكانى ح ٥ / ٩ .

^٢ الجامع لأحكام القرآن ح ١٧ / ٦٠ .

الفصل السابع

البيت المعمور والكعبة

قال تعالى: " والبيت المنفور " بطبر / ١

ذكرنا في أسماء الكعبة أقوالاً للشوكاني وغيره أن البيت المعمور - الكعبة - وقد وردت أقوال كثيرة تقول أنه في السماء حيال الكعبة : وقبل أن نذكر هذه الأقوال ، تقول بأن الكعبة قد سميت على البيت المعمور لأنها حيال الكعبة في السماء .. وهذا أقرب لتوضيح المضى .. والله أعلم .

أما الأقوال التي توضح أن البيت المعمور في السماء فهي كثيرة نذكر منها قول علي وابن عباس وغيرهما : هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه .

قال علي رضي الله عنه : هو بيت في السماء السادسة . وقيل في السماء الرابعة . وروى عن أنس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " أوتى بي إلى السماء الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خر ، خر عليها يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه " .

وحكى القشيري عن ابن عباس أنه في السماء الدنيا .

وقال أبو بكر الأبناري : سألت ابن الكواء علياً رضي الله عنه قال : فما البيت المعمور قال : بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح وكذا في الصحاح ، والضراح بالضم بيت في السماء وهو " البيت المعمور "

وفي حديث الإسراء : " ثم رفع إلى البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم " ^١

وفي حديث ثابت عن أنس بن مالك لن رسول الله ﷺ قال : أتيت بالبراق " الحديث .. وفيه ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا؟! قال : جبريل ، قيل : ومن معك ، قال محمد ﷺ قيل : وقد بعث إليه : قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه " ^٢

وعن ابن عباس أيضا قال " لله في السماوات والأرض خمسة عشر بيتا سبعة في السماوات وسبعة في الأرض والكعبة ، وكلها مقابلة للكعبة . وقال الربيع بن أنس : إن البيت المعمور كان في الأرض موضع الكعبة في زمان آدم عليه السلام أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه فلما طغى الماء رُفع فجعل بحزانه في السماء الدنيا فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون إليه حتى ينتسخ في الصور.. " ^٣

^١ رواد مسلم .

^٢ الجامع لأحكام القرآن للفريسي ج ١٧ / ٥٩ - ٦١ ، وتفسير ابن كثير ج ٥ / ٢٤٠ .

الفصل الثامن

فضائل الكعبة

تكلّمنا من قبل عن فضائل مكة المكرمة ووجدنا أن الله ﷻ فضلها على سائر البلاد - كذلك فضل ما فيها من شعائر ومقدسات ، حيث تميزت الكعبة المشرفة بخصائص كثيرة وفضائل عظيمة من أهمها أنها :

﴿ أشرف بقعة على وجه الأرض ﴾ :

فليس على الأرض بناء أشرف من الكعبة المشرفة وذلك لطهارتها وقداستها ومنزلتها عند الله ﷻ ، فلما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل بالكعبة وقال :

” إنك لخير أرض الله ﷻ وأحب بلاد الله تعالى إلى الله ولولا أنى لأخرجت منك لما خرجت ”^١ .

وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ستذكر

﴿ طواف الطيور بها ﴾ :

ومن فضائلها أن الطيور الموجودة بالحرم تطوف بالبيت كما يتطوف الناس وأنها لا تمر من فوق الكعبة ولا تبول بها .

﴿ عدم الاعتداء عليهما ﴾ :

ومن فضائل الكعبة أنه لم يسبق أن هدمها جبار كما هدم بختنصر بيت المقدس من قبل وكل من حاول الاعتداء عليها أذله الله .

﴿ عدم الأذى حولها ﴾ :

فالوحوش لا تؤذى أحد حولها ولا تؤذى بعضها البعض ولا تصاد فريستها في الحرم .

^١ أخرجه الترمذي وصححه السائي في الكبرى وابن ماجة وابن حبان .

﴿ رفِع قِوَاعُهَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ :

وذلك شرف عظيم أن يرفع قِوَاع الكعبة أبو الأنبياء وولده إسماعيل قال تعالى :

" وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ " نزهة / ١١٧

﴿ هَبِطْ مِنَ الْجَنَّةِ .. وَوُفِّرْ زَمَنَ الطُّوفَانِ :

ومن فضائل هذا البيت أنه هبط من الجنة مع آدم .. ورفِع إلى السماء في زمن طوفان نوح عليه السلام ..

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : " لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال : " إنى مهبط معك بيتا أو منزلا يُطاف حوله كما يُطاف حول عرشي ، ويُصلى عنده كما يُصلى عند عرشي " ، فلما كان زمن الطوفان رفع وكان الأنبياء يحجونه ، ولا يعلمون مكاته فبوأد لإبراهيم عليه السلام فبناه من خمسة أجبل (حراء ، وثبير ، ولبنان ، وجبل الطور وجبل الخير) فتمتعوا منه ما استطعتم ^١ .

﴿ الْحَمِيمِ الْعِمَا :

وتلك فضيلة أخرى من فضائل الكعبة أن المسلم تشتاق نفسه إليها وهذه حقيقة ثابتة .. فلقد شرف الله بيته على سائر الأماكن والأقطار بهذه الفضيلة .. فمن عظم الكعبة كان معظما مبعجا ومن أقبل عليها كان مولاد عليه مقبلا ، فكم من محب مات شوقا إليها ولم يبلغ منها أملا وأصبح لسان حاله يقول :

يا كعبة الحسن كم من عاشق قتل * شوقا إليك ورام الوصل ما وصل

قد يتمت بعده الأولاد حين سرى * وظل يبكي بدمع فاض منهرا .

وروى عن جابر رضي الله عنه قال :

رواه الطراز في الكبير مؤلفه : رجال بساده (رجال اصحيح) " الترعيب والترجيب للسري ح ١١٥ / ٢ .

قال رسول الله ﷺ :

" إن الكعبة لها لسان وشفتان ولقد اشتكت لقالت : يا رب قل عوادي ، وقل زواري فأوحى الله ﷻ : (بني خالق بشرا خشعا سجدا يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى بيضها " ^١ .

﴿ حفظهما أن يسكن بجوارها جبار ﴾

فإن الله ﷻ حرم على بلدها مكة أن يسكنها جبار أو أن ينسب هذا البيت الحرام إلى جبار كما فعل بالبيوت الأخرى .. وكما سنذكر .

﴿ مضاعفة ثواب العبادة بجوارها ﴾

والعبادات والطاعات والشعائر التي تؤدي بجوارها .. لها ثواب عظيم ولجر جزيل مضاعف من الأماكن الأخرى .

وروى عن أبي نر رضي عنه ، أن النبي ﷺ قال : " إن داوود النبي عليه السلام قال : " إلا هي مالعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك ؟ قال : " لكل زائر حق على المزور حقا يداورد إن لهم على أن أعافيهم في الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم " ^٢ .

﴿ مغفرة الذنوب ﴾

عن ابن عباس رضي عنه أن النبي ﷺ قال : " من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقد دعا الرسول ﷺ له بالمظفرة فقال : " اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج " ^٣

^١ رواه الطبراني في الأوسط - مجمع الزوائد ، ح ٢٠٨ / ٣ (الترغيب والترهيب للسننرى ح ١١٧ / ٢ .

^٢ نفس المرجع السابق .

^٣ رواه الترمذى وقال حديث غريب ، سألت البعاري عن هنا الحديث فقال : إنما يروى عن ابن عباس من قوله : " الترغيب والترهيب للسننرى ح ١٣٢ / ٢ .

٢٤ نزول الرحمة :

ينزل الله ﷻ على من حج هذا البيت الرحمة والمغفرة والسكينة والرضوان لمن طاف به أو صلى عنده أو نظر إليه وفي الحديث .

" انظر إلى الكعبة عبادة " ١

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين " ٢

٢٥ الطواف حولها صلاة :

والطواف حول البيت صلاة أي كأنه في صلاة والصلاة هي معراج العبد إلى ربه .. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : " الطواف حول البيت صلاة إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير " ٣

٢٦ الطواف به كعتق رقبة :

وقد أخبر الرسول ﷺ أن الطواف حول البيت كعتق رقبة من ولد إسماعيل .. فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَانَ كَعْتَقِ رَقَبَةٍ " ٤

٢٧ هدى للعالمين :

ومن فضائل هذا البيت أن الله سبحانه وتعالى قد جعله هدى للعالمين يقول الله تعالى :

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ " ٥

١ رواه أبو الشيخ عن عائشة .

٢ رواه البيهقي بأسناد حسن " الترغيب والترهيب ج ٢ / ١٢٢ "

٣ رواه ابن جرير واللفظ له وابن حبان في صحيحه (الترغيب والترهيب ج ٢ / ١٢٢)

٤ رواه ابن ماجه وابن حزيمة في صحيحه ، راجع الترغيب والترهيب المرجع السابق .

ومضى هذا أن الناس يهتدون إليه فى صلاتهم ولأنه آمن من الخوف
وشفاء من المرض وأن من أراد به سوءً عجل الله له العقوبة ..
والأدلة والبراهين واضحة وضوح الشمس . وإن شئت فقرأ .

" ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب القبائلم يجعلنك فيهم في تضليل وأرسل عليهم
طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كغصب مأكول" صد ١٠١ .

طائف به جميع الأنبياء :

فضل الله ﷺ هذا البيت بطوائف أنبياءه به ..

فمن عبد الله بن عباس قال : " كانت الأنبياء تدخل الحرم مشاه حفاد ،
ويطوفون بالبيت ويقضون المناسك حفاه مشاد " ^١
وورد أن الأنبياء كلهم حجوا البيت إلا هوداً وصالحاً ، لتشاغلها بأمر
قومها حتى قبضها " ^٢

بعثت منه سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب :

وروى : أن الله يبعث من هذا الحرم كله سبعين ألفاً يدخلون الجنة
بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفاً ، وجوهم كالقمر
ليلة البدر قال أبو بكر : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : هم الغرياء " ^٣

من رآها فى المنام نصى وؤيا حق :

ومن رأى الكعبة فى المنام فهى رؤيا حق ^٤ والدجال لا يدخلها ^٥ ومن
حج البيت أو أعتمر لا يزال يزداد هيبة وتعظيماً وبراً " ^٦

^١ ابن ماجة ٩٦٧ / ٢ تحقيق محمد نواد عبد القادى طه عيسى الحلى .

^٢ ابن ماجة ٩٨ / ٢ والبخارى الكبرى للهيتمى ١٣٥ / ٢ .

^٣ إعلال الساعد بأحكام الساعد للركبى تحقيق الشيخ أبو الوفا المرعى / ٢٠٢ .

^٤ إعلال الساعد / ٢٠٨ .

^٥ المرجع السابق ٢١٥ .

^٦ المرجع السابق ٢١٦ .

٦ شُغَاةُ الكعبة للحجاج :

وإن الكعبة تشفع للحجاج فتقول : " يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلى من كل فج عميق ، شُغَاةً غيراً ، تركوا الأهل والأولاد والأحباب وخرجوا شوقاً إلى زائرين مسلمين طائفين ، حتى قضوا مناسكهم ، كما أمرتهم ، فأسألك أن تشفني فيهم ، وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حونى .

يا رب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والاثار حتى وجبت لهم النار ، فيقول الله تعالى . " قد شفعتك فيهم واعطيتك سؤلك ، فينادى ملك من السماء : إلا من زار كعبة الله ، فليعتزل عن الناس ، فليعتزلون ويلبون ، ثم ينادى ملك من جو السماء : ألا يا كعبة الله سيرى فتقول الكعبة : لبيك اللهم لبيك والخير كله بيدك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ^١ .

وروى : " أن الكعبة تحشر كالعروس المزقفة ، ومن حمها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة " ^٢

٧ استجابة الدعاء عند رؤيتها :

من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء عند رؤية الكعبة المشرفة . فعن أبى أمامه ، أن رسول الله ﷺ . قال : " تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء فى أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف ونزول الغيث وإمامة الصلاة ورؤية الكعبة " ^٣

لذا يستحب للحاج أو المعتمر إذا وقع نظره على الكعبة . رفع يديه ويسأل الله من فضله قائلاً : " لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام

^١ لروى الصائغ فى المواعظ والرفائق .

^٢ إعلال . ساحد للزركشى / ٢٠٠ .

^٣ إعلال . ساحد / ١٠٩ والفتح الكبير ٣٣/٢ ورواه الطبرانى فى الكبير

ومنك السلام ، ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام . الحمد لله . إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته ، اللهم فزده تشريفا وتعظيما ، وتكريما ومهابة وبراً وزد من شرفه ، ممن حجة أو اعتمره تعظيماً وتشريفا وتكريماً ومهابة وبراً " ١

٥- لا ينقطع من عندها الطواف :

ومن فضائل الكعبة أنه لا ينقطع الطواف عندها على مدار اليوم واللييلة لا ينقطع لحظة ، والرسول ﷺ قد أمر بهذا ..

فعن جبير بن مطعم : أن النبي ﷺ قال : " يا بني عبد مناف ، لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت ، وصلى أية ساعة شاء ، من ليل أو نهار " ٢

٥- أن يكون آخر عمدة بالبيت :

وقد شهد الرسول ﷺ طواف الوداع ليكون الحاج والمعتمر آخر عهده بالبيت فندما يريد الرجوع إلى أهله بعد فراغه من حجه أو عمرته وانتهاء إقامته بمكة المكرمة فيأتي به في آخر ساعة يريد الخروج فيها من مكة المكرمة بحيث إذا طاف لا يشتغل بشيء بل يخرج من مكة مباشرة .

يقول ﷺ : " لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت " ٣

٥- مغاباة اللعاب وأمعاً :

قال تعالى : " أولم يروا أننا جعلنا حرمنا أمنا " سميت ١٧١

وقال تعالى " وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا " فجره ١٧٥

فإنه ﷺ جعل البيت مثابة للناس وأمناً أي يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطراً .

١ رواد الشافعي مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، قال عمر . (فقه السنة ج ١ / ٥٨٥)

٢ رواد أحمد ، وأبو داود والترمذي وصححه .

٣ رواد مسلم .

وقال بعضهم : تكون في بلد وقتك مشتاق إلى مكة بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه ، وأنت متبرم بالمقام وقتك في بلد آخر .
 ويقال : " أن الله تعالى عبادة تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله ﷻ
 ' وذكر بعض المفسرين : أن المقصود من هذه الآية أن من صلى في
 العبادات والطاعات والصلوات والمناسك كان له ثواب عظيم كما أن هذا
 الحرم كان سبب في الخير لأهل هذه البلد وللمسلمين . ولأن الله تعالى
 حرم فيها القتل والصيد والحرب .
 كما أن الله لمنه من إقامة الحدود فيه .

☞ أول بيت وضع للناس :

قال تعالى : " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا - لا عرو / ١١
 وقال سيدنا علي بن أبي طالب البيت الحرام هو أول بيت في الأرض وهو
 أول قبلة ، وهو أول بيت تعبد إليه الله سبحانه وتعالى .
 وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " إن الطواف بالبيت
 أفضل لأهل الأقطار وللصلاة فيه لأهل مكة "

☞ من مات بجوارحه لم يحاسب :

من فضائل الكعبة أن الذي يموت بجوارحه يدخل الجنة بغير حساب .
 ففي الحديث " من مات في أحد الحرمين لم يحرض ولم يحاسب وتبيل
 له لدخل الجنة " .

☞ يتوافتح طوائف الأمم بها مع طوائف الملائكة في السماء :

ويتوافتح طوائف الحاج حول الكعبة في عالم للشهادة مع طوائف الملائكة
 حول البيت المعمود في السماء في عالم الخيب .
 يقول الأمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في كتاب أسرار الحج ..

^١ إخبار علوم الدين للفراع ح ١ / ٢٥٣ وما بعدها

^٢ رواد البيهقي في الشعب ورواه الفار قطن " إنباء علوم الدين للغزالي ح ١ / ٢٥٠ "

وأعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة الحائنين حول العرش للطائفتين حوله
ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك
بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدئ الذكر إلا منه ولا تختتم إلا به ، كما تبتدئ
الطواف من البيت وتختتم بالبيت ، وأعلم أن الطواف الشريف هو الطواف
بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر لى عالم الملك لتلك الحضرة
التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت " ١

١ إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٣ / ٨٧ (دار الفكر بيروت)

الباب الخامس بناء الكعبة عبر التاريخ

ما خلق الله شيئا على الأرض إلا كتب له الزوال والضماء السريع والعاجل إلا الكعبة المشرفة فقد خلقها الله ﷻ قبل خلق آدم ومرت عليها أيام وأيام وقد كتب الله لها من يجردها أو من يعيد بناءها ، وحدث ذلك عدة مرات ونذكر منها :

❖ بناؤها بأمر الله ، وهو البناء الأول الذى بنته الملائكة .

❖ بناء آدم ﷺ .

❖ بناء شيث بن آدم ﷺ .

❖ بناء إبراهيم وإسماعيل ﷺ .

❖ بناء العماليق وجرهم .

❖ بناء قصى بن كلاب .

❖ بناء قريش قبل البعثة .

❖ بناء عبد الله بن الزبير ﷺ .

بناء الحجاج بن يوسف الثقفى .

بناء المماليك فى عهد الدولة العثمانية ١٠١٩هـ .

يقول الأرقى فى كتابه (تاريخ مكة) :

" إن الكعبة بنيت عشر مرات "

وسوف نتحدث هنا عنها اكتسابا من الأرقى وعن غيره من المؤرخين والباحثين .

الفصل الأول بناء الملائكة عليهم السلام

يقول الله تعالى :

" جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس " عدد ١٧١

وهذه الآية الكريمة توضح أن البيت الحرام هو الكعبة ، ومعنى الآية أن الله سبحانه وتعالى فرض تعظيم الكعبة وحرمة الاعتداء فيها على الإنسان والحيوان وجعل ذلك قياماً أى : قائماً ومفروضاً حتى يأمن بها الضعيف ويلوذ بها الخائف وليقوم بذلك أمر الناس فى دينهم ودنياهم .

ومكة المكرمة كانت قرية صغيرة تقع بين الجبال الشاهقة وهى غير بعيدة عن الكعبة وتقع فى منتصف المسافة تقريباً بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ووقوعها هكذا فى منتصف الطريق جطها مكاناً مناسباً لاستراحة القوافل فى رحلاتها بين الجنوب والشمال .

ولذى عليه الأكثرون أن الذى بنى الكعبة لأول مرة هم الملائكة وياخذون هذا الفهم من الآية الكريمة :

" إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعلمين " عدد ١١١

فقوله تعالى : " وُضِعَ لِلنَّاسِ " يشير إلى أن الذى وضعه غير

الناس فهو منحة من الملائكة إلى البشر .

وعلى هذا فالكعبة المشرفة كانت أقدم وجوداً من مكة .^١

ونكر القرطبي :^٢

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه :

^١ من تاريخ الإسلام لسنة ٥٧ عدد ١١ ص ٨٥ .

^٢ الخراج لأحكام القرآن ج ٤ / ١٣٨ .

" أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض وأن يطوفوا به وكان هذا قبل خلق آدم ثم إن آدم بنى منه ما بنى وطاف به ثم الأنبياء بعده ، ثم .. عثم بناءه إبراهيم عليه السلام " .

ودحر السهيلي في الروض قاتلاً^١ :

" الملائكة أول من بنوا البيت وسبب ذلك " :

وروى في سبب بنيان البيت خبر آخر وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال لملائكته :

﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ خافوا أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون إليه فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة وأن يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا في كل مماء بيتا وفي كل أرض بيتا .

قال مجاهد : " هي أربعة عشر بيتا كل بيت منها متا صاحبه ، أي في مقابلته ، لو سقطت لسقطت بعضها على بعض .

وروى أيضا أن الملائكة حين أسست الكعبة نشأت الأرض إلى متنهاها وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فتلقت القواعد من البيت التي رُفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رُفعت وأودع الحجر الأسود (أبا قبيس) .

وقال القرطبي^٢ :

وروى عن جعفر بن محمد : " سئل أبي وأنا حاضر عن بدء خلق البيت فقال: " إن الله سبحانه لما قال :

^١ الروض الأم للسهلي ج ١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

^٢ إجماع الأحكام الفراء ج ٢ / ١٢٠ .

﴿ اِنى جاعل فى الارض خليفة ﴾ قالت الملائكة :

﴿ لتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نُمسح بحمدك وتقدس لك ﴾
فتغضب عليهم ، فعادوا بعرشه وطائفوا حوله سبعة اشواط يسترضون
ربهم حتى رضى الله عنه ، وقال لهم :

“ ابنوا لى بيتا فى الارض يتعود به من سخطت عليه من بنى آدم ،
ويطوف حوله كما طفتم حول عرشى ، فالرضى عنه كما رضيت عنكم ،
فبنوا هذا البيت .

الفصل الثاني

بناء آدم عليه السلام

ونزل آدم إلى الأرض فاستجاب لأمر الله وأخذ يعبد الله في الكعبة المشرفة ويسأله أن يغفر ما بدر منه من عصيان في الجنة عندما أكل من ثمار الشجرة المحرمة .

وطالت أيام آدم وولد له ابنه شيث وفي عهدهما تشقق بناء الكعبة وتهدمت حيطاتها فأعاد آدم وابنه شيث البناء حفاظاً عليها واستمراراً لتمكين بنى آدم أن يعبدوا الله فيها .

وأمر الله ﷻ أن يبني البيت الحرام (الكعبة) وأن يطوف حوله وأمره الله أن يذكره حول هذا البيت كما تذكره الملائكة وكما تفعل حول العرش وقام آدم يتخطى فما وقعت قدمه على مكان في الأرض إلا كان عمراتاً وطويت له الأرض إلى أن وصل مكة وأخبره الله بمكان هذا البيت ، وبنى آدم البيت من أحجار خمس جبال هي :

(جبل لبنان ، وجبل طور زينا ، وجبل طور سيناء ، وجبل الجودي ، وجبل حراء) وقد عاونته الملائكة في نقل هذه الأحجار ، وبعد أن انتهى آدم من بناء البيت قال : " يا رب مكن لكل أجير أجره " فقتل الله تعالى : " يا آدم طف بالبيت فطاف آدم وحج ، فقال الله يا آدم إني قد غفرت لك ولمن حج هذا البيت من ذريتك .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : " قال رسول الله ﷺ : " بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما : انبيا لي بيتاً ، فخط لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل ، حتى أجابه الماء نودي من تحته : " حسبك يا آدم " فلما بنيا أوحى الله تعالى إليه أن يطوف به وقيل له :

" أنت أول الناس وهذا أول بيت " ثم تناسخت القرون حتى حجة نوح ، ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه " ^١ وقال الربيع : " أنبأنا الشافعي أنبأنا سفيان عن أبي لبيد عن محمد بن كعب القرظي أو غيره قال : " حج آدم فلقيته الملائكة " فقالوا : " برنسك يا آدم لقد حججنا قبلك بألفي عام " ^٢

وقال القرظي : ^٣

وذكر عبد الرزاق عن ابن جريح عن عطاء وابن المسيب وغيرهما أن الله رَبَّنَا أوحى إلى آدم : " إذا هبطت ابن لي بيتاً احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرش الذي في السماء .

^١ رواه البيهقي وضعفه ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ / ١٢٠ .

^٢ البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ / ٣٠٣ .

^٣ الجامع لأحكام القرآن ج ٢ / ١٢٠ .

الفصل الثالث بناء شيث بن آدم

اختلفت الروايات في بناء شيث بن آدم للكعبة فقالوا إنه بناها مع أبيه آدم وقالوا بأنه قد بناها بعد موت أبيه .

فيروى عن سعيد بن سالم قال : " لما رفعت الخيمة التي عزى الله بها آدم من حلية الجنة حين وضعت له بكة في موضع البيت وبعد أن مات آدم عليه السلام بنى ابنه " شيث " الكعبة بعده من الطين والحجارة فطم يزل معمور يعمرونه هم ومن بعدهم إلى أن جاء زمن طوفان سيدنا نوح عليه السلام فرقعه الله إلى السماء إلى أن بواه الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام .

وقال السهيلي : " وكانت الكعبة قبل أن يبنوها " شيث " عليه السلام خيمة من ياقوته حمراء يطوف بها آدم ويأنس بجليها لأنها أنزلت إليه من الجنة وكان قد حج إلى موضعها من الهند .
وقد قيل : " إن آدم هو أول من بناها " ^١
وقال القرطبي :

" وروى عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه ، قال : " أول من بنى البيت بالطين والحجارة " شيث " ^٢ .

^١ ذكره ابن اسحق في غير رواية البكائي ، (الروض الأنف للسهيلي ح ١ / ٢٢٢) .

^٢ الجامع لأحكام التمراد ح ٢ / ١٢٢ .

الفصل الرابع بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

قَبِلَ إبراهيم كان بناء الكعبة قد انهار مع الزمن ولم يبق منها إلا القواعد التي غطتها الرمال والحصا .

فقد بنى آدم البيت وطاف به وبمرور الأيام احتاج البيت إلى إعادة بنائه فبناه " شيث " بن آدم وممرت أيام وعصور عليه إلى أن رفعه الله في زمن نوح عليه السلام عندما حدث الطوفان ، وقد تاهت معالم هذا البيت الحرام إلى أن جاء خليل الله إبراهيم عليه السلام .

والذي يتأمل آيات القرآن الكريم يدرك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعيد للكعبة رواءها على يد إبراهيم عليه السلام وكان ذلك على ثلاث مراحل :

• ففي المرحلة الأولى :

ألهم الله تعالى إبراهيم بالمنطقة التي بها البيت الحرام وألهمه أن يذهب لها ومعه زوجته هاجر وابنهما إسماعيل وهي منطقة صحراء قاحلة تتضح من قوله تعالى :

" رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ " إبراهيم / ٢٧

وفي هذه المرحلة لم يكن مكان البيت محددًا وإنما كان الإلهام للاجاء للمنطقة الفسيحة الصحراوية التي بها مكان الكعبة المشرفة .

• أما المرحلة الثانية :

من مراحل إبراز البيت الحرام فتتضح من الآية الكريمة :

" وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَظَهَرَ بَيِّنَاتٍ لِّلطَّائِفِينَ

وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ " الحج / ٢٦

ويقول المفسرون : إن مضى كلمة " بواناً " عيناً وحددنا مكان البيت لإبراهيم وذلك بواسطة ريح كنت ما فوق القواعد .

قال السدى : إن الله ﷻ أمر إبراهيم أن يبني البيت هو وإسماعيل ابنيا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فأتطلق إبراهيم حتى أتى مكة فقام هو وإسماعيل وأخذوا المعاول لا يدريان أين البيت فبعث الله ريحا يقال لها الريح الخجوج لها جناحان ورأس فى صورة حية فكشفت لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ..^١

وتذكر الآية الكريمة تحذيراً من أن يتخذ هذا البيت مجوداً ، فذلك شرك ولذلك جاء قوله تعالى : " ألا تشرك بى شيئاً " فالبيت بيت الله ويدعى له المؤمنون لتكبير الله وتعظيمه على ألا يكون ذلك سبباً فى الإضرار بالله سبحانه وتعالى .

وتذكر الآية أنه فى هذه المرحلة يأمر الله تعالى إبراهيم ﷻ أن يطهر المكان بإزالة كل العوائق والقاذورات والأوثان التى توجد به والتى تعترض الطائفين والعابدین والركع السجود .

٤- ثم تجيء المرحلة الثالثة :

وهى التى وضحتها الآية الكريمة " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"^٢

وواضح من هذه الآية أن إبراهيم عليه السلام لم يضع أساس البيت الحرام ، وإنما رفع بناءه على القواعد التى كانت موجودة من قبل وكان ابنه إسماعيل معه فى هذه المرحلة .

ويظهر من كل هذا أن إبراهيم رفع قواعد البيت هو وولده إسماعيل .

^١ تفسير ابن كثير ج ١ / ١٧٩ .

^٢ البقرة / ١٢٧ .

وكان ارتفاع هذا البيت الحرام وقتها تسعة أذرع وطول الضلع الأول من ناحية الحجر الأسود ٣٢ ذراع ، والضلع الثاني ٢٢ ذراع والضلع الثالث ٣١ ذراع والضلع الرابع ٢٠ عشرين ذراع .

وبعد أن انتهى من عملية البناء أمره الله عز وجل أن يؤذن في الناس بالحج فقال إبراهيم : وما يبلغ صوتي قال الله تعالى : عليك الأذان وعلينا البلاغ . فصعد إبراهيم جبل أبي قبيس وقال : أيها الناس إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا وبنى بيتاً فزوروه ، فسمعه كل من كتب الله له حج بيته الحرام حتى من كانوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وما سمعه حجر ولا بشر ولا شجر ولا مدر ولا أكمة أو تراب إلا لبى معه . وسمع أذانه .

روى ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام لما أذن للحج تواضعت له الجبال وارتفعت له القرى وروى أنه لما فرغ إبراهيم من البناء أتاه جبريل عليه السلام فقال له : طمأ فطائف هو وإسماعيل سبعة يستلمان الأركان ، فلما أكملوا خلف المقام ركعتين وقام معه جبريل وأراه المناسك كلها : الصفا والمروة ومنى ومزدلفة ..^١

وذكر السهيلي في الروض^٢

أن يعرب قال لهود **الْقَلْبِيِّ** الأنبياء ؟ قال : إنما بينه نبي كريم يأتي من بعدى يتخذه الرحمن خليلاً فلما بعث الله إبراهيم وشب إسماعيل بمكة أمر إبراهيم ببناء الكعبة فدلته عليه السكينة وظلت له على موضع البيت فكانت عليه كالجحفة ، وذلك أن السكينة من شأن الصلاة ، فجعلت عليهما على قبلتها حكمة من الله سبحانه .

^١ مجلة الأزهر السنة التاسعة والستون انحر ١٤١٧ هـ / ٤٠ .

^٢ الروض الأنف للبهلي ج ١ / ٢٢٢ .

وبناء عليه السلام من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة
منها ، وهى طور تينا ، وطور رزينا ، اللذين بالشام ، والجودى وهو
بالجزيرة ، ولبنان (تتليه لير جبل قرب مكة) وحراء وهما بالحرم .
كل هذا جمناه من آثار مروية .

الفصل الخامس بناء العماليق للكعبة

أول من نعرف من القبائل التي سكنت مكة قبيلة العماليق ، ثم نزلت إلى مكة قبيلة جرهم التي عاصرت إسماعيل عليه السلام وقد تزوج منها إسماعيل واتفق مع زعمائها على إدارة شؤون مكة ورعاية حجاج الكعبة المشرفة ..

وتذكر كتب التاريخ الإسلامي عن مراحل بناء الكعبة أن الذين أعادوا بناء الكعبة قبائل العماليق وكان ذلك في زمن سيدهم " عموق " عندما هتف في قومه بدعوهم إلى الفضائل قائلًا : يا قوم ابقوا على ما أنتم عليه لقد سمعتم من كانوا قبلكم من قوم هود وصالح وشعيب من ملكة لما خالفوا واتبعوا من ذنوب ومعاصي فلا تفعلوا ما أنتم عليه ولا تستخفوا بحرم الله وموضع البيت وإياكم والظلم والإلحاد فيه لأن الله يقطع من يفعل ذلك وإن فعلتم ذلك لن يبقى الله لكم باقية ولكن لم يكن لكلامه عندهم استجابة فبعث الله عليهم قبائل جرهم الذين أتوا من اليمن بسبب الجذب هناك وضيق المعيشة ..

الفصل العبادي بناء جرهم للكعبة

فتغلبوا على العماليق وطالت أيامهم واستبدوا بالسلطة تاركين الأمور الدينية لإسماعيل وقاتعين بأمر السياسة والرفادة .. إلى أن جاء سيل عظيم فهدم الكعبة فقامت جرهم ببناءها على ما بناها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وكان الذي بنى البيت منهم بيده رجل يقال له (عمر الجدار) ، ثم زاد ثراء قبيلة جرهم وانغمسوا في الملاذ وأهملوا السهر على بنر زمزم وعلى البيت الحرام وهذا جذب قبيلة خزاعة لتدخل مكة وأن تستولي على السلطة من جرهم. فحذرهم سيدهم (عمرو بن مضاض) بما هم عليه من البغى قائلًا لهم :

" ما استخف قوم ببيت الله الحرام إلا أخرجهم منه " ووصل الأمر بهم إلى أن سرقوا بنر الكعبة وأخذوا ما فيه من الهدايا والنذور ، ولما ينس مضاض بن عمرو الجرهمي من إيقاظ قومه ألقى ببئر زمزم سيوفًا ودروعًا من الصلب وغزالتين من الذهب كانتا بالكعبة وأهال التراب عليها وخرج من مكة هو وقومه أملًا أن يعود لمكة يوما ليستخرج هذه الذخائر وكان خروجه سنة ٢٠٧ ق.م ، ومنذ ذلك التاريخ استولت خزاعة على مكة وخلصت لها وظائف الكعبة كلها سواء ما كان منها متصلًا بالرياسة والسياسة أو الرياسة الدينية^١ .

^١ كتاب الأصنام : لابن الكلبي ح ٨ .

جرهم تستحل حرمة البننة:

ونكر ابن هشام استحلال جرهم لحرمة الكعبة فمن ذلك أن إبراهيم
تَعَبَّيْزٌ كان احتفر بئراً قريبة القعر عند باب الكعبة كان يلقي فيها ما
يهدى إليها فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة فيذكر أن
رجلاً منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة فسقط عليه حجر من شفير البئر
فحبسه فيها ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كراس الجدى سوداء
المتن بيضاء البطن فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت في البئر
فيما فكروا " نحواً من خمسمائة عام "¹

□ بناء قصي بن كلاب للكعبة .

بعد أن انتقلت السلطات إلى قريش عام ٤٤ م والتي كانت قد نزحت
إلى مكة قبل ذلك كما ذكرنا في تاريخ مكة . فأصبحت أمور الكعبة
المشرفة كلها في يد قصي بن كلاب الجد الرابع للرسول ﷺ .
وفي عهد قصي تشقق بناء الكعبة فأعاد بناءها وبنى دار الندوة
ليجتمع فيها كبار القوم للتشاور فيما يهمهم تحت إشرافه .. وهو الذي
رتب وظائف الكعبة وحدد مدلولاتها .. فكانت إليه حجابة البيت وعنده
مفاتيحه فلا يدخل أحد إلا بإذنه ..²

¹ الروض الأنف للسبلي ج ١ ص ١٣٧ .

² أنظر الأضنام لابن الكلبي والسيرة النبوية للدري

الفصل السابع

بناء قريش

منذ بناء قصى بن كلاب للكعبة لم يحدث بها أى بناء إلى أن كان العام الخامس قبل البعثة النبوية ، بنت قريش الكعبة عندما كان الرسول ﷺ فى الخامسة والثلاثين من عمره وسبب هذا البيان كما قال ابن اسحق :

" فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنين الكعبة ، وكانوا يهيمون بذلك ليسعفوها ويهايون هدمها وإنما كانت رضمًا فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرًا سرقوا كنزًا للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة وكان الذى وجد عنده الكنز ، دويك ابنى مليح بن عمرو بن خزاعة .

قال ابن هشام :

فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد رمى يسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها .

وكان بمكة رجل قبضى نجار ، فتهيا لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت (حية) تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهايون وذلك أنه كان لا يدنوا منها أحد إلا أجزالت وكشت وفتحت فاهها ، وكانوا يهايونها فيينا هى ذات يوم تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرا فاخطفها فذهب بها ، فقالت قريش :

" إنا لنرجوا أن يكون الله قد رضى ما أردنا عندنا عامل رقيق

وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية. ' ١

١ نزهة الأندلس للهلبلى / ٢٢٣ - ٢٢٥ .

وتقول الروايات :

" إن الكعبة قد تشققت وأذنت بالسقوط ولكن العرب ترددوا فى هدمها وهابوا ذلك "

فقال الوليد بن المغيرة : " أنا أبدأ بهذا العمل ، وأخذ المعول وبدأ الهدم وهو يقول " اللهم إنا لا نريد إلا الخير " وبعد ذلك تقدم الناس وساعدوا الوليد حتى انتهى الهدم إلى الأساس الذى رفع عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام القواعد ، ووضعت قريش دستوراً لبناء للكعبة حدده الوليد بن المغيرة بقوله :

" يا معشر قريش لا تدخلوا فى بناء الكعبة من مالكم إلا الطيب ، لا يدخل فى بنائها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس .
وتذكر الروايات أن الذى قال هذا الكلام هو أبو وهب خال أبى رسول الله ﷺ .^١

وفى هذا البناء قصرت النفقة بقريش فلم يبنوا الكعبة على قواعدهما الأولى بل تقصوا من طولها فى الأرض ستة أذرع وشبراً وفى ذلك يروى علقمة بن أبى علقمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
" كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه فلما أهديت هذه الرغبة للرسول ﷺ أخذ بيدي فأدخلنى الحجر فإتما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصوا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت .^٢

^١ انظر التروض الأنف للهلبى / ٢٢٥ - ٢٢٦ .

^٢ من الإسلام : السنة ٥٧ العدد ١٢ .

أحداث عند البناء :

وقد حدثت أحداث عند بناء قريش للكعبة ونجملها فيما يلي :
جزأت قريش الكعبة فكان شق اليباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن الغزي بن قصي ولبني عدى بن كعب بن لؤي وهو العظيم .

ويروى : أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقتلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة " أي ارتجت " بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس .

ويروى أيضاً : أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو :

" أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أفلاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشابها مبارك لأهلها في الماء واللبن " .

قال ابن هشام : " أخشابها تعنى حبلها .

وورد أنهم قد عثروا على كتاب في المقام فيه :

" مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يحلها أول من أهلها "

وروى أنهم مجدوا حجراً في الكعبة مكتوباً فيه :

" من يزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً يحصد ندامة ، تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات "

أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب .

وقال الزهري :

" بلغنى أن قريشا حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجرا وفيه ثلاثة صلوح .
نى (الصفح الأول) : أنا الله ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر ..
إلى آخر كلام ابن اسحق .

نى (الصفح الثانى) : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتقت لها اسما من
اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها يتته .

نى (الصفح الثالث) : أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان
الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه ...¹
وضع الحجر الأسود مكانه :

لما ارتفع البناء اختلفت قريش فى وضع الحجر الأسود فى مكانه
واختصموا فى ذلك كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف حمله ووضعه فى
مكانه وعظم الأمر واستعد القوم للقتال وصاح أبو أمية بن المغيرة وكان
أكبر قريش سنا فقال :

" يا معشر قريش حكموا فى هذا الأمر أول من يدخل من باب الحرم
ليقتضى بينكم فارتضوا هذا الراى .

وبعد قليل دخل محمد بن عبد الله ﷺ فلما رآه قالوا هذا هو
الأمين رضينا بحكمه ونظروا إلى محمد ليروا رأيه .

قال محمد نبى الإسلام بعد ذلك عليه صلوات الله وسلامه :

" هلم إلى ثوبا فأتى به فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ
كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به
موضعه رفعه بيده ووضعه مكانه ثم بنى عليه ، وارضى الجميع بذلك .
ارتفاع الكعبة وكسوتها :

¹ أنظر نزوح الألب للسهلى ح ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

وكانت الكعبة على عهد رسول الله ﷺ ثمانية عشرة ذراعاً وكانت
تكمى القباطي ، ثم كسيت البرود ، وأول من كساها الديباج
(الحجاج بن يوسف) .

[الروض الأنف ح ١ - ٢٢٩]

الفصل الثامن

بناء عبد الله بن الزبير ١٤ هـ

عندما أعلن عبد الله بن الزبير خلافته بمكة بعد استشهاده الإمام الحسين بن علي عليه السلام عقب موت معاوية بن أبي سفيان ، أرسل له الخليفة الأموي الجديد يزيد بن معاوية جيشاً بقيادة الحصين بن نمير ونزل الحصين أعلى مكة وأرسل جيشاً أسفلها وصب عليها المجاتيقي ، وضربها بالحجارة وظلوا كذلك حتى جاءهم خبر موت يزيد الخليفة ، وفي خلال الضرب احترقت الكعبة بسبب شرارة تطايرت عليها من النار التي كانت قد أشعلها أنصار ابن الزبير .

ثم رجع الحصين بجيشه للشام عقب موت الخليفة يزيد ، فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويعيد بناءها ، فأتى له بالجص النقي من اليمن وبنائها به وأدخل بها ما كانت قريش قد تخلت عنه عندما أعادت البناء كما أحدث فيها تغييرات أخرى فقد ألصق الباب بالأرض وأُتِح باباً آخر يقابله ليخرج منه الناس وجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعاً ولما فرغ من بنائها طيبها بالمسك والعنبر وكساها بالديباج وكان انتهازه من بناءها في شهر رجب سنة ٦٤ هـ .

ويروى أن ابن الزبير لما أراد هدم الكعبة حدثته عائشة رضي الله عنها فقالت : " سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجر : أمن البيت هو ؟ قال : نعم قالت : فما بهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال : إن قومك قصرت بهم النفقة . قلت : فما شأن بابه مرتفعاً ؟

قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولولا
قومك حديثو عهد فى الإسلام فأخاف أن تنكر فتوبهم لنظرت أن أدخل
الحجر فى البيت وأن ألزق بابه بالأرض. ١
فأدخل ابن الزبير عشرة مشايخ من الصحابة حتى سمعوا ذلك منها ،
ثم أمر بهدم الكعبة فاجتمع إليه الناس وأبوا ذلك ، فأبى إلا هدمها ، فخرج
الناس إلى فرسخ خوفاً من نزول عذاب ، وعظم ذلك عليهم ولم يجر إلا
الخير .

وذكر ابن القاضى عن مجاهد قال :

” لما أراد ابن الزبير أن يهدم الكعبة وبينها قال للناس :

” اهدموا فأبوا وخافوا أن ينزل العذاب عليهم ”

قال مجاهد : ” فخرجنا إلى منى فأقمنا بها ثلاثاً ننتظر العذاب ،
وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه فهدم البيت ، فلما رأوا أنه
لم يصبه شيء اجتراً واعلى هدمه وبناهما على ما حكى عائشة. ٢

^١ أخرجه مسلم .

^٢ من تاريخ الإسلام : السنة ٥٨ العدد ١١ / ٤٧ ، ٤٨ .

الفصل التاسع بناية الحجاج بن يوسف

لما سقط عبد الله بن الزبير وتغلب عليه الحجاج واستولى على الحجاز ، وتراجع الناس فلما قدم الحجاج بن يوسف الثقفي ورأى الكعبة فى بنائها الجديد وحجمها الذى اتسع والتغيرات التى ادخلها عليها عبد الله بن الزبير ، فكتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك فأمره الخليفة بإرجاعها إلى شكلها الذى أقامته قريش فى عهد الرسول ﷺ .

فأمر الحجاج بوضع المنجنيق على أبى قبيس وقال ارموا الزيادة التى ابتلعها هذا المتكلف ، فرموا موضع الحطيم .

فهدم الحجاج جدارها الشمالى وأعاد بناءه على أساس البناء أيام قريش ورفع الباب الشرقى كما كان ، وأخذ بقية الأحجار فسد منها الباب الغربى ، ورصف بقيتها فى البيت حتى لا تضيع ثم كبس أرضها بالحجارة ليرفع مستواها

وعلى الجملة فقد أعادها إلى ما كانت عليه فى زمن الرسول ﷺ فهى إلى الآن على ذلك^١.

ويروى أنه حدث خلاف بين هارون الرشيد وأبود المهدي وجده المنصور فى بناء عبد الله بن الزبير وبناء الحجاج ، وجاء الإمام مالك ليحسم الأمر وأشار عليهم أن يبقى بناء الكعبة كما هو حتى لا تكون الكعبة ملعبة لكل من يشاء أن يزيد عليها أو ينقص منها وحتى لا تزول هيبتها .

^١ منبر الإسلام : لسنة ٥٨ العدد ١١ / ٤٧ ، ٤٨ .

الفصل العاشر

بناء محمد على باشا فى عهد الخلافة العثمانية

أعطى الأزرقى فى كتابه " تاريخ مكة " تفاصيل واسعة عن هذا الطور من البناء فذكر أن مطراً غزيراً وقع بمكة سنة ١٢٣٩ - ١٢٤٠ هـ وأعقبه سيل جارف عم منطقة الكعبة المشرفة ووصل فى ارتفاعه إلى طوق القاديل المعلقة ، ودخل الكعبة المشرفة بارتفاع مترين عن قفل باب الكعبة ، وعلى أثر ذلك سقط الجدار الشامى من الكعبة وانجذب معه الجدار الشرقى .

فأرسل أمير مكة إلى سلطان مصر يستعين به بعد الله ﷻ ، وحينئذ رأى والى مصر محمد على باشا ألا ينتظر أوامر من السلطان العثمانى بل أرسل من قبله مندوباً وخوله القيام بما يصلح البناء المقدس ، وقد بدأ العمل بحركة تنظيف واسعة وإزالة الرمال والأشياء التى كمن السيل قد دفعها إلى الكعبة وحولها ، وكانت هذه الأشياء كالجبال للراسيات كما يقول الأزرقى .

ثم أرسل محمد على آلات ومؤنات واسعة لعملية الإصلاح والبناء ، ويذكرها الأزرقى بالتفصيل وهى شىء هائل أبجرت به السفن المصرية من مصر إلى جدة حاملة أمهر العمال والمهندسين والفنيين لذلك الغرض وأرسل محمد على النحاتين وأمهر المهندسين والعمال لذلك الغرض .

ويذكر الأزرقى بالتفصيل كل الأعمال التى شملت عملية البناء والتجميل يوماً بعد يوم ، وقد ذكر أنه أثناء العمل انهدم الركن الغربى .. ولم يبق سوى ركن الحجر الأسود فهدموه وأقاموا بناء الكعبة من جديد ، وقد استمر بناء الكعبة هذه المرة ستة أشهر وقد استخدموا الأحجار التى بنا بها عيد الله بن الزبير من قبل واستبدلوا التالف منها بأحجار غيرها صلبة

وقد تصدع الحجر الاسود فاحاطوه بسيور من الفضة .. وقد ارسلت مصر كافة نققات البناء .

وفي يوم ٢٢ رمضان ١٢٤٠ هـ كتب محضرا ارسل الي والى مصر فيه شهادة المكيين بحسن عمارة البيت وتجميله على أعلى مستوى .

بفاء السلطان مراد للكعبة

وقد بنيت الكعبة فى عام ١٠٤٠هـ - ١٦٣٠م فى عهد السلطان مراد ابن السلطان أحمد العثمانى .

الفصل الحادي عشر

بغاء الملك فهد

١- العمارة السعودية الحديثة قُبدأت يوم ٢٣ شعبان ١٣٧٥ هـ الموافق ٥ من إبريل ١٩٥٦ م وقد بلغت تكاليفها ما يقرب من ٧٠٠ مليون ريال سعودي ذات معها مساحة الحرم بعد التوسعة الحديثة فقد بلغت ١٦٠١٦٨ م بدلاً من ٢٣٥٠٠٠ م ...

وقد شرف الله ﷻ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود بهذا البناء الذي أعده المؤرخون بأنه البناء الثالث عشر في تاريخ الكعبة .

وقد روى أن ابتداء أعمال الترميم تم باستخراج كل حجر من حجارة البيت العتيق ما عدا الرئيسية منها ووضع لكل حجر ترقيم خاص يبين موقعه فيشذب ويغزل ويعالج ويعاد إلى موضعه السابق ويلصق بمونة

(مواد بناء خاصة) لا تخلف تجويفات هوائية بين الحجر والآخر ، وأنه تم تأسيس قواعدها من عند قواعد إبراهيم الخليل حتى يكون العمل على أكمل وجه باطنه وظاهره ... ثم ألبست الحوائط الحجرية كذلك بالرخام حتى ارتفاع أربعة أمتار تقريباً وما علا ذلك تم كسوته بكسوة من حرير على هيئة ستارة يميل لونها إلى الزرقة وموهة بنمسيج أقرب إلى البياض مكتوب عليها بشكل عمودي وأفقي متكرر (لا إله إلا الله محمد رسول الله جل جلاله) .

وما زالت الكعبة المشرفة محل اهتمام وتجديدات وزخرفة من المسنولين السعوديين " آل سعود " وكذا من توسعات للحرم المكي وغيره .

كما ذكرنا من قبل عند الحديث عن المسجد الحرام .

الفصل الثاني عشر

كسوة الكعبة

كان اناس على عهد الجاهلية يكسون الكعبة ، حتى جاء الإسلام وأقر كسوتها ..

أول من كساها تبع .

وروى أن أول من كساها (أسعد الحميري) وهو (تبع) ، قال العتبي :
كانت قصة تبع قبل الإسلام بسبعمئة عام .

ونكر السهيلي في الروض : ١

" بقيت الكعبة على ما هي عليه غير مسقفة فكان أول من كساها

(تبع) لما أتى به مالك بن العجلان إلى يثرب وقت اللاموت ، فمر بمكة فآخبره بأصلها وشرفها فطأها بالبيت وتحرى عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام (فيما يذكرون) ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم الصل ، ورأى في المنام أن يكسوا البيت فكساه .

لخصف : وهي حصير من خوص النخل ، ثم رأى في المنام أن لكسها لصن من هذا فكساها الأنطاع (جمع نطع : وهو بساط من الجلد)
فأرى في المنام أن أكسها أحسن من ذلك فكساها المعافر والوصائل .

والمعافر : ثياب يمانية تنسب إلى قبيلة من هندام يقال لهم المعافر اسم الثياب ، والقبيلة والموضع الذي تعمل فيه واحدا ، وربما قيل له للمعافرية وثوب معافري يتصرف في النسبة ولا يتصرف في المفرد لأنه على زنة الجمع ثلاثة ألف ونسب إلى الجمع لأنه صار بمنزلة المفرد صمى به مفردا) .

١ الروض الألف للسهيلي ح ١٠ / ٤٠ -

وروى أن تبعاً لما كسا البيت المسوح والأطباع ، انتقد البيت فزال ذلك عنه ونقل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصائل قبلها وممن نكر هذا الخبر قاسم في الدلائل .

فكان تبع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاً (وهي المحايض) وجعل لها باباً ومفتاحاً .

وذكر الواقدي : " حدثنا معمر عن همام بن منبه ، سمع أبي هريرة يقول : (نهى رسول الله ﷺ عن سب أسعد الحميري ، وهو تبع ، وهو أول من كسا البيت وهو تبع الآخر .

خالد بن جعفر بن كلاب

قال للسيهلي في الروض^١ :

وقد ذكرنا في خبر تبع أنه أول من كسا البيت الديباج ، وذكرنا سبب ذلك ونزيدها هنا ما ذكره الماوردى ، قال : " أول من كسا البيت الديباج (خالد بن جعفر بن كلاب) أخذ لطيمة من البرز وأخذ فيها أتماطاً^٢ فعلقها على الكعبة " .

عبد المطلب جد رسول الله ﷺ

كان أول من حلّى البيت عبد المطلب لما حفر بنو زمزم وأصاب فيه من دفن جرهم غزّ التين من ذهب فضربهما في باب الكعبة .

^١ الروض الأمثل للسيهلي ح / ١٣١ .

^٢ اللطيمة : العر تحمل البضغ . والبر : الثياب . والأتماط : ضرب من البيط

كسوة رسول الله ﷺ

أهم ما يزين الشكل المعماري للكعبة للمشرفة لباسها المشهور
(كسوة الكعبة) .

وقد لبست الكعبة أول كسوة إسلامية في العام التاسع الهجري بعد ما
قيض الله لهم فتح مكة .

وروى أن رسول الله ﷺ كسا الكعبة مرة واحدة وذلك في حجة الوداع
كساها الثياب اليمانية .

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية : ما روى " ... حتى أقبلت كتيبة لم ير
مثلها فقال : " من هذه قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادته معه
الراية .

فقال سعد بن عبادته : " يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل
الكعبة فقال أبو سفيان : " يا عباس حينذا يوم الذمار ، ثم جاءت كتيبة
وهي لقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، ورواية رسول الله

ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال : "
ألم تطم ما قال سعد بن عبادته ؟
فقال : ما قال ؟ قال : كذا وكذا .

فقال : " كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله الكعبة ويوم تكسى فيه
الكعبة " .^١

ذكر اللواتي عن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه قال :
" كسا البيت في الجاهلية الأنطاع^٢ ثم كساه رسول الله ﷺ الثياب
اليمانية .

^١ البداية والنهاية لابن كثير ، ٤ / ٢٨٥ .

^٢ الأنطاع : جمع نطع وهو ما يُحْرش على الأرض كالباط ويصع من المجلد الأحمر .

ونكر ابن هشام : " أن الكعبة على عهد رسول الله ﷺ كانت ثمانى عشر فراعاً وكانت تكسى القباطى ثم كسيت البرود " .

عمرو وعثمان وأبن عمر رضي الله عنهم

كسوها القباطى والأنماط ، وعى خطى رسول الله ﷺ صار الخلفاء الراشدون فى تقليد كساء الكعبة مرة كل عام جعلها معاوية مرتين والمأمون ثلاثة حتى أعاده الخليفة العباسى والمهدى عام ١٦٠ هـ إلى واحدة ...

وذكر الواقدي : كساها عمر وعثمان القباطى ^١ .

وأخرج سعيد بن منصور أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة ليقسمها على الحاج فيستظلون بها على السمر بمكة ^٢

وكان لين عمر رضى الله عنهما يحلل بدنه القباطى والأنماط ^٣ والحلل ، ثم يبعث بها إلى الكعبة يكسوها إياها ^٤

بزييد بن معاوية

كساها الديباج وأخرج الواقدي : أيضا عن إسحاق بن أبى عبد بن أبى جعفر محمد بن على قال : كان الناس يهدون إلى الكعبة كسوة ، ويهدون إليها البدن عليها الحبرات " ^٥

^١ الناضى : جمع قطبة وهو ثوب من ثياب مصر ، رفيع أبيض لأنه مرسوب إلى القبط وهم أهل مصر آنذاك .

^٢ السر : نوع من الشجر .

^٣ الأنماط : جمع عطف نوع من البسط .

^٤ رواد ملك .

^٥ الحبرات : جمع حبرة وهو ما كان عظما من البرود من ثياب اليمن .

فبيعت بالحبرات إلى لبيت كسوة . فلما كان يزيد بن معاوية كساها
الديباج .

عبد الله بن الزبير

كساها الديباج أيضا :

روى أن ابن الزبير بعدما أنتهى من البناء طيب الكعبة بالمسك وكساها
بالديباج وكان يبعث إلى مصعب بن الزبير ليعث بالكسوة كل سنة فكان
يكسوها يوم عاشوراء^١

لقد أخذت الكعبة زخرقها بالرخام والفسيفساء على يد عبد الله بن الزبير
الذى جعل لها بابين ، ثم عمد إلى تعطير جدرانها الداخلية بالمسك والخبير
وكساها والديباج مع أنها كانت من قبل تكسى بالقباطى للمستقدم من
مصر .

الحجاج بن يوسف الثقفى

كساها الديباج أيضا .

ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية :

" أنه لما استبد بالأمر عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع جدراته وأمر
بالكعبة فكسيت الديباج وكان الذى تولى ذلك بأمره الحجاج بن يوسف .

وقال ابن اسحق : كانت تكسى القباطى ثم كسيت البرود وأول من كساها
الديباج الحجاج .

وقد ذكر الواقدى : " ثم كساها الحجاج الديباج " .

^١ فقه السنة / ١ - ٦٤٤ .

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

ويروى أنه لما تم البناء الأخير الثالث عشر للكعبة ... وبعد الانتهاء ألبيت الحوائط الحجرية للكعبة بالرخام حتى ارتفاع أربعة أمتار تقريبا وما علا ذلك تم كموته بكسوة من حرير على هيئة ستارة يميل لونها إلى الزرقة ومموهة بنسيج أقرب إلى البياض مكتوب عليها بشكل عامودي وأفقى متكرر :

" لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الله جل جلاله " على شكل الرقم " ٨ " يزداد ظهورها كلما سقط الضوء الطبيعي عليها وهي أكثر وضوحا بالتأكيد وبذات الخط والزخرفة المشاهدة فى أصل الكسوة الحريرية السوداء على ظهر الكعبة .

ويوجد أعلى الحائط الغربى قطعة حرير حمراء واضحة وجلية منقوش فيها بخيوط الذهب والفضة إهداء ممهور باسم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وتاريخ إهدائه للكسوة الداخلية ، تقبل الله منه^١ ولا تزال الكعبة المشرفة تكسى إلى يومنا هذا وتقوم المملكة العربية السعودية الآن بكسوتها وتخصص مصانع لهذا الغرض بعد أن كانت زمناً يَبْث لها الكسوة من مصر .

اللون الأسود كساء الكعبة

فيما كانت ألوان كسوة الكعبة تتراوح ما بين الأحمر والأخضر والأزرق والأصفر والأبيض فى العصور الجاهلية والعصور الإسلامية اللاحقة .

^١ حريدة الملمون السنة ١٢ العدد (٦٢٢) .

فقد انتظم لونها الأسود منذ عهد الخليفة العباسي الناصر الذي جعل
لكسوة الكعبة لونها الأسود النهائي الذي استمر من بعده إلى اليوم .
أما الستارة المفروشة على واجهة الكعبة والمعروفة بالبرقع فكان
السلطان المملوكي " فرج بن برقوق " هو أول من أضافها إلى الكسوة
وذلك عام ٥٨١٠ هـ ، ولما الحزام المحيط بالكسوة بشكل نطاق فالأغلب أنه
أضيف اعتباراً من القرن الحادي عشر للهجرة ، كما أضيف في الوقت
نفسه الستارة المطرزة على باب الكعبة.^١

^١ جريمة المسلمون (السنة الحادية عشرة العدد ٥٧٢) .

الفصل الثالث عشر

غسيل الكعبة

روز ابن عباس رضی اللہ عنہما أن رسول اللہ ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح الأعظم . فأمر سيدنا بلال رضي الله عنه فرقى الكعبة وأذن للصلاة واجتمع المسلمون وغسلوا الكعبة الشريفة بماء زمزم ..
ومن هنا جرت العادة بغسيل الكعبة المشرفة من حين إلى آخر ، ويقام لهذا الغسل حفل كبير خصوصاً قبل مواسم الحج ..
ويحضر هذا الغسل كبار ولاة الأمور ثم يلبس الكعبة الكسوة الجديدة ..
وكان ماء الغسل يوضع فى قوارير ويهدى به على سبيل التبرك به ..
وفى هذه الأيام يقام احتفال مهيب يحضره خادم الحرمين الشريفين ولسانيد رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرم الوطنى ليرأس الاحتفال المسوى لغسيل الكعبة المقدمة لقتداء بسنة رسول الهدى وخاتم النبیین ﷺ فتفضل بالورود والعود وماء زمزم ..

تطيب الكعبة

ورد أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : " طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره " وكانت تقول : " تطيب للكعبة أحب إلى ممن أهدى لها ذهباً وفضة " وقد ورد أن ابن الزبير رضي الله عنه لما فرغ من إعادة بنائها أنه طيب الكعبة بالبخير والمسك من أعلاها إلى أسفلها .
وقيل إنه كان يضع عليها كل يوم رطل من الطيب ويوم للجمعة رطلين ..

وكان يطيب جوف الكعبة من الداخل كله ..
وقد فعل ذلك معاوية والخليفة العباسي المهدي عام ١٦٠ هـ
ولكن تطيب الكعبة لم يهمل في أيامنا هذه فما زال الطيب والمسك
والعنبر يوضع عليها من حين لآخر .

مفاتيح الكعبة " السدانة "

عندما فرغ سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل من بناء الكعبة رجع
سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى قومه وبقي سيدنا إسماعيل عليه السلام
لخدمة الكعبة ومرت سنوات على ذلك وتولى أبناء سيدنا إسماعيل خدمة
الكعبة من بعده ..

وسبحان الذي لا يدوم لغيره حال فبمرور السنوات ضعفت شأنهم وتغلب
عليهم العماليق حتى نالوا أمر خدمة بيت الله الحرام وظلوا على ذلك إلى
أن جاءت بنو " جرهم " إلى مكة عن طريق اليمن وكان ذلك في منتصف
القرن السادس قبل الميلاد تقريبا وكان سيد " جرهم " هو " مضاض بن
الحارث " الذي استطاع أن يتغلب على العماليق واستطاع السيطرة على
الأمر إلى أن نال منهم خدمة البيت الحرام ، ولكن الله أتزل بين جرهم
وباء شديد حتى قضى على الكثيرين من رجالهم فكان ذلك سبب في عودة
مفاتيح الكعبة وخدمة بيت الله الحرام إلى أحفاد سيدنا إسماعيل عليه السلام
حتى أنهم طردوا بنى " جرهم " من مكة وظلت مفاتيح الكعبة وشرف
خدمة بيت الله الحرام في يد أحفاد سيدنا إسماعيل إلى أن جاءت بنو
خزاعة ونالت شرف خدمة بيت الله الحرام وسقاية الحجاج ، ولكن أحفاد
سيدنا إسماعيل ظلوا يترقبون الأمر زمانا طويلا إلى أن جاء قصي بنى

* السدانة - الذين يقومون بأمر الكعبة :

كلاب من الشام وهو البطن الرابعة والضريرين من بطون إسماعيل عليه السلام فجمع قصى قبائل قريش ونشر الحب والود بينهم بعد العدوان والجفاء وبعد ذلك استطاع قصى بن كلاب أن يشتري حجابة البيت الحرام من قبائل خزاعة لينال هو ومن معه هذا الشرف العظيم وقد وصل به الأمر إلى أنه طردهم بعد ذلك من مكة .

وسيطر بعد ذلك على خدمة بيت الله الحرام والسقاية والرفادة ..

وبناء دار الندوة ..

وكان ذلك سبباً في أنه رفع من شأن قريش في الجزيرة العربية حتى أن سائر القبائل كانت تدفع لهم ما ينفق على حجيج بيت الله الحرام ..

وقد أوصى قصى بن كلاب بخدمة بيت الله الحرام وسقاية الحجيج والرفادة إلى ابنه " عبد الدار " من بعده وظل الأمر في يد عبد الدار من بعد أبيه قصى بن كلاب إلى أن ظهرت عليه عيد منائف حتى كادت الخلافات تلح بينهم في الحرب إلى أن حكمت القبائل بينهم بتقسيم خدمة بيت الله الحرام فكان من نصيب عبد الدار حجابة البيت وكذلك لواء الحرب .

وكان من نصيب بنى عبد منائف السقاية والرفادة ومع مرور الزمن ازدادت قريش وتقسمت إلى قبائل وقبائل ويطون ويطون وقد انقسمت هذه الامتيازات معهم لازدياد عددهم ، فكانت الريادة من نصيب بنى نوفل ، وبنى عبد المطلب السقاية ، وبنى عبد الدار سدانة الكعبة والحجابة ولواء الحرب ، وكان سيد عبد الدار في هذا الوقت هو " عثمان بن طلحة " إلى أن جاء عام الفتح وأقره الرسول على ذلك .

وروى ابن إسحاق :

أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمان الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى

طوافه دعا عثمان بن طلحة فآخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عبدان فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استوضح له الناس في المسجد ..

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله ﷺ : " أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال : " هاك مفاتحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء "

وروى الإمام أحمد : عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة : " ومال تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فإنهما أمضيتهما لأهلها على ما كانت " ¹ وظلت مفاتيح الكعبة في يد عثمان بن طلحة حتى تولها من بعده شيبه ومفاتيح الكعبة اليوم مع آل الشيبى وهم بطن من بطون قريش قد توارثوها عن آبائهم وأجدادهم .

الفصل الرابع عشر هدايا الكعبة وما علق بداخلها

خصص المؤرخ الشيخ / حسين عبد الله باسلامة في كتابه (تاريخ الكعبة المعظمة) فصلاً كاملاً عن هدايا الكعبة المشرفة وتتبع ما جاء في كتب الأثر والتاريخ ودون ذلك بالنقل .. وللفائدة نذكر بعضاً مما ضمنه في هذا الخصوص .

روى الفاسي في شفاء الغرام عن المسعودي أنه قال في " مروج الذهب " في أخبار الفرس : " وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالاً في صدر الزمان وجواهر ، وقد كان ساسان بن بابك أهدى غز التين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً فدفن في زمزم ، وقد ذهب قوم من مصنفي الكتب في التواريخ وغيرها من السير أن ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة ، وجرهم لم تكن ذات مال أيضاً ذلك إليها ، ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم . أ . هـ .

قال الفاسي : ويقال إن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة (ذكر ذلك صاحبه " المورد العذب الهني " أ . هـ .

وروى الأزرقي عن صفية بنت شيبة : أن امرأة من بنى سليم قالت لعثمان بن طلحة " لم دعاك النبي ﷺ بعد خروجه من البيت ؟ قال : قال لي : إنى رأيت قرني الكباش في البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرها (أى تجعل عليها خمراً يسترهما) فإنه لا ينبغي أن يكون شيء يشغل مصلياً " .

قال عثمان : وهو الكباش الذي قدى به إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وروى عن عمر بن قيس أنه كان يقول : كان قرنا الكبش فى الكعبة فلما هدمها ابن الزبير وكشفها وجدوهما فى جدار الكعبة مطليين بمشق ، قال : فقد ناولهما فلما مسهما همدا من الأيدى .

وروى الأزرقي من طريق الولقي عن أشياخه قال :

" لما فتح عمر بن الخطاب رضى الله عنه مدائن كسرى كان مما بعث به إليه دلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة ، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمستين وقدهين من قوارير ، وضرب على الاسطوابة - العبود - الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفايح ، وبعث الوليد بن عبد الملك بقدهين .

وبعث الوليد بن يزيد بالسريز الزيتبى وبهلالين وكتب عليهما اسمه .
وبعث أبو العباس - المسفاح أول الخلفاء العباسيين - الصفحة الخضراء وبعث أبو جعفر المتصور بالقارورة الفرعونية .
كل هذا معلق فى البيت أى فى زمن الأزرقي .

وقال التقي الفاسى فى مصنفه " شفاء الغرام " ومما أهدى للكعبة من هذا القبيل ولم يذكره الأزرقي قفل فيه ألف دينار أهداه إليها المعتصم العباسى .

وقال الفاسى : ومما أهدى لها قناديل بعث بها المطبع العباسى كلها فضة خلا قنديلاً منها كان ذهباً زنته ستمائة مثقال وذلك سنة ٣٥٩ هـ ومن ذلك قناديل ومحاريب أهداها إلى الكعبة صاحب عمان على ما فكره أبو عبيد الله البكرى فى كتابه " المسالك والممالك " وذلك بعد سنة ٤٢٠ هـ .

وقال القاس : ومن ذلك قناديل ذهب وفضة أهداها للكعبة الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فى سنة ٦٣٢ هـ .

ومن ذلك قفل ومفاتيح أهداها إليها الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب عليه القفل المذكور .

ومن ذلك ما أخبرني به بعض فقهاء مكة " والرواية للفقهاء القاسي :-
أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ما ذكر في مقدار الدورق المكسي
اثنان منها ذهباً واثنان فضة والمهدى لذلك هو السلطان شيخ أويس
صاحب بغداد وذلك في أثناء سنة ٧٧٠ هـ وعلق ذلك في الكعبة زمناً قليلاً
ثم أزيل .

وقال القاسي : وأهدى بعد ذلك للكعبة قناديل كثيرة والذي في الكعبة الآن
من المعاليق ستة عشر قنديلاً منها ثلاثة فضة ، وواحد ذهباً وواحد بلوراً
واثنان نحاساً والباقي من الزجاج الحلبي وهي تسعة وليس في الكعبة
الآن شيء من المعاليق التي ذكرها الأزرقي ، ولا مما لم يذكره مما
ذكرناه سوى الستة عشر قنديلاً ، وليس فيها شيء من حلق الذهب
والفضة التي كانت في أساطينها وجدرانها بسبب توالي الأيدي عليه من
الولادة وغيرهم على ما ذكر الأزرقي في تاريخه .

وقال قطب الدين في " الأعلام " أرسل السلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ ثلاثة
قناديل من ذهب مرصعة بالجواهر لتطوق لثنان منها في سقف بيت الله
تعالى والثالث في الحجرة الشريفة النبوية فطقاً في الكعبة المشرفة وهو
أول من علق قناديل الذهب في الحرمين الشريفين من آل عثمان . أ . هـ .
وقال الطبري المكسي في " الاتحاق " إن ملكة بندراشي أرسلت خمسة
قناديل ذهب للكعبة في إمارة الشريف سعيد بن يركات سنة ١٠٩٤ هـ
فعلقت بها أ . هـ .

وخلص المؤرخ حسين عبد الله باسلامة يرحمه الله إلى القول :
" هذا حاصل ما وقفت عليه من هدايا الكعبة المشرفة ، وما جرى على
تلك الهدايا من سلب ونهب وغير ذلك .

ويوجد الآن معاليق كثيرة في سقف الكعبة غير أني لا أعلم عن
حقيقتها هل هي معمولة من ذهب أو فضة أو نحاس كما أن آل الشيبلي

سدنه للكعبة المعظمة لا يطمون بالضبط عن حقيقتها لقدم عهد تعليقها ،
وربما أنها من عهد بناء الكعبة الأخير إلى الآن لم تنقل من موضعها
ولذلك تعذر على أن أصلها وصفا صحيحا والله أعلم بحقيقتها.¹

¹ جريدة أشلمون - السنة ١٢ العدد (٦٢٢) .

الفصل الخامس عشر هبة الكعبة

اهتم المؤرخون بالكعبة حتى أنهم درسوها دراسة تاريخية وجغرافية وهندسية من الداخل والخارج والسقف والأبواب .. إلخ ونعرض هنا لكل ذلك :-

الكعبة من الخارج :

الكعبة المشرفة بناء مكعب تقريبا ولذلك سميت الكعبة وزواياها إلى الجهات الأربع والعرب يسمون الزوايا بالأركان وينسبونها إلى اتجاهاتها فالركن الشمالي يسمى بالركن العراقي ، والركن الغربي يسمى بالركن الشامي والقبلي يسمى بالركن اليماني ، والشرقي يسمى بالركن الأسود لأن به الحجر الأسود .

وتتكون الكعبة المشرفة بشكل أسامي من جدران الكعبة وفيها باب الكعبة على ركن منها الحجر الأسود ويعطوا الجدران سقف الكعبة وتتساب عليها كموة الكعبة .

والكعبة مبنية بالحجارة الزرقاء الصلبة ، وارتفاعها ١٥ مترا ومساحتها ١٢ مترا في ١٠,١ مترا أي طول الكعبة أربعة وعشرون ذراعا وشبر وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعا وشبر .

وقد ذكر الشيخ / باسلامة في كتابه " تاريخ الكعبة المعظمة " :-

لطول مساحة الكعبة المشرفة التي نقلها عن المؤرخ إبراهيم رفعت باشا المصري في كتابه " مرآة الحرمين " وأثبتها بعد تدقيق ومراجعة في كتابه الشامل وخلص فيه إلى القول : " وذرع الكعبة للمعظمة .. طول ضلعها الشمالي ٩٢, ٩ م ، والغربي ١٥, ١٢ م ، والجنوبي ٢٥, ١٠ م ، والشرقي ٨٨, ١١ م "

وبين أيضا " ... أن ذرع إبراهيم رفعت باشا ، فى الطول والعرض لا يختلف عن ذرع سابقه من المؤرخين تقى الدين الفاسى صاحب " تاريخ العقد الثمين " مخطوط ، وأبو الوليد الأزرقى مؤلف " أخبار مكة " إلا أن باسلامة رجح ذرع الفاسى فى ارتفاع الكعبة الذى خلص إلى أنه ١٣,٠٦٥ مترا ، والذى ذكر إبراهيم رفعت أنه ١٥ مترا . وقد أكد أحد مهندسى فريق الترميمات المنجزة بالكعبة أنه ارتفاع الكعبة ١٣ مترا . على ما ذكر " باسلامة " ^١

﴿أبواب الكعبة﴾ :

والواقع أن باب الكعبة المشرفة مؤلف من بايين أحدهما خارجى والثانى داخلى .

الباب الرئيسى :

وهو مرتفع عن الأرض مترين نحو القامة ويصعد إليه بسلم مرصع بالذهب وارتفاع الباب ثلاثة أمتار وعشرين سم وعرضه حوالى مترين تقريبا مقبلا إلى الشرق وقد حدث أن ابن الزبير عند بنائه للكعبة جعل بابها للأرض إئتداء بما ورد عن رسول الله ﷺ كما ذكرنا .

تجديد الباب :

فى جماد الأولى من العام ١٣٩٨ هـ (١٩٧٧ م) كان جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود يرحمه الله يؤدى الصلاة داخل الكعبة المشرفة فلاحظ أن بابها قد اعتراه البلى وهذا الباب كله قد صنع عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) فى عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، يرحمه الله ، وأمر جلالة الملك خالد بصنع باب جديد بمواصفات متطورة ليوضع بدل الباب الأول ، ويؤشر فى وضع الدراسات التصحيحية الفنية التى تكلف (٣٠٠,٠٠٠) ريال وقام بها مهندس متخصص فى الزخارف الإسلامية

^١ جريدة الملون (السنة الثانية عشرة) العدد (٦٢٢)

وتضمنت الموافقة على التصميمات النهائية أنشئت ورشة خاصة ،
يشرف عليها شيخ الصاغة " فى مكة المكرمة مع عدد من الفرس
المهرة . وتضمنت التصميمات النهائية تحقيق الإسجام بين ستارة الكعبة
المشرفة وبابها واعتماد خط " الثلث " فى كتاب الآيات الكريمة والكلمات
الأخرى مع تنفيذ أعمال الزخرفة حفرًا ونقشًا ، بالذهب مع نسبة قليلة من
الفضة ، وعليه مصراعان ملبسان من صفائح الذهب الخالص مقابلًا
للمشرق وبعد أستكمال التجارب الأولية بوشح بالتنفيذ الفعلى وتولت
مؤسسة النقد العربى السعودى تأمين كميات الذهب اللازمة التى بلغت
(٢٨٠) كجم من عيار (٩٩٩٩ %) وتكلف (١٣٤٢٠٠٠٠) ريال .
وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ولياً للعهد ونائباً
لرئيس مجلس الوزراء إذ ذاك فأولى هذا المشروع إهتمامه وتفقد العمل للاطمئنان
إلى دقة التنفيذ .

باب التوبة :

أما الباب الداخلى للكعبة المشرفة ويدعى باب التوبة فهو مطابق للباب
الخارجى من حيث الزخرفة الخطوط والنقوش
ويوجد على الحائط الشمالى يمين باب الكعبة الشريف لكنه أقل ارتفاعاً
وحجماً من الباب الرئيسى ملبساً بصفائح من الذهب الخالص وموشى
بالفضة النقية يطلق عليه باب التوبة ، وهو مزود بقفل محكم على هيئة
مزلاج على الطراز القديم مصنوع أيضاً من الذهب الخالص وباب التوبة
كقرينة الأكبر آيتان من آيات الإبداع الإنساتى نقشاً وصناعة وإتقاناً حتى
الخيال .

وصف باب التوبة :^١

^١ وضعه المهندس المعمارى الألمان الملعب من أصل سوري / مبر اخدى .

قال المهندس بأن نسبته إنسانية لأنه قريب من حجم الإنسان وحجم الأبواب التي يتعامل معها في حياته اليومية .

وأضاف : أن المادة الإنسانية الأولية المستخدمة اصناعة باب التويبة هي خشب مميز وخاص استقدم خصيصاً من تايلند ومأخوذ من شجر كبير جداً يسمى هناك " مكامونغ " وهذا الخشب يتميز بوزنه النوعي لدرجة أنه لا يطفوا على سطح الماء بل يغوص داخله .

ويتميز أيضاً بصلابته لدرجة أن منشار الخشب لا يعمل فيه بل يحتاج إلى منشار حديد ، وتم تلييس الخشب بصفائح من الذهب الخالص ، ملصقة بمادة لصق أبدية وهي من ذات النوع المستخدم في صناعة الطائرات ، وأضيفت الفضة النقية في التصميم للتحديد من الزخرفة والخط واستخدامها في البابين قليل جداً ووظفت من أجل إعطاء مرونة في الشكل وللفصل بين مستويات الباب الثلاثة .^١

قفل الكعبة :

كذلك صنع قفل حديد جديد للكعبة المشرفة حيث أن القفل القديم يعود عهده إلى أكثر من سبعين سنة وبذلك استكمل تجديد وتجميل كل من يتطرق بقبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم .

الكعبة من الداخل :

وإذا دخلنا جوف الكعبة - من هذا المكان الذي صلى فيه الأنبياء ، وتنزل إليه ملائكة السماء فوجاً بعد فوج ، ومدداً بعد مدد في رحلة النور والضياء

.. ولا أخفى عليك عزيزي القارئ : أن القلم يرتعش في يدي الآن وأنا أكتب لك عن داخل الكعبة المشرفة وأنا تأخذني الرعدة والقشعريرة .

^١ حريدة المسلمون السنة ١٢ العدد (٦٢٢)

وانا أكتب عن أقدس وأشرف وأظهر مكان يمكن للمرء الدخول إليه
ويحظى بروية أسمى وأروع مكان ..

فإذا قدر الله لك الدخول فتقع عينك على أعمدة الكعبة الثلاثة التي
أقامها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في عمارته للبيت الصيقي قبل أكثر من
ثلاثة عشر قرناً وهي من الخشب القوي ، بارتفاع إحدى عشر متراً تقريباً
حتى السقف ، وهي موزعة في وسط الكعبة أفقياً من الشمال إلى الجنوب
وهي أسطوانية الشكل قطرها حوالي نصف متر تقريباً ، ألبيست بقشرة
وضلعة عامودياً من الخشب " التيك " الفاخر ، مستتدة على قواعدها
مربعة من ذات الخشب بارتفاع نصف متر تقريباً منقوشة بزخارف
ونقوش راقية يحف أطراف أضلاعها الأربعة رقائيق مذهبة اللون تعكس
بهاء للناظر .

وكل عامود محاط بثلاث أساور من ذهب وفضة ذات نقوش إسلامية
ناضرة ، ويتميز السوار الأوسط منها بأنه يلامس قطعاً ذهبية مفرغة
تحيط بالعامود ظاهرة الشكل منقوش فيها آيات قرآنية .

وفي الربع الطوي للأعمدة الثلاث يمتد قضيب معدني للون له مشاجب
معلق عليها هدايا الكعبة وهي على هيئة أباريق وأوان وقناديل ،
وأصناف أخرى ، واضحة الدقة في الصنع رغم قدمها يبدو بعضها
مصنوعاً من الذهب الخالص ، والبعض الآخر من الفضة والمعادن النقية
متنوعة في الحجم والصفة والهيئة ، وقد عجزت عن إحصائها بدقة ،
وقدرت المعلق منها ما بين الحائط الجنوبي الذي فيه الركن والحجر وما
بين العامود الأول المقابل للباب الشريف بستة عشر قطعة ، أما ما علق
على البقية فهي هدايا كثيرة صغيرة وكبيرة " مجموعها لا يقل بحال عن
خمسین قطعة أهدت للكعبة في حقب مختلفة من التاريخ " على كل قطعة
تاريخ إهدانها وبين العامود الأول والثاني عمل صندوق من الرخام الفاخر

لونه يميل إلى اللون الرمادى المموج وهو من ذات الرخام المفروش على باطن أرض الكعبة .

تحفظ فيه مختلف أنواع البخور والطيب من عود ومسك وعنبر إلى جانب مواد غسل الكعبة المشرفة من ماء ورد وقطع قماش .

وأكثر ما يلفت الانتباه على أرضية الكعبة الرخامية تميز مواقع بلوح رخام أبيض بخلاف البقية فى اتجاه الحائط الغربى المقابل لباب الكعبة وهى أقرب لجهة الركن اليمانى .. قيل إنها المكان الثابت للذى صلى فيه سيدنا رسول الله ﷺ .. وعلى ذات " الحائط الغربى " المكسو كغيره بأفضل أنواع الرخام المجلوب خصيصاً من إيطاليا ذا لون وردى مموج بحمرة بارتفاع أربعة أمتار تقريباً لكل حائط يحيطها بروازان بين ذات الرخام ، غير أنه أسود اللون يعكس رونق الرخام الداخلى ، ارتفاع كل برواز ٣٠ سم تقريباً .

ثبتت بعناية سبع ألواح من رخام محفورة بجارات إيمانية وأسماء الخلفاء وسلاطين وفقههم الله فى عمارة البيت العتيق على مر الحقب الإسلامية المختلفة أقدمها للخليفة العباسى المستنصر بالله وممهورة سنة تسع وعشرون وستمائة للهجرة ، وتستطيع أن تميز من خلالها تطور كتابة الحرف العربى ، رغم ما أصابها من عوامل القدم ولمس الأيدى وتضمينها بالدهون والطور على مر الزمان .

ألواح الكعبة :

فقد جاء في كتاب " تاريخ الكعبة المظمة " للمؤرخ / حسين عبد الله باسلامة^١ أما ما هو موجود من الألواح الرخام المكتوبة المصقفة بالجدار الذى بداخل الكعبة فهي سبعة ألواح ..

١- (اللوحه الأولى) " ... للسلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى ..

بتاريخ مستهل رجب الفرد عام أربع وثمانين وثمان مائة من الهجرة "

٢- (اللوحه الثانية) : مكتوب فيها الإهداء بأبيات شعرية خطت بالخط

البارز وهى تعود إلى " أم خاقان الورى خان مصطفى ... بمباشرة أحمد

بيك فى سنة تسع ومائة وألف ، شيخ الحرم المكى "

٣- (اللوحه الثالثة) : لوحه أبى جعفر المستنصر وقد سبق الحديث عنها

اللوحه الرابعة : لوحه تعود إلى " يوسف بن عمر بن عسى بتاريخ سنة

ثمانية وستمائة " وصاحب هذه اللوحه هو الملك المظفر صاحب اليمن

فى ذلك العصر "

٤- (اللوحه الخامسة) : لوحه مكتوب فيها بالخط البارز كثيرها تعود إلى

" .. السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان ... فى آخر شهر

رمضان المنتظم فى ملك شهر سنة أربعين وألف من الهجرة النبوية

عليه أفضل التحية "

٥- (اللوحه السادسة) : لوحه كتب منها أنها تعود إلى " .. السلطان بن

السلطان محمد خان سنة سبعين وألف "

٦- (اللوحه السابعة) : لوحه تعود إلى " .. السلطان الملك الأشرف أبى

القاصر یرسباى .. بتاريخ سنة ست وعشرين وثمان مائة للهجرة "

وختم المؤرخ یرحمه الله ببيان تاريخ نقله ما كتب على الألواح السبعة

بقوله " .. فى صحوة يوم الجمعة الموافق ٢٣ من شهر ذى القعدة سنة

^١ ح ١٣٩ / ١٤١ - تصرف . نقل عن جريدة : الملون الة الثابة عشر العدد (٦٢٢)

١٣٥٢ من الهجرة النبوية أ هـ وهناك لوحة ثامنة على ذات الحائط بمواجهة المصلى على لوح الرخام الأبيض مكتوب فيها بخط كوفي مربعات محمد ﷺ .

وفى الحائط الشرقى المقابل وبين باب الكعبة المشرفة وباب التوبة المؤدى إلى سطح الكعبة وضعت وثيقة خادم الحرمين الشريفين محفورة على لوح رخامى كشاهد على تاريخ ترميمه الشامل لبناء الكعبة المشرفة وإلى جانبها من جهة باب الكعبة وثيقة أخرى تخص جلالة الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله تقبل الله منهما صالح الأعمال .^١

سقف الكعبة :

وسقف الكعبة وحوائطها من الداخل مكسوة بالحرير الوردى اللون عليها مربعات كتب عليها " الله جل جلاله "

محراب الكعبة :

وفى قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلى فيه النبى ﷺ .

سلم الكعبة الزجاجى :

تذكر كتب التاريخ أن سلم الكعبة دائما كان من الخشب ، أما فى البناء الأخير فى عهد الملك فهد تجد سلما آخر ففتسع صدفة عينيك وأنت تشاهد السلم للجديد المؤدى إلى سطح الكعبة وتأخذك حالة إغراق مذهل وأنت ترى سلما مصنوعا من الزجاج السميك أشبه ما يكون بالكرستال بلون سماوى صافى مصنوع بحرفية عالية وكل لوح يمثل عتبة مستقلة فى السلم عرض كل واحدة منها بطول نصف متر تقريبا وعرض ٢٥ سم ولها تجاويف يشكل هندسى موحد ومنتظم تمنع قدم الصاعدين من الأتزالاق يحيطها لوحان بارتفاع متر واحد تقريبا من ذات الزجاج (كسياج) مثبتة

^١ حريدة الملون - السنة الثانية عشرة العدد (٦٢٢) .

على قضبان معدنية بلاتينية اللون وضعت لتعين على التمسك عند الصعود .

وفكرة استخدام الزجاج في عمل السلم الداخلى فكرة عبقرية مبتكرة فهى تعطى للصاعد إحساساً عميقاً باتساع المكان رغم ضيقه ، وطول مسافته كما أن الزجاج يمنح خاصية تسلل الضوء الطبيعى لينير المكان بإضاءة هادئة حالمة ، والسلم معمول بشكل متعرج كسلام المآذن فى المساجد وينتهى إلى فتحة علوية مغلقة بإحكام على هيئة باب ملبس بالرخام الأبيض له عجلة تدار باليد لفتحه ودفعه لأعلى وهو مزود أيضاً بإمكانية الفتح آلياً عن طريق ضفانر معدنية موصلة برافعة كهربائية^١.

وسلم الكعبة :

وسطحها مكسو بالرخام الأبيض والفاخر والخاص لى أن .. وهو من ذات النوع المرصوف به أرضية صحن الطوائف وساحات الحرم المكشوفة الداخلية والخارجية بهذا النوعية من الرخام خاصية عكس أشعة الشمس الساخنة وعدم احتفاظه بالبرودة الشديدة فهو لا يسخن فى الصيف ولا يزدى ببرودته فى الشتاء

سور الكعبة :

وللسطح حائط صائر بارتفاع نصف متر تقريبا على محيط الكعبة مثبت فيه قضبان معدنية كبيرة أسطوانية الشكل لها مشاجب دائرية من ذات المادة تربط فيها وتشد حبال الكسوة الخارجية للكعبة وستارة باب الكعبة المقدسة .

ميزاب الكعبة :

وفى الجانب الشمالى من السطح وبأسفل نقطة ثبت ميزاب الكعبة وهو تحفة خالصة مصنوع من الذهب الخالص المنقوش بنقوش مختلفة وله

^١ حريدة المسلمون (السنة الثانية عشرة العدد ٦٢٢) .

من باطن السطح جسر مذهب مربع الشكز سبك كل ضلع ١٥ سم تقريبا
وظيفته اسناد الميزاب الممتد مصبه على حجر سيدنا اسماعيل عليه
السلام ومنعه من السقوط.

الفصل العباديس مشهور

المعانيات

كان سجل أعمال وصحائف التاريخ للعرب هي ما كتبه شعرائهم من أحداث وأيام خالدة سجلوها بأشعارهم وكانوا يطلقون بالكعبة المشرفة ولذلك سميت بالمعظقات وذكروا أن المعظقات السبع كانت معلقة بالكعبة وذلك أن العرب كانوا إذا عمل أحدهم قسيده عرضها على قريش فإن أجازوها علقوها على الكعبة تعظيماً لشأنها فاجتمع من ذلك هذه المعظقات السبع :

١- (الأولى) : لامرء القيس بن الحارث بن عمر بن حجر الكندي (المتوفى عام ٨ قبل الهجرة عام ٥٦٥ م) وأولها :
قفانك من ذكر حبيب ومنزل

يسقط اللوى بين الدخول فحومل

٢- (الثانية) : للنابغة الذبياني : واسمه : زياد بن معاوية ، ويقال زياد بن عمر بن معاوية بن خباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض (المتوفى عام ١٨ هـ أى عام ٦٠٤ م)
وأولها :

يا دار ميه بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأيد .

٣- (الثالثة) : لزهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى (المتوفى عام ١٤ قبل الهجرة عام ٦٠٨ م) وأولها :
أمن أم أوفى دمنه لم تكلم
بحومانه الدراج فالمتلم .

٤٠- (الرابعة) : لطفة بن الصبد سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثطبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل (المتوفى عام ٧٠ قبل الهجرة عام ٥٥٢ م) وأولها :

لخولة أطلال ببرقة ثمهد

تلوح كباقي الوشم فسي ظاهر اليد .

٥- (الخامسة) : لضرة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيس العبسي (المتوفى قبل عام ٢٢ هـ أى عام ٦٠٠ م) وأولها :

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم .

٦- (السادسة) : لطقمة بن عبده بن النعمان بن قيس أحد بنى تميم .
وأولها :

طحابك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب .

٧- (السابعة) : ومنهم من لا يثبتها في المعلقة - وهو قول الأصمعي وغيره وهي للبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر " المتوفى عام ٤٠ هـ أى عام ٦٦٠ م) وأولها :

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأيد غولها فرجامها .

فأما القصيدة التي لا يعرف قائلها - فيما ذكره أبو عبيده والأصمعي والمبرم وغيرهم - فهي قوله :

هل بالطلول لسائل رد

أم هل لها يتكلم عهد .

وهي مطولة وفيها معان حسنة كثيرة .

وقد ذكر أن غيرهم كانت له معلقات بالكعبة المشرفة ومن أشهرهم :

١- عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب " المتوفى عام ٥٢ قبل الهجرة

عام ٥٧٠ م)

٢- الأغشى الميمون بن قيس بن جندل " المتوفى فى العام السابع

الهجرى عام ٦٢٩ م)

٣- الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله " المتوفى عام ٥٢

هـ عام ٥٧٠ م)

٤- عبيد بن البرص بن عوف بن حشم " المتوفى عام ٥٦٥ م وقيل

(٦٠٥م)

٥- معلقات هارون الرشيد :

ذكر كتب التاريخ الإسلامى أن هارون الرشيد قد حج بيت الله الحرام عام

١٨٦ هـ وكان معه أبنائه " محمد وعبد الله "

وقيل أنه كتب وصايته بعد أن قضى مناسك الحج وخصوصاً البيعة من

بعده لابنه الأكبر ومن يأتى من بعده وقد أوصى بالولاية والحكام

والغلان والجواهر والأموال وكل ما يخص شئون الخلافة من بعده

كما جرت العادة على أن يعلق العديد من الخلفاء والأمراء والرؤساء

بوصايتهم داخل الكعبة المشرفة .

الآراء فى المعلقات السبع وسبب تسميتها معلقات

١- يرى أحمد عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وابن رشيف صاحب العمدة وابن

خلدون فى المقدمة : أن المعلقات كتبت بماء الذهب فى القبايطى .^١

^١ وهي ثياب كانت تسج في مصر .

وعُنت باستار الكعبة ولهذا يقال لها : " مذهبة أمري القيس " ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع يقال لها " المطلقات " .

٢- أكرر بعض المستشرقين وبعض أدباء البصر الحاضر هذا التطبيق على الكعبة وحجتهم أن الكعبة حينما هدمت وتجدد بناءها في أيام النبي ﷺ لم يذكر عن هذه المطلقات شيء : " ولو أنها كانت معلقة بالكعبة لبقيت إلى هذا التاريخ لأنها من مفاخر العرب التي يعتز بها .

٣- ويروى البعض أنها سميت بالمطلقات لأن بعض الملوك كان إذا استحسّن قصيدة قال : " علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزائني ولم يعرف هذا الملك ولطه النعمان بن المنذر .

١- ويرى بعض آخر : أن العرب كانت تكتب في رقاع مستطيلة من الحرير أو الجلد يوصل بعضها ببعض ثم تلف على عود أو خشبة وتطرق في الخيمة خوفاً على المكتوب من قرص فار وعثة وعلى هذا فإن الشعر الذي كان يستحسن في الأسواق كان يكتب ويطلق ولو ساعة على الكعبة أو في مدة الموسم ثم يرفع ومن بين ذلك تلك القصائد .

وأصحاب هذا الرأي يلتقون مع أصحاب الرأي الأول في التطبيق على الكعبة وإن اختلفوا في المدة ، واختلفوا فيما علق ، حتى ترى أصحاب الرأي الآخر التطبيق ولو ساعة وأن المطلقات المعروفة ليست كل ما علق على الكعبة .

سبب تعلقها بالكعبة

امتازت هذه المعلقات عن غيرها من القصائد فلم تعلق على الكعبة من فراغ فقد امتازت بالآتي :

١- الطول : أطال شعراء العرب قصاندهم عن غيرهم من القصائد التي عرفت لهم أو لغيرهم حيث تتراوح المقطعات بين ٦٤ بيتاً و ١١٥ بيتاً ولم تعرف لغيرها هذه الإطالة .

٢- تعدد الموضوعات أو الأغراض : فقد تضمنت أغراضاً متعددة فكانها قصائد متنوعة الأغراض متحدة الوزن والقافية ثم ضمت إلى بعضها فكانت معلقة .

٣- كثرة الابهتكار : فكان أكثر شعر العرب ابتكاراً للمعاني والتشبيهات وذلك لأن أصحابها عنوا بها أكثر من غيرها أملاً في أن تضم في سجل العرب .

٤- أعظم وأجود ما قال العرب لأسباب منها :

- لم نسمع عن أحد من العرب نال من مكاتبتها وكلهم أهل قصاصة وبيان ونار التنافس و المغامرات مشتطة بينهم دائماً .

- أنها لم تعلق إلا بعد أن أنشدت في السوق وامتحنها أهل القصاصة أو الحكام ثم أمروا بتطبيقها أو كتابتها بماء الذهب وإن اختلفوا أين علفت .

- أنها مصورة للحياة الاجتماعية العربية كلها حيث تعتبر المقطعات السجل الذي لم يدع جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية بكل ما فيها .

٥- الصحائف :

ذكروا : أن الصحائف التي كانت تكتب بينهم وكانت تطبق بالكعبة وذلك تقديساً واحتراماً لهذا المكان المقدس .. وتأكيداً لما أبرموه من عهود أو معاهدات ومن هذه الصحائف :

صحيفة المقاطعة : كانت صحيفة مقاطعة قريش هي أشهر الصحائف التي تم تعليقها بالكعبة وسبب تعليق هذه الصحيفة أن قريش وجدت أن دعوة رسول الله ﷺ تزداد يوماً بعد يوم خصوصاً أن الله فتح قلوب

وعقول بعض كبار وعظماء قريش بالإسلام لما حاول الكفار قتل رسول الله ﷺ وجعل الإسلام يقشروا في القبائل .. ورات قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا أمنا وقرارا وأن النجاشي قد منع من لجا إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه فاجتمعت قريش وانتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعون منهم قلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبة^١ وذلك في سنة سبع من النبوة .

وخرج من بنى هاشم أبو لهب بن عبد المطلب وكان مع قريش وأقام بنو هاشم على ذلك حتى جهدوا من ضيق الحصار وأكلوا ورق السمُر ... حتى سمع بكاء الأطفال ... وقريش تحول بينهم وبين التجار فيزيدون عليهم في السلعة أضعافا حتى لا يشتروها .

ومكثوا على ذلك ثلاث سنوات ، لا يصل إليهم شيء إلا سرا ممن أراد صلته من قريش ورسول الله ﷺ على ذلك يدعوا قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا وبنو هاشم صابرون محتسبون .

وقام نفر من قريش من أهل المروءة والضمان في مقدمتهم هشام بن عمرو بن ربيعة .. فاستثار قريش لنقض الصحيفة والخروج من هذا التعاقد الظالم .. وتعاهدوا على نقض الصحيفة .. وقام المطعم بن عدى إلى

^١ صحيفة من عهد ق / ١٤٩ .

للصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا " باسمك اللهم " وكان النبي ﷺ
قد أخبر بذلك أبا طالب ومزقت الصحيفة وبطل ما فيها.¹

¹ نفس المرجع السابق / ٢٧٢ - ٢٧٧ . بتصرف شديد .

الفصل العاشر عشر الكعبة وحلف الفضول

لحلف الفضول صلة وثيقة بالكعبة المشرفة إذ بدأت أحداثه حول الكعبة ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن رجلاً من " زبيد " قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه / فاستعدى عليه الزبيدي الأخلاق :

عبد الدار ومخزوماً وجمحا وسهماً وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وانتهروا فلما رأى الزبيدي الشراوى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فنادى بأعلى صوته :

" يا آل قهر لمظلوم بضاعته - ببطن مكة نانى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته - يا للرجال وبين الحجر والحجر

إن الحرام امن ماتت كرامته - ولا حرام لثوب الفاجر الغدر .

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال : ما لهذا مترك ..

فاجتمعت هاشم وتيم وزهرة بن مرة فى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام فتعاهدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يودى إليه حقه .

قسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء فى فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه ملعة الزبيدي فدفعوها إليه وقال الزبير بن عبد المطلب فى ذلك .

حلفت لنعتقدن حلفاً عليهم - وإن كن جميعاً أهل دار .

نسميه الفضول إذا عقدنا - يعزبه الغريب لذى الجوار

ويعثم من حوالى البيت لنا - أباه القيم تمنع كل عار

وذكر قاسم بن ثابت فى غريب الحديث أن رجلاً من خثعم قدم مكة حاجاً أو
مستمراً ومعه ابنة له يقال لها " الفتول " من أوضاع نساء العالمين
فاغتصبها منه بنيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى : من يعدينى
على هذا الرجل ؟ فقيل له : عليك بحلف الفضول .

فوقف عند الكعبة ونادى يال حلف الفضول : قبذا هم يأتون إليه من كل
جانب ، وقد حملوا أسياهم يقولون : جاءك الغوث فمالك ؟ فقال : إن نبها
ظلمنى فى بنتى وانتزعها منى قسراً فساروا معه حتى وقفوا على باب
داره فخرج إليهم فقالوا له : أخرج الجارية ويعك لقد علمت من نحن وما
تعاقدنا عليه ؟ فقال : أفعل ، ولكن متعونى بها الليلة فقالوا : لا والله ولا
شعب لقحة فأخرجها إليهم وهو يقول :

راح صحبى ولم أحيى للفتولا

ولم أودعهم وداعاً جميلاً

إذا أجد الفضول أن يمنوها

قد رانى ولا أخاف للفتولا .

الكعبة... وحلف المطيبين

ذكر تنازع بين بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قصى جعل إليهم
وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هى التى أخرجت لهم حفنة من طيب
فتمسوا أيديهم فيها ولم يسم المرأة وقد سماها الزبير فى موضعين من
كتابه فقال : هى لم حكيم البيضاء بنت عبد المطيب عمه رسول الله ﷺ
وتوأمة أبيه قال : وكان المطيبون يسمون الدافة جمع دائف بتخفيف الفاء
لأنهم دافوا الطيب " أى خلطوه " ١

١ الروم الأندلسى ج ١ / ٥٣ / ١٥٤٢ .

وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية^١

ثم لما كبر قصى قوض أمر هذه الوظائف التى كانت إليه من رناسات قريش وشرفها من الرفاعة والسقاية والحجاية واللواء والندوة إلى ابنه عبد الدار وكان أكبر ولده . وإنما خصصه بها كلها لأن بقية أخوته : عبد مناف وعبد الشمس .. فأحب قصى أن يلحق بهم عبد الدار فى السؤدد فخصصه بذلك فكان أخوته لا ينازعونه فى ذلك فلما انقرضوا تشاجر أبناؤهم فى ذلك وقالوا إنما خصص قصى عبد الدار بذلك ليلحقه بأخوته فنحن نستحق ما كان أبائنا يستحقونه وقال بنو عبد الدار : هذا أمر جعله لنا قصى فنحن أحق به واختلفوا اختلافاً كثيراً وانقسمت بطون قريش فرقتين : ففرقة بايعت عبد الدار وحالفتهم فرقة ، وفرقة بايعت بنى عبد مناف وحالفوهم على ذلك ووضعوا أيديهم عند الحلف فى حفنة فيها طيب ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان (الكعبة) قسموا حلف المطيبين وكان منهم من قبائل قريش بنوا سدين عبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة ، وبنو تيم ، وبنو الحارث بن فهد . وكان مع بنى عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى ، واعتزلت بنو عامر بن لؤى ومحارب بن ثهد الجميع فلم يكونوا مع ولحد منها ، ثم اصطالحوا واتفقوا على أن تكون الرفاعة والمقاية لبنى عبد مناف وأن تستقر ، الحجاية واللواء والندوة فى بنى عبد الدار فانبرم الأمر على ذلك واستمر .

^١ العناية والنهاية لأبى كثير

الباب السادس إختبار حول الكعبة المشرفة الرسول ﷺ والكعبة

والرسول ﷺ مع الكعبة تاريخ وذكريات كثيرة منذ مولده ﷺ حتى حجة الوداع قبل وفاته بايام قلل

ميلاد الرسول ﷺ والكعبة

ذكرت كتب التاريخ أن رسول الله ﷺ ولد في عام الفيل العام الذي حفظ الله عز وجل فيه بيته من الهدم ومن اعتداء أبرهة عليه حيث قصده يريد هدمه فكانت عناية الله عز وجل وحفظه لبيته وانتقامه من أصحاب الفيل شر انتقام ...

الكعبة تضئ عند مولد الرسول ﷺ

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن عمرو بن مرة لجهني أنه كان يحدث قال : " خرجت حاجاً في جماعة من قومي في الجاهلية فرأيت في المنام وأنا بمكة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء في جبل يثرب وأشعر جهينة ، فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : " إنقضت الظلماء وسطع الضياء وبعث خاتم الأنبياء ، ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة ، وانبسطت المدائن فسمعت صوتاً في النور وهو يقول : "

ظهر الإسلام وكسرت الأصنام ووصلت الأرحام فانتهيت فزعا فقلت نقومى
: " والله ليحدثن فى هذا الحى من قريش حدث ولخبرتهم بما رأيت " .^١

تعويذ عبد المطلب للمعمد ﷺ نى الكعبة

ذكر السهلبى فى الروض^٢ أن عبد المطلب دخل به الكعبة وعوده ودعاه له ...
وفى غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوده :
الحمد لله الذى أعطانى

هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد فى المههد على الغلمان

أعيذه فى البيت ذى الأركان

حين يكون بلغة الفتيان

حتى أراه بالغ البنيان

أعيذه من كل ذى شنان

من حاسد مضطرب العنان

ذى همة ليس له عينان

حتى أراه رافع السنان

أنت الذى سميت فى القرآن

فى كتب ثابتة المشان

أحمد مكتوب على البيان

^١ بداية وهاية ج ٣ / ٤٨ وما بعدها .

^٢ الروض الأنف للسهلبى ج ١ / ١٨٤ .

خبر النبوة حول الكعبة

وقد تلقت خديجة بنت خويلد خبر نبوة رسول الله ﷺ عند الكعبة المشرفة فيروى ابن كثير في البداية : " أن خديجة بنت خويلد قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ قال ورقة :

قدوم قدوس والذي نفس ورقة بيده لنن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جانه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وأنه نبي هذه الأمة وقولي له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ بقول ورقة فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقبها ورقة ابن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : " يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت .. فأخبره ، فقال له ورقة : والذي نفس بيده إنك نبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولا تكذبه ولا تؤذنه ولا تخرجنه ولا تقاثنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرت الله نصراً يطمه ثم أدنى رأسه منه فقبل رأسه ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله ، وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير " .¹

شكاية المسلمين لرسول الله ﷺ عند الكعبة

لقد بلغ الأمر بالمسلمين ذروته ... مما حدث لهم من الإهانة والعذاب الأليم حتى أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يدعو على المشركين وكان يصادفه ذلك عند الكعبة المشرفة أحياناً .

¹ البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ / ٦٤ .

فعن سفیان عن بنان وإسماعيل قالا : " سمعنا قيسا يقول : " سمعت خبابا يقول " : " أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردته وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : " ألا تدعو الله ؟ فقعده وهو محمر وجهه فقال : " قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مرقق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عز وجل " زاد بنان : " والذنب على غممه " وفى رواية : " ولكنكم تستعجلون " .^١

تموض الرسول للأذى عند الكعبة

كان أشرفهم مجتمعين يوماً فى الحجر إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ومر بهم طائفاً بالبيت فتمزوه ببعض القول : " وعادوا بذلك ثلاث مرات ، فوقف ثم قال : " أسمعون يا مضر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جنتكم بالذبح فأسكت القوم ، فلاحراك بهم وصلوا يلاطفونه بالقول ، فلما كان من الغد وهم فى مقامهم ، طلع عليهم رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وتبعه رجل واحد ، وأحاطوا به وأخذ رجل منهم بمجمع ردايه فقام أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي ويقول : " أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ فاتصرفوا عنه ورجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فوق رأسه وقد جروه بلحيته .^٢

^١ انقرد به البخارى دون مسلم .

^٢ السيرة النبوية للدوى ١٤٤ - ١٤٥ .

ولما قسوا في إيذاء رسول الله ﷺ لم يرعوا فيه قرابة وتخضوا حدود الإنسانية فبينما النبي ﷺ مساجد ذات يوم في المسجد وحوله ناس من قريش إذ جاء عقبة ابن أبي معيط بمسلا جزور^١ فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع هذا ودعا عليهم النبي ﷺ .^٢

وروى البخاري في صحيحه قال : " بينما النبي صلى في حجر الكعبة فأقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله ﷺ خنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وهو يقول :

" أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم " ع ٢٨١ .

عصمة رسول الله ﷺ عند الكعبة

من يوم أن أخبر الله عز وجل نبيه أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه وأنه سوف يعصمه من الناس لم يتوان رسول الله ﷺ لحظة في ذلك علما منه أن الله سيحفظه .

ذكر ابن كثير عن عكرمة عن ابن عباس في قصة طويلة دارت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ عند الكعبة ... فلما قام رسول الله ﷺ قال أبو جهل بن هشام : " يا مشر قريش إن محمدا قد أبى ألا ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أعلامنا وسب آلهتنا وإسى أعاهد الله لأجلس له غدا بحجر فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فليصنع ذلك

^١ سلا : وهو اللغامة يكون منها الولد لى بطن الناقة وسائر الخيوان وهي من الأدمية المنبئة .

^٢ رواد البخاري .

بنو عيد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا ثم جلس
 لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان قبلته
 الشام فكان إذا صلى بين الركنين الأسود واليماني وجعل الكعبة بينه وبين
 الشام فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم
 ينتظرون ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه
 حتى إذا دنا منه رجع منبهتا ممتقا لونه مرعوبيا قد يبسط يداه على الحجر
 حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال من قريش فقاتلوا له : " ما بك
 يا أبا الحكم ؟ فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فما دنوت منه
 عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته (اصل
 عنقه) ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلن .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال " ذلك جبريل ولو دنا منه
 لأخذه "

وروى البيهقي : عن عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب
 قال : كنت يوما في المسجد فاقبل أبو جهل - لعنه الله - فقال " إن لله علي
 إن رأيت محمدا ساجدا أن أطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله
 ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضبانا حتى جاء
 المسجد فاجعل أن يدخل من الباب فأقتحم الحائط . فقلت : هذا يوم شر ،
 وأتررت ثم اتبعته فدخل رسول الله ﷺ فقرا : " اقرأ باسم ربك الذي خلق
 خلق الإنسان من علق "

فلما بلغ شأن أبي جهل : " كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى " فقال
 إنسان لأبي جهل يا أبا الحكم هذا محمد ؟ فقال أبو جهل : ألا ترون ما
 أرى ؟ والله لقد سد أفق السماء علي . فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر
 السورة سجد " ١

وعن ابن عباس قال أبو جهل : " لنن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لا طأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : " لو فعل لأخذته للملاكمة عيانا " "

وعن عكرمه عن ابن عباس قال : مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلى فقال : ألم أنكه أن تصلى يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى فانتهره النبي ﷺ فقال جبريل : " فئدع ناديه ستدع الزبانية " والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب " "

وروى عن عروة بن الزبير رأيت ابن العاص فقلت أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله ؟ قال : بينما النبي ﷺ يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل عليه عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال : " انتقلون رجلا لن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم " عفر / ٢٨١

إزار رسول الله ﷺ وبناء الكعبة

لقد حضر رسول الله ﷺ بناء الكعبة وكان قبل البعثة بخمس سنين كما ذكرنا عند بناء قريش للكعبة ، وقد ساهم الرسول ﷺ فى بناء الكعبة مع قومه بالجهد والمشورة فهو الذى أشار عليهم فى وضع الحجر الأسود فى مكانه وكادوا يتناحروا..
وتذكر الروايات أن الرسول ﷺ كان يشارك بالعمل والجهد فى بناء الكعبة .

^١ رواد أحمد .

^٢ رواد البخارى وأحمد والترمذى وصححه السائى .

ذكر بن كثير فى البداية والنهاية^١

كان رسول الله ﷺ يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته فقد قال : " لقد رأيتنى فى غلمان من قريش تنقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ إزاره وجعه على رقبته يحمل عليه الحجارة فباتى لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكننى لآكم ما أراه لكمة وجيعه ، ثم قال شد عليك إزارك قال : فأخذته فشدته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري على من بين أصحابي "

وهذه القصة شبيهة بما فى الصحيحين عند بناء الكعبة حين كان ينقل هو وعمه العباس فإن لم تكنها فهى متقدمة عليها كالتوطنه لها والله أعلم . فعن جابر بن عبد الله يقول : لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله ﷺ ينقل الحجارة فقال العباس لرسول الله ﷺ : اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم قام فقال " إزاري فشد عليه إزاره " ^٢

وعن ابن عباس عن أبيه : أنه كان ينقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت قال : وأفردت قريش رجلين ، الرجال ينقلون الحجارة ، وكاتت النساء تنقل الشيد . قال : فكننت أنا وابن أخى وكنا نحمل على رقابنا وأزرننا تحت الحجارة فإذا غشينا الناس انتزرننا فبينما أنا أمشى ومحمد أمامى قال : فخر وأنبطح على وجهه فجننت أسعى والقيت حجرى وهو ينظر إلى السماء فقلت ما شأنك ؟ فقام وأخذ إزاري قال : " إني نهيت أن أمشى عريانا " قال : وكنت أكتمها من الناس فخافه أن يقولوا مجنون " ^٣

^١ ابن كثير البداية والنهاية ج ٢ / ٢٩١ .

^٢ البخارى ومسلم

^٣ البيهقى

أمنية الرسول ﷺ وبناء الكعبة

ودرسول الله ﷺ كثيرا أن يقوم ببناء الكعبة ويرفع جدرانها ويجعل لها بابين .. ولكن خشى أن تنكرد قلوب بعض الناس لحدائثة عهدهم بالإسلام وقرب عهدهم من الكفر والجاهلية ..

ذكر بن كثير فى تفسيره :

.. قال عبد الله بن عبيد : وقد الحارث بن الله على عبد الملك بن مروان فى خلافته فقال عبد الملك . ما أظن أبا حبيب (يعنى ابن الزبير) سمع عانثة ما كان يزعم أنه سمعه منها . قال الحارث : بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت قال رسول الله ﷺ : " إن قومك إستقصروا من بنيان البيت ولولا حدائثة عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا منه فان بدا لقومك من بعدى أن يبنود فهلمى لأريك وزاد عليه الوليد بن عطاء قال النبى ﷺ : " ولجئنا لها بابين موضوعين فى الأرض شرقيا وغربيا وهل تدريين لم كان قومك رفعوا بابها .؟ قالت : قلت : لا . قال : " تعززا أن لا يدخلها إلا من أرادوا فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط " قال عبد الملك فقلت للحارث أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال نعم قال : فنكت ساعة بعصاة ثم قال : ودت أنى تركت وما تحمل .

* تفسير ابن كثير ١٢ / ١٨٣ .

* رواه مسلم .

مساومة قريش لرسول الله ﷺ عند الكعبة

ذكر ابن كثير في البداية :

أنه اعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف عند باب الكعبة ، الأسود بن عبد المطب ، والواليد بن المغيرة ، وأميرة بن خلف ، والعاص بن وائل ، فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر فأنزل الله فيهم : " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " بقره ١٧

وزاد ابن إسحاق وغيره : عن ابن عباس : ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله فإن كان الذي جنت به خيراً مما بأيدينا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، فأنزل الله عز وجل : " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ " بقره ١٧

محاورة قريش للرسول ﷺ عند ظهور الكعبة

لقد حاور كفار قريش رسول الله ﷺ كثيراً وما قطعوا ذلك وما تعنتوا في أسئلتهم إياه إلا على وجه الضاد ، لا على وجه طلب الهدى والرشاد . لهذا لم يحاربوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا لعلم الحق سبحانه أنهم لما عاينوا وشاهدوا إما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون وظلوا في غيهم وضلالهم يتردون .. قال تعالى : " وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ الْبَارِئَاتِ إِذْ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ الْبَارِئَاتِ " الإسراء ٥٩

ومن هذه المحاورات ما حدث عند الكعبة المشرفة : كما ذكر لنا ابن كثير في البداية والنهاية .

وروى عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال : اجتمع عليه من أشرف قريش (وعدد أسماءهم) بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ اِبْطُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تَعْذِرُوا فِيهِ ،
فَبِطُوا إِلَيْهِ : إِنْ أُشْرَفَ قَوْمُكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيَكْلَمُوكَ ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِي أَمْرِهِ بَدَأً ، وَكَانَ هَرِيصًا
يُحِبُّ رَشْدَهُمْ وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنْتَهُمْ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا
قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنَعْذُرَ فِيكَ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى
قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ ، لَقَدْ سَمِعْتَ الْأَبَاءَ وَعَبَثْتَ الدِّينَ ، وَسَفَهْتَ
الْأَحْلَامَ ، وَشَتَمْتَ الْأَلْهَةَ وَفَرَقْتَ الْجَمَاعَةَ .

وما بقى من قبيح إلا وقد جنته فيما بيننا وبينك فإن كنت جنت بهذا
الحديث تطلب مالاً جمعاً لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت
تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن
كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك ريباً تراه قد غلب عليك (وكان يسمون
التابع من الجن الرنى) فربما كان ذلك بذلتنا لموالنا فى طلب الطيب حتى
تبرئك منه أو نعذر فيك ؟ فقال رسول الله ﷺ " ما بى ما تقولون ، ما
جنتكم بما جنتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم
ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل علي كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيراً
ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جنتكم به فهو
حظكم من الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصير لأمر الله حتى يحكم الله
بينى وبينكم " أو كما قال رسول الله ﷺ .

ثم أخذوا فى مجادلة الرسول ﷺ ومحاورته وطلبوا منه أن يسأل الله عز
وجل لهم أمورا كثيرة .

منها : قل لربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك لما تقول ، ويرجىنا عنك وتساله
فيجعل لنا جناتاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ، ويعتقك عما نراك
تستغنى ..

وأن تتخذ إلى السماء سلماً ثم يرتقى منه .. الخ ما ذكروا ' .

الرسول ﷺ ومقابله

وفد نصارى نجران عند الكعبة :

ثم قدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة . أو قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من أرض الحبشة فوجدوه فى المجلس ، فكلموه وسألوه ورجال من قريش فى أنديةهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا قاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وأمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقال : خبيكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخير الرجل . فلم تطمنن مجالسكم عنده حتى هارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركباً أحق منكم ... " ' .

شهادة أمية بن أبى الصلت النخعي

للرسول ﷺ عند الكعبة :

روى الحافظ ابن عساكر عن الزمري أنه قال : أمية بن أبى الصلت :

الارسول لنا منا يخبرنا

ما بعد غاييتنا من رأس مجرانا .

' انظر الناية والنهاية لاس كثير ح ٣ / ٩٩ وما بعدها ..

' رواد اليعقبي والحاكم " انظر البداية والنهاية لاس كثير ح ٣ / ١٣٠ .

قال : ثم خرج أمية بن أبي الصلت إلى البحرين وتبا رسول الله ﷺ وأقام أمية بالبحرين ثماني سنين ثم قدم الطائف فقال لهم : ما يقول محمد ابن عبد الله قالوا : يزعم أنه نبي هو الذي كنت تتمنى قال فخرج حتى قدم مكة فلقية فقال : يا بن عبد المطلب ما هذا الذي تقول ؟

أقول : " إني رسول الله وأن لا إله إلا الله) قال : أريد أن أكلمك فعدنى غدا قال : فموعدك غدا قال فتحب أن أتيك وحدي أم في جماعة من أصحابي وتأتيني وحدك أو في جماعة من أصحابك ؟ فقال ﷺ : " أي ذلك شئت " قال : فإني أتيك في جماعة فات في جماعة . قال : فلما كان الغد غدا أمية في جماعة من قريش وغدا رسول الله ﷺ معه نقر من أصحابه حتى جلسوا في ظل الكعبة .

قال فبرر أمية فخطب ثم سجع ثم أنشد الشعر حتى إذا فرغ الشعر قال : أجبني يا بن عبد المطلب . فقال رسول الله ﷺ : " بسم الله الرحمن الرحيم . يس والقرآن الحكيم " حتى إذا فرغ منه وثب أمية يجر رجليه قال : فتبعته قريش يقولون : ما تقول يا أمية ؟ قال : أشهد أنه على الحق فقالوا : هل تتبعه ؟ قال : حتى أنظر في أمره قال : ثم خرج أمية إلى الشام وقدم رسول الله ﷺ المدينة فلما قتل أهل بدر قال أبو الصلت ما تريد ؟ قال أريد محمداً قال : وما تصنع ؟ قال أو من به والقي إليه مقاليد هذا الأمر . قال : أتدرى من في القلب ؟ قال : لا : قال : فيه عقبه بن ربيعة وشبهه بن ربيعة . وهما أبناء خالك وأمه ربيعة بنت عبد شمس . قال : فبذع أذني ناقته وقطع ذنبها ثم وقف على القليب . وأنشد شعراً وكان شاعراً جاهلياً ، وقيل أنه كان مستقيماً وأنه كان في أول أمره على الإيمان ثم زاع عنه وأنه هو الذي أراده الله تعالى بقوله : " وَأَبْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَخَفَّ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ " الأعراف / ١٧٥

الفصل الأول عمر بن الخطاب و الكعبة

هداية عمر ودخوله الإسلام عند الكعبة :

قال ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول : كنت للإسلام مباعداً وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلساني أولئك فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت : لو أنى جنت فلانا الخمار لعنى أجد عنده خمرأ فأشرب منها ؟ فخرجت فجنته فلم أجد . قال : فقلت لو أنى جنت الكعبة فطفت سبعا أو سبعين . قال فجنت المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليماني قال : فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ؟ فقلت : لنن دنوت منه لأستمع منه لأروغته . فجنت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله ﷺ قائم يصلى يقرأ للقرآن ، حتى قمت من قبلته مستقبلاً وما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآن وقاله قلبي وبكيت ودخلني الإسلام ، فلم أزل في مكاني قائماً حتى قضى رسول الله ﷺ صلواته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حمسين - وكان مسكنه في الدار الرقطاء التي كانت بيد معاوية .

قال عمر : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزمهر أدركته فلما سمع حسى عرفني فظن أنى إنما اتبعته لأوذى فنهمنى " زجرنى " ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذ الساعة ؟ قال : قلت جنت لأومن بالله

وبرسوله وبما جاء من عند الله قال : فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال :
" قد هداك الله يا عمر " ثم مسح صدرى ودعالي بالثبات ثم انصرفت
ودخل رسول الله بيته .
قال ابن اسحاق : فانه اعلم اى ذلك كان ^١ .

عمر يهزل إسلامه فى الكعبة ويفانل المشركين

قال ابن اسحاق : وحدثنى نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر : قال : لما
اسلم عمر قال : اى قریش أفعل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر
الجمحى فنادا عليه . قال عيد الله : وغدوت اتبع أثره وانظر ما يفعل . وأنا
غلام أعقل كلما رأيت . حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل انى أسلمت
ودخلت فى دين محمد ﷺ ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام بجر رداءه
واتبعه عمر واتبعته أنا حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته :
يا محشر قریش . وهم كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت ألا إله إلا الله وأن
محمداً رسول الله .
وثاروا إليه مما يرح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رأسهم .
قال : وتعب فقعده وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم . هذا
إسناد جيد قوى ^٢ .

^١ البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ / ١٢٩ .

^٢ نسر المرجع ^١ ج ٣ / ١٣٠ .

عمر يعطى نبي الكعبة ويفاتل المشركين

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله وردهم النجاش بما يكرهون " وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرى ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ ويحمره حتى غاظوا قريشاً ، فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قلت : وثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال . ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب :

وقال زياد اليماني : حدثني مسط بن كدام عن مسط بن إبراهيم قال . قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحاً وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه " .

^١ نفس المرجع السابق / ١٢٧ .

الفصل الثاني الرسول ﷺ وتحويل القبلة

وكان رسول الله ﷺ والمسلمون يصلون إلى بيت المقدس ، ومضى على ذلك ستة عشر شهراً بعدما قدم المدينة ، وكان رسول الله ﷺ يحب يصرف إلى الكعبة ، وكان المسلمون العرب - وقد رعوا بلبان حب الكعبة وتعظيمها ، وامتزج ذلك بلحومهم ودمانهم لا يعدلون بالكعبة بيتاً ، ولا بقبلة إبراهيم وإسماعيل قبله ، وكانوا يحبون أن يصرف إلى الكعبة ، وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس محنة للمسلمين ولكنهم قالوا : سمعنا وأطعنا . وقالوا : أمانا به كل من عند ربنا " فلم يكونوا يعرفون إلا الطاعة لرسول الله ﷺ والخضوع لأوامر الله ، وافقت هواهم أم لم توافقها ، وافقت مع عاداتهم أم لم تتفق . فلما امتحن الله قلوبهم للتقوى واستسلامهم لأمر الله ، صرف رسوله والمسلمين إلى الكعبة يقول القرآن : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله - بقره: ١٢٧

واتصرف المسلمون إلى الكعبة مطيعين لله ولرسوله ، وصارت قبلة المسلمين إلى يوم القيامة أينما كانوا ولوا وجوههم شطرها .^١

^١ ارجع الصحاح الستة ، وتفسير الأمانات التي نزلت في تحويل القبلة في كتاب التفسير

إسلام الطفيل بن عمرو الدوس عند الكعبة

ذكر ابن إسحاق : فبى عداوة قريش لرسول الله ﷺ قصة الطفيل بن عمرو الدوس مرسله : وكان سيداً مطاعاً فى دوس وكان قد قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وضرروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه ،

قال : فو الله ما زالوا يسي حتى اجتمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت أذنى حين غدوت إلى المسجد كرمقاً (أى قطناً) فرقاً (خوفاً) من أن تيلقى شىء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه . قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة . قال : فقامت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله . قال : فسمعت كلاما حسنا . قال : فقلت فى نفسى : واتكل أمى والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته ؟ قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا . الذى قالوا . قال : فو الله ما يرجوا بى يخوفننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعت قولا حسنا فأعرض على أمرك : قال فعرض على رسول الله ﷺ الإسلام وتلا على القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه . قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق ..¹

¹ البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ / ١٤٦ .

الفصل الثالث

شعوبه وقبائل حاولت تخريب الكعبة

قد تعاقبت على الكعبة المشرفة شعوب وقبائل كثيرة تلك منة الله في خلقه
(وتلك الأيام نداولها بين الناس) ر عدد ١٠٠٧
وقد تعرضت الكعبة للكثير من الأحداث والحوادث المقصود بها تخريبها ..
ولكن الله عز وجل حفظها وجعلها حرماً آمناً ..

تخريب تبع للكعبة

جاء في كتاب أخبار مكة عن الإمام الأزرقي أن تبع الأول حاول هدم الكعبة وكان
ذلك في زمن خزاعة التي تلبى فيه أمر الكعبة لالمشرفة ولكن أهل مكة قاتلوه أشد
القتال هو ومن معه حتى رجع .

وقد ذكر أن التابعين الذين جاءوا بعده حاولوا هدم الكعبة ثلاث مرات
أولها : ما ذكرناه : وثانيها : كان في موسم الحج بعدها .
وكان الثالث : في زمن قريش وقد حاول هدم الكعبة وهذه المرة جماعة
من بنى هزيل ، وقد ذهبوا إلى بنى لحيان وقالوا لهم إن للعرب بيت
تعظمه وتذبح له فلو ذهبتم إليه وهدمتموه وجطتم لكم بيت تحج إليه
الناس لكان لكم هذا الشرف العظيم فجمعوا الجمع حتى وصلوا عسفان
فقال له أهلها هل تريد سوء بالبيت ؟ قال أريد هدمه فقالوا : انوى له
خيراً أن تكسوه وتذبح له ، ففعل سيد بنى لحيان فرفع الله عنهم الظلم
فامر بالهزليين وضرب أعناقهم وصلبهم - لما فعلوه حسداً لقريش على

ولايتهم لبيت الله الحرام ولما وصل الكعبة نحر لها مائة من الإبل كل يوم
وقد كسى الكعبة المشرفة^١

وحكى السهيلي عن ابن عباس وعائشة قالت وكان خويلد (والد خديجة
أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ) مات قبل الفجار وهو الذي نازع تبعاً
حين أراد أخذ الحجر الأسود إلى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه
جماعة من قريش ثم رأى تبع في منامه ماروعه فنزع عن ذلك وترك
الحجر الأسود مكانه^٢ وجاء في كتاب الروض الأنف للسهيلي^٣ :

قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى
مكة وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عسفان ، وأقح ، أتاه نفر
من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها
الملك ، ألا تملك على بيت مال دامر ، أخفقت الملبوك قبلك ، فيه اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبد
أهله ويصلون عنده وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا أن هلاك
من أراد من الملوك وبقي عنده .

فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألتهما عن ذلك ، فقالوا له : ما
أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك . ما تعلم بيت الله اتخذ في الأرض
لنفسه غيرد ، ولنن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن ، وليهلكن من معك جميعاً
قال : فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قال : تصنع عنده ما
يصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذل له ،
حتى تخرج من عنده قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قال : أما والله إنه
لبيت أبينا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه

^١ أخبار مكة للأثرقي .

^٢ البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ / ٣٠٠ .

^٣ الروض الأنف للسهيلي ج ١ / ٣٩ ، ٤٠ .

بالأوثان التي نصبوها حوله ، وبالماء التي يهرقون عنده ، وهم نجس
أهل شرك (أو كما قال له)

فعرّف نصحها وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم
وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه
وأقام بمكة ستة أيام (فيما يذكرون) ينحر لها للناس ويطعم أهلها
ويسقيهم العسل وأرى في المنام أن يكسوا البيت فكساد الخصف ثم أرى
أن يكسوه أحسن فكساد الملاء والوصائل ، فكان تبع - فيما يزعمون - أول
من كسا البيت وأوحى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وألا يقربون
دما ولا ميتة ولا مثلاً " وهي المحايض " وجعل له باباً ومفتاحاً ..

وذكر السميلى : ١

وقيل : بل أرسلت عليه ريح كتعت منه يديه ورجليه ، وأصابتهم ظلمة
شديدة حتى دقت خيلهم ، فسمى ذلك المكان : الدف .

فدعا بالجزاة والأطباء ، فسألهم عن دانه فما لهم ما رأوا منه ولم يجد
عندهم فرجاً . فخذ ذلك قال له الحبران : لعلك همت بشيء في أمر هذا
البيت فقال : نعم أردت هدمه . فقالا له : تب إلى الله مما نويت فإنه بيت
الله وحرمه ، وأمره بتعظيم حرمة ففعل فبريء من دانه وصح من وجعه
 . وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحاً فإن الله سبحانه يقول : " ومن يرد
فيه بالحاد يظلم نذقة من عذاب أليم " الحج / ٢٥٠ أى . ومن يسهم فيه يظلم .

والبلاء في قوله : يظلم تدل على صحة المضى ، وأن من هم فيه بالظلم
(وإن لم يفعل) عذب ، تشديداً في حقه وتعظيماً لحرمة ، وكما فعل الله
بأصحاب القيل أهلهم قبل الوصول إليه .

١ الروض الأمل للسميلى ج ١ / ٤٠ .

أبرهة وتخريب الكعبة حرب الفيل

وكانت حادثة الفيل فى أول المحرم من سنة ستة وثمانين وثمانمئة (٦٨٦) من تاريخ ذى القرنين ، ولأربعين سنة مضت من ملك كسرى أنوشروان سنة ٥٧١ م من الميلاد وفى السنة اتى ولد قبيها النبى ﷺ فهى من الإرهاصات لنبوته . وكان السبب فى حرب الفيل أن العرب لما سمعوا ما عزم عليه أبرهة من حمل الناس على الحج إلى كنيسته وترك البيت الحرام حزنوا وذهب فتية من العرب لإحراقها فأشعوا فيها النار وأصابوها وفروا . ويقال : إن رجلا من كنانة ذهب إليها وأحدث فيها خفية وفر ليؤكد أن القليس لا يليق أن تحل محل الكعبة . ويروى أنه : لما بنى أبرهة بيتا يضاهى بيت الله الحرام كما يزعم هو ، ليصرف إليها حج العرب وينصرفوا عن الكعبة فلما لما يأتى إليه أحد بل أن رجلا يقال له الكناتى أتى القليس فقعدها فيها قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها " الحدث الأصغر " ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له : صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك " أصرف إليها حج العرب " غضب فجاء فأحدث فيها " أى أنها ليست أهلا لذلك " .

اللات وأبو غال :

غضب أبرهة لما أصاب القليس وأقسم ليسين إلى البيت الحرام حتى يهدمه ويخربه حجرا حجرا ثم خرج أبرهة فى جيش كبير واستصحب فيلأله عظيما لم ير مثله ، وكان النجاشى قد بعث به إلى أبرهة ودخل أبرهة الطائف دون مقاومة تذكر ، فمر باتلات وهو بيت كانوا يعظمونه نحو تعظيمهم الكعبة فخافت ثقيف أن يهدمه فخرجوا إليه

وقالوا له : ليس هذا هو البيت الذى تريد هدمه وخرج معه أبو رغال بدله على الطريق الموصل إلى بيت الله بمكة فمضى أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمقمس بالقرب من مكة ، فأهلك الله أبا رغال ورجعت العرب بعد ذلك قبره لخياتته وإرشاده عدو الله لهدم بيت الله .

وقد ورد فى شعر جرير :

إذا مات الخزق فارجموه & كرجمكم لقبر أبى رغال

عبد المطلب بحاو وأبوته :

ولما نزل أبرهة بالمغس ، بعث رجلاً يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مانتى بعير لعبد المطلب بن هاشم كبير قريش وسيدها حينئذ ، فلما وصل الأسود بما ساقه إلى أبرهة بعث من يخبر قريشاً أنه لم يأت لحرب وإنما جاء لهدم للبيت فقابل من بهته عبد وأخبره بما قال أبرهة ، فقال عبد المطلب :

ما لنا طاقة بحربه ، وإن البيت بيت الله فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته وإن يخل بينه وبينه ، فما عندنا دفع عنه وانطلق الرجل ومعه عبد المطلب وبعض بنى عبد المطلب حتى أتوا مصكر أبرهة ، ذهب أنيس وقال لأبرهة : أيها الملك هذا عبد المطلب سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة فأذن له عليك ، فأذن له وكان عبد المطلب أوسع الناس وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأكبره : ونزل إلى اليساط من فوق سريره ، وأجلس عبد المطلب إلى جواره ثم قال لترجماته : سله عما يريد فقال عبد المطلب : أريد أن يرد الملك على مانتى بعير أصابها لى ، فقال أبرهة لترجماته قل له : لقد كنت أعجبت بك ولكنى زهدت فيك لكلامك هذا - أتكلمنى فى العير وتترك بيتاً هو بيتك ودين أبائك ، قد جنت لأدمه فلا

تكلمنى فيه : تعان عبد اسنب : انا رب الإبل ، وإن سيب ربا سيمعه ،
فقال أبرهة : ما كان ليمتع عنى ، قال عبد المطلب : أنت وذاك ورد
أبرهة الإبل لعبد المطلب الذى أمر قومه بالفترق والتحرز بأعلى الجبال .
وذهب عبد المطلب وأخذ خلفه باب الكعبة . وقام معه نفر من قريش -
يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، ثم انطلق هو ومن معه إلى
شعاب الجبال ينتظرون ما الله فاعل بأبرهة .

سجود الفيل والطلب الأمايل :

وتها أبرهة لدخول مكة وأعد فيله العظيم وجيشه الكبير وسار ببغيه
وطغيته فلما وجهوا الفيل إلى مكة سقط منهم إلى الأرض ساجدا فضربوه
وأفرطوا فى ضربه فلم يقم ولم يحرك ساكنا فوجهوه إلى اليمن فقام
وهروا ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك وكذلك إلى المشرق ووجهوه
إلى مكة ثانية فسقط وسجد ، وظل أبرهة يحاول مع الفيل فى إصرار أن
يتوجه إلى مكة ألى أن أرسل الله عليه العقاب .

عقاب الله لأبوهة وجنده وحفظ بيته :

فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان (وهى
نوع من الطير) مع كل طائر منها أحجار يحملها : حجر فى منقاره
وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك ،
وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدون الطريق الذى منه جاءوا
ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل حين
رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أين المعز والإله الطالب

والأشرم المقلوب ليس الغالب .

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل وأصيب
أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة : كلما سقطت

أتملة أتبعها منه ترشح فبجا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ
الطائر فما مات حتى اتصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

وصدق الله فيهم حين قال : " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم
يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من
سجيل فجعلهم كخصف مأكول " بعد ١٠٠ .

قال المفسرون بأن الطير كان يحمل الحجارة من سجل مكتوب على كل
حجر اسم صاحبه .

فجعلهم كخصف مأكول أمثال ورقى الشجر الذي يتساقط عنها إذا يبس^١

تدمير وتخريب الكعبة :

كانت قريش تطوف بالبيت عراد ، يصفقون ويصفرون ، فكانوا يشبهون
أصابعهم ويصفرون فيهن ويصدون المسلمين عن الصلاة وعن الطواف
فيطوفون على الشمال (أى على شمال البيت) والطواف على اليمين ،
وما ذلك إلا تصدية للمسلمين ، يريدون أن يشغلوا بذلك محمدا ﷺ عن
الصلاة ويمنعوه من الطواف بالبيت تخريبا له ..

فأنزل الله عز وجل : " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصديّة
فدّوقوا العذاب بما كُنتُمْ تكفرون " بعد ٢٥٠

ذكر القرطبي عن قيادة : المكاء : ضرب بالأيدى ، والتصديّة : صياح .
وعنى التفسير ففيه رد على الجهال من الصوقبة الذين يرقصون
ويصفقون (ويصعقون)^٢

وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما
كانوا يفعلون عند البيت .^٣

^١ انظر في قصة أبرهة : سيرة ابن هشام - الروض الأنف للمبلى الجامع لأحكام الفرضي - تفسير سورة الفيل "

^٢ من باب وجره وزوكوى

^٣ الجامع لأحكام القرآن ج ١ / ٤٠٢ .

وقول صاحب الظلال :

إنه لا يمنع العذاب عنهم ما يدعونه من أنهم ورثة إبراهيم وسدنه بيت الله الحرام فهذه ليست دعوى لا أساس لها من الواقع . إنهم ليسوا أولياء هذا البيت ولا أصحابه إنهم ليسوا أولياء لهذا البيت وإن كانوا يصلون عنده صلاتهم فما هذه بصلاة وإنما كانت صفيراً بالأقواء وتصفيقاً بالأيدي ورجاً ومرجاً لا وقار فيه ولا استشعار لحرمة البيت ، ولا خشوع لهيبة الله .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : " إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفتون ويصفرون " وإن هذا ليخطر بالبال صور العازفين المصفيقين الصاخبين المرغيين خدودهم على الأعتاب والمقامات اليوم فبى كثير من البلاد التى يسمونها " بلاد المسلمين " إنهما الجاهلية تبرز فى صورة من صورها الكثير بعد ما برزت فى صورتها الواضحة الكبيرة :

صورة الوهية العبيد فى الأرض ، وحاكمتهم فى حياة الناس . وإذا وقعت هذه فكل صور الجاهلية الأخرى إنما هى تتبع لها وفرع فيها ' ويذكر أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراه ، أما الرجال فيطوفون عراه ، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعا مفرجاً عليها ثم تطوف فيه فقالت امرأة من للعرب وهى كذلك تطوف بالبيت .^١

اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بدا منه فلا أحله .

ومن طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره . ومن نتاج العرى فى الطواف :

^١ و ضلال التراد ح ٣ / ١٥٠٦ .

^٢ هذه امرأة هـ : صياغة ست عامر بن صعصعة ثم مر بو سلمة بن قيس .

ومما ذكر من تعريهم فى الطوائف أن رجلاً وامرأة طافا كذلك ، فاتضم الرجل إلى المرأة تلذذا واستمتاعاً فلتصق عضده بعضها ، ففزعا عند ذلك وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها حتى قال لهما قائل . توبا مما كان فى ضميركما وأخلصا لله التوبة ، ففعلا ، فاتحل أحدهما من الآخر .^١

زيد بن عمرو بن نفيل .. والكعبة :

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قريظ بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى . وكان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لأمه وذلك لأن عمر بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه وكان لها من نفيل أخوه الخطاب . وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان وقارق دينهم وكان لا يأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده .

وروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش والذى نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى . ثم قال " اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عيبتك به ولكنى لا أعلم ثم يسجد على راحلته وكذا رواه أبو أسامة عن هشام به وزاد : وكان يصلى إلى الكعبة ويقول : إلهى إله إبراهيم ودينى ودين إبراهيم . وكان يحيى المؤودة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها ادفعها إلى أكفلها فإذا ترعرت فبان شنت فخذها وإن شنت فادفعها " ^٢ .

وقال يونس عن ابن إسحاق حدثنى بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل : أن زيدا كان إذا دخل الكعبة قال : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقاً ، عدت بما عاذ

^١ الروض الأنف للسبلى والسيرة ج ١ / ٢٣٢ .

^٢ رواد النسائى .

به إبراهيم وهو قائم إذ قال : إلهي أتقى لك عان راغم ، مهما تجشمني
فبني جاشم البر أبني لا أنحال ليس مهجر كمن قال .

وعن ابن أبي مليكة عن حجر بن أبي إمام قال : رأيت زيد بن عمرو وأنا
عندهم بواتة بعد ما رجع من الشام وهو يراقب الشمس أبدا زلت استقبل
الكعبة فصلى ركعة سجدتين ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا
أعبد حجرا ولا أصلى له ولا أكل ما ذبح له ولا أستقسم إلا باللام وإنما
أصلى لهذا البيت حتى أموت وكان يحج فيقف بعرفة وكان يلبي فيقول :
لبيك لا شريك لك ولا تغلك ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول : لبيك
متعبدا مرقوقا .

وقال الواقدي : عن عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد بن عمر بن نفييل
يقول : أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراى
أدكمه وأنا أو من به وأصدقه وأشهد أنه نبي ..^١

بنو أمية والكعبة :

تذكر كتب التاريخ أن الصراع عندما استبد بين عبد الله بن الزبير وبني
أمية بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي ويزيد بن معاوية وذلك بهدف
إخضاع ابن الزبير فما كان من ابن الزبير إلا أنه دخل الحرم ليحتسب به
وما كان من يزيد إلا أنه رمى الكعبة بالمنجانيق وبمئات القذائف .. حتى
احترقت الكعبة وتصدعت جدرانها ولكن لم يكتب لبني أمية النصر مما
كان منهم ألا أنهم عادوا بهزيمتهم وعادوا إلى بلاد الشام ولكن المسلمين
أخذوا ينعون الكعبة وما وصل إليه حال المسلمين من انقسام وما حدث
للكعبة المشرفة ..

^١ البداية والنهاية لابن كثير ج ٢ / ٢٤٢ وما بعدها .

وبعد أن انتهى هذا للصراع أعاد ابن الزبير بناء الكعبة كما فكرنا من قبل ولم يمضى عشر سنوات بعد هذا الصراع وحاصر بنو أمية مكة بقيادة : حجاج بن يوسف وقتلوا عبد الله بن الزبير وصلبوه على أبوابها ..

القمامطة والكعبة :

يذكر التاريخ أن القمامطة قد أغاروا على الكعبة عام ٣١٧ هـ وانهم جردوها مما بداخلها من الجواهر وأخذوا كل ما بها من صفائح الذهب ونزعوا ما بها من ستائر واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه وذهبوا به إلى قرية " هجر " بدولة البحرين لأنهم كانوا قد بنوا بيتاً هناك .. بناه أبو ظاهر القرمطى بقريته يريد أن يصرف الناس عن الكعبة إليه كما فعل أبرهة من قبل لينال شرف الحج لكنه فشل وأعيد الحجر بعدما إلى الكعبة المشرفة .

الصلبيون . والكعبة :

تذكر كتب التاريخ أن الصليبيين حاولوا تخريب الكعبة في زمن السلطان نور الدين وكان ذلك في منتصف القرن السادس الهجرى وذلك بأنهم حاولوا دخول المدينة المنورة في موسم الحج في زى حجاج مغاربة وذلك لسرقة جسد رسول الله ﷺ ولما بلغ ذلك الناس كانوا بين مصدق ومكذب وزهمل الناس ولكن لما بلغ السلطان نور الدين سيطر عليهم وضرب رقابهم وحفر السلطان نور الدين خندق حول حجر رسول الله ﷺ حتى أنه بلغ منابع الماء ثم صب الرصاص حتى صار سوراً عظيماً لا يستطيع أحد أن يمر من خلاله وسيطر على الأمر كله قبل أن يصلوا إلى الكعبة المشرفة لتخريبها وكانوا قد اعتزموا ذلك ..

الكعبة والمسيحين " المهدي والذجال " :

قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظهراتى الناس المسيح الذجال فقال : " إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح

الدجال أعور العين اليمنى كان عينه طاافية ، وأرأتى الليلة عند الكعبة فى المنام فإذا رجل أرم كاحمن ما يرى من أدم الرجال تضرب لحيته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالببيت فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم رأيت رجلاً وراءه دجعد قطط^١ أعور عين اليمنى ، كاشبه من رأيت بابن قطن واضعاً يده على منكبى رجل يطوف بالببيت فقلت من هذا ؟ فقالوا : المسيح الدجال " ٢

قال أنزهرى : وابن قطن رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية .
قبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين : مسيح المهدي ،
ومسيح الضلالة ، ليعرف هذا إذا انزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الآخر
فيحذره الموحدون . ٣

ذو القرنين بطوف الكعبة :

ذكر الله عز وجل ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل وأنه بلغ المشارق
والمغارب وملك الأقاليم وقهر أهلها وسار فيهم بالعدل التامة ..
واختلفوا فيه على أنه نبي أو رسول أو ملك والصحيح أنه كان ملكاً من
الملوك العاديين ..

وقد ذكر الأزرقي وغيره أن ذا القرنين أسلم على يدى إبراهيم الخليل
وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليهما السلام .

وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج
ماشياً وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه ودعاه له ورضاه وأن الله سخر
لذى القرنين السحاب يحمله حيث أراد . والله أعلم . ١

^١ حمد قطط : بلغ الشح .

^٢ رواد مسلم .

^٣ النهاية والنهاية ج ٢ / ٩٩ ، ١٠٠ .

الفصل الرابع

هدم الكعبة في آخر الزمان وارتفعها إلى السماء

إذا جاء آخر الزمان وكان شرار الخلق واقترب موعد الساعة فإن الكعبة سوف تهدم وترفع إلى السماء كما جاء ذلك في أخبار كثيرة .

روى الشيباني : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " يخرّب الكعبة رجل يقال له " ذو السويقتين " من الحبشة ١ .

وقد روى عن ابن عباس عن النبي ﷺ " كأتى به أسود أفجح يقلعها حجراً حجراً " (الأفجع هو النافذ بين الفخذين) .

وقد ذكر حذيفة في حديثه الذي رواه عن رسول الله ﷺ : " كأتى بحبشى أفجح الساقين أزرق الصين أقطس الأنف كبير البطن ، وأصحابه ينقضونها حجراً حجراً ويتناولها حتى يرموا بها إلى البحر " يضى الكعبة " ٢ .
وذكر ابن الحوزة :

وهو حديث فيه طول تذكر فيه : عن علي بن أبي طالب : استكثر وأمن الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه ، فكأتى برجل من الحبشة أصعل أجمع أحمر الساقين قاعد عليهما وهي تهدم "

وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يبايع الرجل بين الركن والمقام ، وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراب لا يعمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه . وقد ذكر الغزالي في كتاب مناسك الحج :

١- أخرجه البخاري (٤٦٠/٣) ومسلم (١٨ / ٣٥)

٢- البداية والنهاية - ٢ / ١٠٥

ويقال : لا تغرب الشمس يوماً إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا وطاف به ولحد من الأوثان وإذا تقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض ليصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فينصفح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ثم ترجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم عليه السلام .

ويروى عن رسول الله ﷺ : " استكثروا من الطواف بهذا البيت فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة " .

الفصل الخامس فتح مكة والكعبة المشرفة

لما أمر الله في ترسيخ هذا الدين وتربية المسلمين وأمتحن الله قلوبهم للتقوى وازدادت قريش ظلماً وعدواناً وجحوداً للحق وصداً عن سبيل الله ، ومحاربة الإسلام وأمله أراد الله أن يدخل رسوله والمسلمون مكة فاتحين غائبين ويظهروا الكعبة من الرجس ومن الأوثان وقول الزور ويعيدوا مكة إلى مكانتها الأولى فتكون مثابة للناس وأمناً ، ويجعلون البيت كما كان مباركاً وهدى للعالمين .

وقد هيا الله عز وجل للرسول ﷺ وصحبه ذلك ولما دخل مكة فاتحاً منتصراً ظافراً قد حدثت أمور ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكعبة المشرفة نذكر منها :

من دخل الكعبة فهو آمن :

ﷺ في الأمن والعفو حتى أصبح أهل مكة لا يهلك منهم إلا من زهد في السلامة وكره الحياة فقال : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن " .

وقد روى البيهقي .. عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ قال : فذكر القصة إلا أنه ذكر أنه أسلم ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ وأنه لما قال له رسول الله ﷺ : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال أبو سفيان وما تسع دارى ؟ فقال : " ومن دخل الكعبة فهو آمن " قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : " ومن دخل المسجد

فهو آمن " قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : من أغلق عليه بابه فهو آمن
" فقال أبو سفيان هذه واسعة . ١

النبي يطعم الكعبة من الصور

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم
الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم مصورا في سورة
الأزلام يستقسم بها فقال : " قائلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ما
شأن إبراهيم والأزلام ؟ " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حقيقا مسلما وما كان من المشركين " ١٧ / ١
ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

وعن أسامة قال : رأى النبي ﷺ مصورا في الكعبة فكتبت عليه بماء في
الدلو يضرب بها تلك الصور

وروى عنه أيضا قال : دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة ورأى مصورا
قال فدعا بدلو من ماء فأتيناه به فجعل يحوها ويقول : قاتل الله قوما
يصورون ما لا يخلقون "

وعن جابر قال : كان في الكعبة صور قامر رسول الله ﷺ أن يحوها قبل
عمر ثوبا ومحاما به . فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء . ٢

^١ رواد اليقنى : انظر البداية والنهاية ح ٤ / ٢٨٤ / ٢٨٥ .

^٢ رواد أحمد .

ويطمر الكعبة من الأصنام

وظهر الرسول ﷺ الكعبة من الأصنام يوم الفتح عن ابن مسعود قال :
دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلثمائة صنم ،
فجعل يطعنهما يعود في يده ويقول : " جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق
وما يبدي الباطل وما بعيد " ١

وعن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة
وعلى الكعبة ثلثمائة صنم فأخذ قضيبه فجعل يهوى إلى الصنم وهو يهوى
حتى مر عليها كلها " ٢

وقال ابن هشام : حدثني من أثق به أهل الرواية في إسناده له عن ابن
شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه قال :
دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحته فطاف عليها وحول
الكعبة أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده
إلى الأصنام ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً " فما
أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع
لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع فقال تميم بن أسد الخزاعي "
وفي الأصنام معتبر وعلم

لمن يرجوا الثواب أو العقاب .

وعن أبي هريرة في حديث فتح مكة قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل
على الحجر فاستلمه وطاف بالبيت وأتى إلى صنم إلى جنب البيت
(كانوا يعبدونه) وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو أخذ بسيتها فلما أتى
على الصنم فجعل يطعن في عينه ويقول "

^١ رواه البخاري ومسلم .

^٢ رواه البيهقي .

جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً " فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو " ١

وحطم الأصنام التي في القبائل

حطم الرسول ﷺ الأصنام التي حول الكعبة بل وفي مكة كلها وخارجها حيث بعث سرايا إلى الأوثان التي كانت حول الكعبة فكسرت كلها ، منها " اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ونادى مناديه بمكة .
" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره وبعث رجالاً من أصحابه إلى القبائل فهدموا أصنامها " ٢
قال جرير : كان بيت في الجاهلية يقال له : " ذو الخلصة " الكعبة اليمانية .
" وللحكمة الشامية " فقال لى النبي ﷺ : ألا تريحني من " ذى الخلصة " ؟ يقول جابر : فنقرت في مائة وخمسين راكباً من أحمر ، " وكانوا أصحاب خيل " فكسرونها وقتلنا ما وجدنا عنده ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فدعانا ولأحمر . ٣

١ رواد مسلم .

٢ راجع التفصيل زاد المعاد ١ / ٤٢٦ .

٣ البحارى .

"يوم الفتح" يوم نمظم وتكسى فيه الكعبة

ودخل رسول الله ﷺ مكة وهو واضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح إن ذقته ليكاد يمس واسطة الرجل ودخل وهو يقرأ سورة الفتح " وعن معاوية بن قررة رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع " ١

ولما مر سعد بن عبادة بأبي سفيان في كتيبة الأنصار قال له : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا فلما حاذاه رسول الله ﷺ قال ألم تسمع ما قال سعد ؟ قال : وما قال ؟ قال : كذا كذا . فاستنكر رسول الله ﷺ فقال سعد " بل اليوم يوم الرحمة اليوم يعز الله قريشا ويعظم الله الكعبة " ٢

وقى رواية أخرى .. فقال رسول الله ﷺ : " كذب سعد بل هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة " ٣

بإذن مؤذن فوق الكعبة :

وقال ابن اسحاق : حدثني والذي حدثني بعض آل جبير أن رسول الله ﷺ لما دخل مكة فاتحا أمر بلالا فعلا على الكعبة على ظهرها فأذن عليها بالصلاة فقال بعض بنى سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سيدا إذ قبضته أن يسمع هذا الأسود على ظهر الكعبة " وقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب قال : قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالا فأذن يوم الفتح

١ السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ / ٥٥٤ .

٢ رواد البحارى .

٣ رواد الأموى فى المنبرى (فتح البارى ج ٨ / ٣٧ .

٤ السابعة والنهاية لابن كثير ٤ / ٢٨٤ .

فوق الكعبة فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد
أين سعد ؟ فقال : دعه فإن يكن الله يكرمه فسيغيره " ^١
ودوى أن رسول الله ﷺ أمر بلال عام الفتح فأتى على الكعبة ليغيظ به
المشركين " ^١

تعرض الرسول لحادث اغتيال عند الكعبة :

ورغم عفو الرسول ﷺ وصفحه عن أهل مكة إلا أنه لا يزال الحقد والغل
في صدور البعض تجاهه .. فقد هم فضالة بن عمير أن يقتل رسول
الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال له : أي فضاله ، قال : نعم
يا رسول الله ، فقال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء كنت أذكر
الله ، فضحك النبي ﷺ ، ثم قال استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره
فسكن قلبه ، وكان فضاله يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما خلف
الله شيئا أحب إلى منه . قال فضاله : فرجعت إلى أهلى فسررت بامراه
كنت أتحدث إليها قالت : هلم إلى الحديث قال : يا بى الله عليك والإسلام .
أى رفض الحديث معها فقد هداه الله عز وجل لنور الإسلام .

^١ البداية والنهاية لاس كثير ج ٤ / ٢٩٦ .

^٢ سيرة ابن هشام ق ٢ / ٤١٧ ، وزاد المعاد ح ١ / ٤٢٦ .

الفصل السادس

إهدار دم من ارتد وقتله في الكعبة

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية : في فتح مكة عن ابن إسحاق قال :
وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم غير أنه
أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة .

وهم عبد الله بن سعيد بن أبي مسرح . كان قد أسلم وكتب توحى ثم ارتد .
فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وقد أهدر دمه فر إلى عثمان وكان أخاه في
الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله ﷺ : " أما
كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأني قد صمت فيقتله "

فقالوا يا رسول الله هلا أو مات إلينا ؟ . فقال : " إن النبي لا يقتل بالإشارة "

وفي رواية : " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائفة الأعين "

قال ابن هشام وقد حسن إسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ثم ولاه
عثمان .. ويقول ابن كثير :

ويقال إن اسمه عبد العزى بن خطل ويحتمل أنه كان كذلك ثم لما أسلم
سمى عبد الله ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلاً من
الأنصار وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ثم ارتد مشركاً
وكان له قينتان .. فعانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وللمسلمين فلهذا
أهدر دمه ودم قينته فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة اشترك في قتله أبو
برزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي وقتلت إحدى قينته واستؤ من
للأخرى " 1

1 البداية والنهاية لاس كتبه ح / ٤ / ٢٦٠ .

مفاتيح الكعبة

قد ذكرنا أن تبع قد جعل للكعبة بابا وجعل له مفتاحا .. ومنذ ذلك اليوم والكعبة له سدنة يحملون مفاتيحها .. وقد أمر الإسلام هذا الأمر إلى يومنا هذا .

فيروى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلا مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد ومعه عثمان بن طلحة من الحجابة حتى أتوا المسجد فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهاراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالاً وراء الباب قائماً فسأله أين رسول الله ﷺ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه قال عبد الله (ونسيت أن أسأله كم صلى من مسجده)¹

وقال ابن إسحاق : روى عن صفية بنت شيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة وطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف² له الماس في المسجد ..

قال محمد بن إسحاق :

فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدنة البيت وسقايه الحاج .. ثم قال : يا معشر قريش إن الله قد أذهب

¹ رواد البحارى واحمد .

² استرصب له الماس

عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالأبواء ، الناس من أدم وأدم من تراب ثم تلا هذه الآية " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى " سمعت / ١٣
ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون لنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال : " اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : " أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال : هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء " ١

الفصل السابع مقدسات حول الكعبة

وتختص الكعبة بأنها المكان المقدس الذي يوجد حوله عدد من المقدسات ذات الشهرة الواسعة والأهمية البالغة في إقامة الشعائر وبخاصة فريضة الحج .. وهي ١- الحجر الأسود :

والحجر الأسود حجر بيضى الشكل لونه أسود ضارب للحمرة وبه نقط حمراء وتعاريج صفراء وقطرة حوالى ٣٠ سم ويحيط به إطار من الفضة عرضه ١٠ سم وسبب إحاطته بهذا الإطار أنه قد كسر فى زمن الإعتداء على الكعبة بالمنجانيق فى العصر الأموى كما ذكرنا عند مرات البناء " بناء عبد الله بن الزبير " ..

فضل الحجر الأسود

وهو أحد الركنين (الركن اليمانى والركن الأسود) وفضله عظيم فمسه يكفر الخطايا والتوب : يبين لنا هذا ما رواه الإمام أحمد بن حنبل بسند حسن عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : " إن مسح الركن اليمانى والركن الأسود يحط الخطايا حطاً " ١

ومما رواه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أباة يقول لابن عمر مالى لا أراك تستلم إلا هذين الركنين الحجر الأسود والركن اليمانى فقال ابن عمر رضى الله عنهما : إن أفعل ذلك فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن استلامها يحط الخطايا قال : وسمعه يقول : من

١ المتح الرمان لترتيب سيد الإمام أحمد ابن حنبل ح

طاف إسبوعاً يحصيه وصلى ركعتين كان له كعدل رقبة : قال وسعته
يقول :

ما رفع رجل قدماً ولا وضعها إلا كتبت له عشر حسنات وحط عنه عشر
سيئات ورُفع له عشر درجات " ¹

وورد في فضل الحجر الأسود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال
رسول الله ﷺ : في الحجر والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصران
ولسان ينطق به ، يشهد على كل من استلمه بحق " ²

وروى الطبراني في الكبير ولفظة : يبعث الله الحجر الأسود والركن
اليمامي يوم القيامة ولهما عينان ، ولسانان وشفقتان يشهدان لمن
استلمهما بالوقاء " ³

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : أشهدوا هذا الحجر
خيراً فإنه يوم القيامة شافع يشفع له لسانا وشفقتان . بشهد لمن استلمه " ⁴

عند الحجر الأسود تسكب الحبروات

وللحجر الأسود طقوس ومشاعر خاصة به جعلت رسول الله ﷺ يبكي
بكاء شديداً وكذلك عملاق الإسلام عمر ..

فعن ابن عمر رضي الله عنهما : قال استقبل رسول الله ﷺ الحجر ، ثم
وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً ، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي
فقال يا عمر : ها هنا تكسب العبرات ' (أي تسيل الدموع من خشية الله)

¹ نفس المرجع السابق .

² الترمذ والترمذى وأشار إليه بالضعف

³ رواد الضعفاء في الأوسط ، ورواها ثقات (والتعب والترهب ج

فتقبيله أو استلامه أو الإشارة إليه

ذكر الشوكاني في نيل الأوطار قال في الفتح ولهذا قال الجمهور أن السنة أن يستلم الركن ويقبل يده فإن لم يستطع أن يستلمه بيده استلمه بشيء في يده وقبل ذلك الشيء فإن لم يستطع أشار إليه واكتفى بذلك .^١

ويقول : يستحب له أن يقبل الحجر إن استطاع ذلك ولا يزاحم عليه . فعن عمر أنه كان يقبل الحجر ويقول : إنى لأعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك " .^٢

وعن عمر أن النبي ﷺ قال له : يا عمر إنك رجل قوى لا تزاحم على الحجر فتؤذى الضعيف إن وجدت خلوه فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر " .^٣

الحجر الأسود نزل من الجنة

ذكر القرطبي عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه : أن الله تعالى لما أمر إبراهيم بعمارة البيت خرج من الشام ومنعه ابنه إسماعيل وأمه هاجر وبعث معه للسكينة^٤ لها لسان تتكلم به يحدو معها إبراهيم إذا غدت ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فقالت لإبراهيم : أين على موضعى الأساس ، فرقع البيت هو وإسماعيل حتى انتهى إلى موضع الركن فقال لابنه : يا بنى ايقنى حجراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجر

^١ رواد ابن ماجة وابن خزيمة في صحيحة الحاكم وصححه ومن ضريف البيهقي ..

^٢ نيل الأوطار للشوكاني ج

^٣ رواد الجماعة

^٤ رواد أحمد .

^٥ الكعبة (يفتح مكسر) : ربيع ححوح أى سريرة امرئ .

فلم يرضه ، وقال : ابغى غيره ، فذهب يلتزم فجاءه وقد أتى بالركن فوضعه ، فقال : يا أبة ، من جاءك بهذا الحجر ؟ فقال : من لم يكلنى إليك وروى : يا إبراهيم يا خليل الرحمن ، إن لك عندى وديعة فخذها فإذا هو بحجر أبيض من ياقوت الجنة كان آدم قد نزل به من الجنة فلما رجع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت جاءت محابة مربعة فيهما رأس فتادت أن أرفعا على تربيعي فهذا بناء إبراهيم عليه السلام .^١

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم " ١

ورواد الطبرانى فى الأوسط والكبير بإسناد حسن ، ولفظه قال : الحجر الأسود من جدارة الجنة ، وما فى الأرض من آجنة غيره وكان أبيض كالمها ولولا ما مسه من رجس الجاهلية ما مسه ذو عامة إلا برا .

(رجس الجاهلية) : الرجس : الأمر القبيح المستقذر وقد يعبر به عن الحرام .

الملتزم

والجزء الذى بين ركن الحجر الأسود والباب يسمى " الملتزم " وهو مكان ملتزم من يطوف بالبيت أن يبدأ منه طوافه .

ويستحب الدعاء عند الملتزم فيعد أن يطوف بالبيت ويصلى ركعتين فى مقام إبراهيم يتوجه إلى الملتزم ويضع وجهه وصدره عليه وذراعيه ممدودتان متعلقان بأستار الكعبة سانلاً المولى عز وجل لنفسه ولغيره .

^١ الخامع لأحكام القرآن ج ٢ / ١٢٢ .

^٢ رواد الترمذى وقال حس صحيح وابن حرمة إلا أنه قال : أشد بياضاً من نخل .

فقد روى عن ابن عباس : أنه كان يلزم ما بين الركن والباب وكان يقول : ما بين الركن والباب يدعو الملتزم ، لا يلزم ما بينهما لحد يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه .^١

وروى عن عمرو بن شبيب ، عن أبيه عن جده قال : " رأيت رسول الله ﷺ يلزق وجهه وصدره بالملتزم . . وقيل إن العظيم هو للملتزم . ويرى البخارى أن العظيم الحجر نفسه وأحتج إليه بحديث الإسراء فقال : تبينا أنا نانم فى العظيم ، وربما قال فى الحجر .^٢

الركن اليمانى

قال فى الروض : وأما للركن اليمانى فسمى باليمانى (فيما ذكر القتبى) لأن رجلاً من اليمن بناه لسمه أبى بن سالم ، وأنشد :
لنا الركن من لبيت الحرام وراثه

بقية ما أبقى أبى بن سالم .

وهو ركن الكعبة الواقع عن يمين الحجر الأسود ويسمىان معا باليمانيين . وقد ورد عن ابن عمر قال لم أر للنبي ﷺ يمس من الأركان إلا لليمانيين^٣ وقال الشوكاتى فى نيل الأوطار :

وإنما اقتصر ﷺ على استلام اليمانيين لما ثبت فى الصحيحين من قول ابن عمر أنهما على قواعد إبراهيم دون الشاميين ولهذا كان ابن الزبير بعد عمارته للكعبة على قواعد إبراهيم يستلم الأركان لما روى ذلك عنه

^١ رواد البيهقى .

^٢ فقه السنة ١٦ / ٥٩٨ .

^٣ رواد الجماعة إلا الترمذى .

الاررقى فى كتاب اخبار مكة . فعنى هذا يكون للركن الاول من الاركان
الأربعة فضيلتان كونه الحجر الأسود وكونه على قواعد إبراهيم .
والثانى والثالثة فقط وليس للأخرين أعنى الشاميين شىء منهما فذلك
يقبل الأول ويستلم الثاتى فقط ولا يقبل الأخران ولا يستلمان على رأى
الجمهور .

تدخل الركن اليمانى

روى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : " إن مس الركن اليمانى والركن
الأسود يحط الخطايا حطاً " ١

وعنه أيضاً أن النبى ﷺ كان لا يدع أن يستلم الحجر والركن اليمانى فى
كل طوافه " ٢

وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ

" يقبل الركن اليمانى ويضع خده عليه " ٣

وعنه أيضاً قال : كان النبى ﷺ : " إذا استلم الركن اليمانى قبله " ٤
وكفى من قبله أو استلمه فخراً أن يفعل ذلك بعد رسول الله ﷺ فقد وضع
خده الشريفه عليه وقبله واستلمه ..

١ بيل الأوطار للشركان ج ٥ / ٤٢ .

٢ رواد أحمد والسنى .

٣ رواد أحمد وأبو داود .

٤ رواد العارضى .

٥ رواد البحارى فى تاريخه .

الركنيين الشاميين

الركن الشامى والعرقى . وهما ركنا الكعبة من ناحية الشام بجوار حجر إسماعيل والحطيم وهما كما تقول الروايات الصحيحة أنهما على قواعد إبراهيم فكما ذكرنا أنهما لا يستلمان . ولما وسع ابن الزبير الكعبة سبعة أذرع على قواعد إبراهيم كان يستلم الأركان الأربعة كلها . كما روى الأزرقى فى كتاب أخبار مكة .

جواز استلامهما

وبجوز استلام الركنيين للشاميين لما روى عن ابن المنذر وغيره استلام الأركان جميعاً وقد ورد ذلك عن جابر وأنس والحسن والحسين من الصحابة وعن سويد بن غفلة من التابعين .

وقد أخرج البخارى ومسلم أن عبيد بن جريح قال لابن عمر رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها فذكر منها ورأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانيين . قال الشوكانى .

وفيه دليل على أن الذين راهم عبيد كانوا لا يقتصرون فى الاستلام على الركنيين اليمانيين .^١

وذكر ابن رشد فى بداية المجتهد :

وأصبح من رأى استلام جميعها : أى الأركان الأربعة . " بما روى عن

جابر قال : كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها .^٢

^١ نيل الوطار للتوكاوى ج ٥ / ٤٣ .

^٢ طبعة المعهد لاس رشد ج ١ / ٤١٧ ، ١٤٨٠ .

مقام إبراهيم

وهو الحجر الذى قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناء الكعبة وهو الآن فى جوار الكعبة الذى به بابها وهو موضوع داخل قفص زجاجى . وترتبط برفع قواعد الكعبة المشرفة قضية مهمة هى ان إبراهيم لم يكثف بالارتفاع الذى كان يمكن أن يحققه طبقا لمتناول يده ، بل أراد أن يزيد فى الارتفاع بالحوائط ، فاستعمل حجرا يقف عليه لجعل المناء أكثر شموخا ، فجعل الله سبحانه وتعالى من حرص إبراهيم على مزيد من الطاعة آية يدل على مزيد من الإخلاص والولاء وجاء فى ذلك قوله تعالى : " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم " سورة البقرة / ١٢٧ - ١٢٨

ارتباط الأمن بمقام إبراهيم

وبعد أن استقر البيت على هذا النحو بفضل الله تعالى فجعله مثابة للناس وأمنا ، أى مكانا ينال زائرة الثوب ، ويلجأ له الخائف فيجد الأمن والأمان .
والسر فى ارتباط الأمن باتخاذ مقام إبراهيم مصلى فى قوله تعالى : " وإذ جعلنا النبىء مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " سورة البقرة / ١٢٥
هو أن مقام إبراهيم ، أى مكان قيامه قرب مكان بناء البيت كان قاعدة الانطلاق إلى البناء فقيه الحجر الذى ارتفع عليه إبراهيم " عليه السلام " حين ضعف من رفع الحجارة التى كان ولده إسماعيل بناء له إياها فى بناء البيت وهذا المقام الذى فيه الحجر الآن كان بيت إبراهيم (عليه السلام) وكان ينقل إليه هذا الحجر بغد الفراغ من العمل والأمر بالصلاة فى مقام إبراهيم وإن كان للاستحباب إلا أنه يؤكد

الارتباط القائم بين جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا وبين اتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، لتتذكر جهود إبراهيم في البناء وتعظيم البيت واتخاذها مكانا للإجابة والأمن والاستقرار فيه ، والبعد عن الإيذاء والعصيان في هذا المكان ، لذا جعلت السينة به بعانة ألف سينة لقوله تعالى : " ومن يُرد فيه بِالْحَادِ بِظَلَمِ نُذُوقَةَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ " صح / ٢٥

الصلاة في مقام إبراهيم ونضلائها

حثنا الله عز وجل على الصلاة خلف مقام إبراهيم تذكراً لولاء إبراهيم لربه

" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى " البقرة / ١٢٥

والصلاة خلف مقام إبراهيم مندوبة وليست واجبة ، ولهذا قال الفقهاء والصلاة في مقام إبراهيم إنما هي أمنية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووافقته الله عز وجل فروى عن أنس بن مالك قال ، قال عمر : وافقت ربي في أربع ، قلت يا رسول الله : لو صليت خلف المقام ؟ فنزلت هذه الآية " وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى " البقرة / ١٢٥

وقد صلى الرسول ﷺ في مقام إبراهيم كما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى مقام إبراهيم قرأ " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " فصلى ركعتين فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم عاد إلى الركن فاستلمه ثم خرج إلى الصفا " ١

^١ سنن السائى ح / ٢٣٦ .

مقام إبراهيم يا قوته من الجنة

عن عبد الله عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو مسند ظهره إلى الكعبة يقول : الركن والمقام يا قوتان من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس نورهما لاضاءتا بين المشرق والمغرب " ١
وفى رواية للبيهقي قال : إن الركن والمقام من ياقوت الجنة ولولا ما مسه من خطايا بنى آدم لأخفاء ما بين والمشرق والمغرب وما مسهما من ذى عاهة ولا مسقيم إلا شقى " ٢

مقام إبراهيم وآل سعود

وفى إطار إهتمام آل سعود بالمسجد الحرام والكعبة يتبين لنا أهمية إنجاز آخر فى تسهيل الطواف والصلاة ، فقد كانت مقصورة مقام إبراهيم (٣×٦) لمتار (١٨) بينما لا يزيد حجم المقام نفسه عن (٤٠ × ٤٠) سم .
فقد بحث المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامى موضوع إزالة البناء والزوائد المقامة فوق المقام وخلص إلى أن معظم الزحام نشأ عن وجود الزوائد التى لا ضرورة لبقائها ، وأن رفع هذه الزوائد يزيل عن الطائفين والقائمين وللركع السجود كثيراً من الضيق والحرج والمشقة .
واقترحت رابطة العالم الإسلامى فى مذكرة وقعتها لجلالة الملك فيصل برحمه الله ، بتاريخ ١٢/٢٧/١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) ورقم ١٩٨٥ ، إزالة تلك الزوائد وأن يجعل على مقام إبراهيم صندوق من اليللور السميك القوى على قدر الحاجة فقط ويكون مدوراً وبارتفاع مناسب لنلا يتعثر به

١ - مدى وإس حاد فى صحبه (الترعيب والترهب للمدى ح ١٣٤ / ٢)

الطائفون وبهذا تحصل التوسعة لهذا الجزء من المطاف ويزول كثير من الضيق والحرج كما يتسنى للكثير رؤية مقام إبراهيم عليه السلام عند رفع القواعد من البيت وينتفى ما تظنه العامة من أن بداخل المبنى الموجود حالياً قبراً لإبراهيم عليه السلام .

وبالفضل صنع غطاء المقام من زجاج الكريستال الثمين مع حاجز حديدي وقاعدة رخامية أبعادها مجتمعة (١٨ × ٨٣٠) سم ، وبهذا توفرت مساحة عرضها خمسة أمتار تقريباً فزادت في عرض للمطاف ، وكان لها أثر ملموس في تخفيف الزحام حول الكعبة المشرفة . وقد بلغ قطر الغطاء الزجاجي (٨٠ سم) وسماكته (٢٠) سم وارتفاعه (١٠٠) سم وأقيم على قاعدة نحاسية ارتفاعها (٧٥) سم أما وزن الغطاء فهو (١٧٠٠) كيلو جرام ، منها (٦٠٠) كيلو جرام وزن القاعدة النحاسية ، ولما القاعدة الرخامية فقد صنعت من الرخام المحلي الممتاز ، وصبت بداخلها قاعدة خرسانية مسلحة وأحيط المقام من الداخل بحاجز من المرمر كي لا تتصل الخرسانة به وبلغ ارتفاع الحاجز الحديدي ثلاثة أمتار تقريباً . وقد احتفل بإزاحة الستارة عن الغطاء بتاريخ ١٨ رجب ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م)

هجر إسما عبل

الحجر : بكسر الحاء وسكون الجيم هو الفضاء الواقع بين الحطيم وحائط البيت الشمالية والغربية .

وكان " الحجر " أولادخل في الكعبة فلما هدم السيل الكعبة بنتها قريش من جديد ، وذلك قبل مبثه ﷺ بنحو خمس سنين ، فقصرت بهم النفقة فبنوا الكعبة على ما هي عليه الآن .

فمن عائشة قالت : سألت النبي ﷺ عن الحجر أمن البيت هو ؟ قال : نعم . قلت : فما لهم لم يدخلوا في البيت ؟ قال إن قومك قصرت بهم الفقة ، قالت فما شأن بابيه مرتفعا ، قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شأوا ويمنعوا من شأوا ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهلية . وأخاف أن تتكر قلوبهم أن أدخل الحجر في البيت وأن ألصق بابيه بالأرض " وفي رواية قالت : كنت أحب أن أدخل البيت أصلى فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأدخلني الحجر فقال لي أصلى في الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت " ١

وعن سعيد بن جبير عن عائشة قالت : يا رسول الله كل أهلك قد دخل البيت غيري فقال أرسلني إلى شيبه^٢ فبفتح لك الباب ، فارسلت إليه فقال شيبه : ما استطعنا فتحه في جاهلية ولا إسلام بليل . فقال النبي ﷺ : " صلى في الحجر فإن قومك استقصروا عن بناء البيت حين بنوه " ٣

مقدار الحجر

وليس الحجر كله من البيت بل الجزء الذي هو ملاصق لجدار الكعبة وقد رده لما ذكر الشوكاتي في نيل الأوطار^٤ عدة روايات تدل على أن الحجر يقدر ما بين ستة أذرع أو سبعة : نحو ثلاثة أمتار .

^١ متفق عليه .

^٢ رواد الخمسة إلا من ماله وصححه الترمذي .

^٣ شبة بن عثمان بن طلحة كان يده مفتاح الكعبة .

^٤ رواد أحمد بن حنبل .

^٥ نيل الأوطار للشوكاتي ح ٤٤ / ٥٠ .

ففى رواية لمسلم عن عائشة مرفوعا بلفظ " فإن بدا لقومك أن يبنوه
بعدى فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع "
وله أيضا عنها مرفوعا بلفظ " وزدت فيها من الحجر سبعة أذرع " وفى
رواية للبخارى عن عروة " أن لك مقدار ستة أذرع "
ولسفيان بن عبيدة فى جامعة أن ابن الزبير زاد ستة أذرع وله أيضا عنه
أنه زاد ستة أذرع وشبرا " وهذا ذكره الشافعى فى عدد من لقيهم من
أهل العلم من قریش كما أخرجه البيهقى فى المعرفة عنه .

الحطيم

للحطيم فى اللغة : الجدر يضى جدار الكعبة : وقيل هو بناء قبالة الميزاب
من خارج الكعبة .
وهو الجدار المحاط بحجر إسماعيل بينه وبين جدار الكعبة من ستة إلى
سبعة أذرع . بنحو ثلاثة أمتار تقريبا وهو على شكل نصف دائرة يبدأ من
للركن العراقى حتى الركن الشامى إلا قليلا .

الشناذ وولان

هو البناء الملاصق لأساس الكعبة الذى توضع به حلق الكسوة .

زمزم

روى الإمام البخارى وابن هشام كالأتى :

جاء إبراهيم بها جر تحمل ابنهما إسماعيل ووضعهما فى مكان بنى زمزم الحالى وترك لهما جرابا فيه ماء ثم اتجه إبراهيم عاندا إلى فلسطين فنادته هاجر : أين تذهب وتتركنا ؟ فلم يلتفت لها فسألته : الله أمرك بهذا ؟ فأجاب : نعم فقالت : إذن لن يضيض الله أبدا وهو أرحم الراحمين .

وبعد أيام نفذ الطعام والماء وجف تبعاً لذلك . لبى أم إسماعيل وجعل إسماعيل يبكى وأخذت أمه تتردد بين الصفا والمروة لعنها تجد من يساعدها ويمدها بالطعام والماء ..

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن هاجر لما اشرفت على المروة حين أصابها وولدها العطش سمعت صوتاً فقالت : صه " تريد نفسها " ثم سمعت فسمعت أيضاً فقالت : قد سمعت ، إن كان عندك غوات ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فيحث بعقبه أو قال : يجناحه ، حتى ظهر الماء فجعلت نحو منه وتقول بيدها هكذا تغتترف من الماء فى سقائها . وهو يقور بعد ما تغتترف .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ، أو قال لو لم تغتترف من الماء لكانت زمزم عينا معنا . قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله يبتنى هذا الغلام وأبوه .

وإن الله لا يضيع أهله ، وكان البيت مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذه عن يمينه وشماله .

استحباب الشرب من ماء زمزم

وإذا فرغ الطائف من طوافه ، وصلى ركعتين عند المقام ، استحباب له أن يشرب من ماء زمزم ويملاً بطنه من مائها ..

ثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ ، شرب من ماء زمزم وأنه قال : " إنها مباركة . إنها طعام وشفاء سقم "

(ومعنى طعام طعم : أى أنه يشبع من شربه)

وروى " أن جبريل غسل قلب رسول الله ﷺ بمائها ليلة الإسراء " وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : خير ماء وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام الطعم وشفاء السقم " ١

ماء زمزم لما شرب له

يسن أن ينوى الشارب عند شربه الشفاء ونحوه ، مما هو خير فى الدين والدنيا . فإن رسول الله ﷺ قال : " ماء زمزم لما شرب له "

وعن سويد بن سعيد قال : رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى ماء زمزم واستسقى منه شربه ثم استقبل الكعبة فقال : اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر : أن رسول الله ﷺ قال : " ماء زمزم لما شرب له " وهذا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب " ٢ وعن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " ماء زمزم لما شرب له إن شربته تستشفى شفاك الله ، وإن شربته لشبعك ، أشبعك الله ، وإن

١ الطبرانى فى الكبير وابن حبان وقال المنرى رواه تلمه .

٢ رواد أحمد بسند صحيح والبيهقى .

شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وهي هزمه (أى حضرد) جبرائيل
وسقيا الله إسماعيل¹ ”

(أى حفرة ماء أخر جها الله لسقى إسماعيل فى أول الأمر)
وهى الآن تسقى ملايين البشر من القاصدين بيت الله الحرام وغيرهم بل
وصل الأمر إلى الأسرة السعودية قامت بتوصيل ماء زمزم إلى المدينة
المنورة ” الحرم النبوى الشريف ”

¹ رواه الدار قطنى .

الفصل الثامن فقه الكعبة

ولم يقوتنا أن نجعل باباً خاصاً بالأمر الفقهيّة التي تتعلّق بالكعبة المشرفة ويحتاج إليها القارئ الكريم وكذا من ذهب إلى هناك لأداء فريضة الحج أو العمرة . أو الصلاة .

فعلّى من دخل مكة أن يبادر إلى البيت بعد أن يدع أمتعته في مكان أمين ويدخل من باب بنى شيبه . باب السلام . ويقول في خشوع وخضوع وضراعة :

"أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
بسم الله ، اللهم صلى على محمد وآله وسلم . اللهم أغفر لي ذنوبي .

" وافتح لي أبواب رحمتك "

فإذا وقع نظره على البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً ، زد من شرفه وكرمه ممن حجه ، أو اعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً " ١

ثم يقصد إلى الحجر الأسود فيقبله بدون صوت . فإن لم يتمكن استلمه بيده وقبله فإن عجز عن ذلك ، أشار إليه بيده .

ثم يقف بحذاء الحجر الأسود ويجعل وجهه وصدره نحوها تماماً ويرفع يديه لاستقباله كما يرفعها في افتتاح الصلاة ناوياً الطواف مكبراً مهلاً معلناً شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله قاتلاً : اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ ثم يستدر إلى يمينه ويجعل الكعبة على يساره لتكون إلى جهة قلبه .

١ رواد التامني مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، قال عمر

ويسير فى المطاف متجهاً أمامه مع الساترين حول الكعبة وحجر
إسماعيل إلى أن يعود إلى المكان الذى بدأ منه أمام الحجر الأسود
ليستقبله ثانية كما استقبله من قبل رافعاً يديه مكبراً مهلاً معننا الشهادتين
مبتدأً بهذا الشوط الثانى . وهكذا . وبكل مرة يتم شوط . وهكذا يفعل فى
كل مرة حتى يتم الأشواط السبعة .

ويستحب له أن يرسل فى الأشواط الثلاثة الأولى فيسرع فى المشى
ويقارب الخطا مقرباً من الكعبة . ويمشى مشياً عادياً فى الأشواط الأربعة
الباقية .

فإذا لم يمكنه الرمل أو لم يستطيع القرب من البيت لكثرة الطائفين
ومزاحمة الناس له طاف حسبما تيسر له .

ويستحب أن يستلم الركن اليماني ويقبل الحجر الأسود أو يستلمه فى كل
شوط من الأشواط السبعة .

ويستحب له أن يكثر من الذكر والدعاء وقراءة القرآن ويتخير منها ما
ينشرح له صدره دون أن يتفقد بشيء أو يرد ما يقوله المطوفون . فليس
فى ذلك ذكر محدد ألزمتنا الشارع به . وما يقول الناس : " من أنكر
وأدعية فى الشوط الأول والثانى وهكذا فليس له أصل " ولم يحفظ عن
رسول الله ﷺ شيء من ذلك .

وليعلم الذى يطوف بالكعبة أنه فى رحمة الله عز وجل كما ورد عن رسول
الله ﷺ " ينزل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة :
ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين " .

فإذا فرغ من الأشواط السبعة صلى ركعتين عند مقام إبراهيم تالياً قول الله
تعالى : " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " .

ويجوز له أن يصلّيها فى أى مكان من المسجد إن لم يجد متسعاً فى مقام إبراهيم وليدع الله بعدهما بما يحب . ثم يتوجه إلى الملتزم بين الحجر الأسود وباب الكعبة ويضع خده وصدره وذراعيه ممدودتين عليه ويتعلق بأستار الكعبة ويسأل الله ما يرجوا لنفسه وغيره فالإجابة مرجوة إن شاء الله .

ثم يتوجه إلى بئر زمزم المباركة ويشرب منها ما استطاع ويملا بطنه من مانها فماء زمزم لما شرب له " ثم يتجه بعد ذلك إلى السعى بين الصفا والمروة وباقى المناسك .

ويجوز للطائف للركوب وإن كان قادراً على المشى إذا وجد سبب يدعو إلى الركوب . لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى طاف فى حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن " .

ويستحب له دخول الكعبة وحجر إسماعيل

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : دخل رسول الله ﷺ الكعبة¹ هو وإسماعيل بن زيد وعثمان بن طلحة وأغلقوا عليهم فلما فتحوا أخبرنى بلال : أن رسول الله ﷺ صلى فى جوف الكعبة بين العمودين اليمانيين "

وقد استدل العلماء بهذا على أن دخول الكعبة والصلاة فيها سنة . وقالوا وهو وإن كان سنة إلا أنه ليس من مناسك الحج لقول ابن عباس رضى الله عنهما : أيها الناس إن دخولكم البيت ليس من حجكم فى شيء ومن

¹ رواه البخارى ومسلم .

² كان ذلك عام الفتح .

لم يتمكن من دخول الكعبة يستحب له الدخول في حجر إسماعيل والصلاة فيه فإن جزءاً منه من الكعبة .
 وذكر السهيلي في الروض .
 وأما دخوله عليه السلام الكعبة وصلاته فيها فحديث بلال أنه صلى فيها .
 وحديث ابن عباس أنه لم يصلي فيها وأخذ الناس بحديث بلال لأنه ثبت الصلاة ، وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافي ومن تأول قول بلال أنه صلى أي دعا . فليس بشيء لأن في حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان . لأنه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يصلي ودخلها من الغد فصلى وذلك في حجة الوداع ، وهو حديث مروى عن ابن عمر بإسناد حسن أخرجه الدار قطنى .

الصلاة على ظهر الكعبة

اختلف الفقهاء في الصلاة على ظهرها :
 قال الشافعى رحمه الله : إن صلى في جوفها مستقلاً حائطاً من حيطانها فصلاته جائزة وإن صلى نحو الباب ، والباب مفتوح فصلاته باطلة ، وكذلك من صلى على ظهرها لأنه لم يستقبل منها شيئاً وقال مالك : من صلى على ظهر الكعبة أعاد في الوقت .
 وقد روى عن بعض أصحاب مالك : يعيد أبداً .
 وقال أبو حنيفة : من صلى على ظهر الكعبة فلا شيء عليه .

حكم المشاهد للكعبة وغير المشاهد لها

المشاهد للكعبة يجب عليه أن يستقبل عينها والذي لا يستطيع مشاهدتها يجب عليه أن يستقبل جهتها ، لأن هذا هو المقدر عليه " ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها " .

وعن أبي هريرة : أن النبي ﷺ قال : ما بين المشرق والمغرب قبلة " ' وقال القرطبي : لا خلاف بين العلماء أن الكعبة قبلة في كل أفق ، وأجمعوا على أن من شاهدها وعاتبها فرض عليه استقبالها وأنه إن ترك استقبالها وهو معاين لها وعالم بجهتها فلا صلاة له ، وعليه إعادة كل ما صلى . ذكر ابن عمر . ، وأجمعوا على أن كل من غاب عنها أن يستقبل ناحيتها وشطرها وتلقاها فإن خفيت عليه فعليه أن يستدل على ذلك بكل ما يمكن من النجوم والرياح والجبال وغير ذلك مما يمكن أن يستدل على ناحيتها .

ومن جلس في المسجد الحرام فليكن وجهه إلى الكعبة وينظر إليها إيمانا واحتسابا فإنه يروى أن النظر إلى الكعبة عبادة . قاله عطاء ومجاهد .

الصلاة عند البيعة أفضل أم الطواف ؟

واختلفوا أيضاً أيهما أفضل الصلاة عند البيت أم الطواف به ؟ فقال مالك : الطواف لأهل الأمصار أفضل ، والصلاة لأهل مكة أفضل . وذكر عن ابن عباس وعطاء ومجاهد والجمهور على أن الصلاة أفضل . وفي الخبر : " لولا رجال خشع وشيوخ ركع وأطفال رضع وضع

* رواد ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

* إجماع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠/١٦٠ .

وبهائم رتع لصبينا عليكم العذاب صبا^١ وقد ورد في فضل الصلاة
والسجود أخبار كثيرة تشهد لقول الجمهور^١ والله أعلم .

هل يجوز أن يؤخذ من كسوة الكعبة أو طيبها

قال العلماء : ولا ينبغي أن يؤخذ من كسوة الكعبة شيء فإنه مهدي
إليها ولا ينقص منها شيء .

ولا يجوز أن يؤخذ من طيبها

وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يكره أن يؤخذ من طيب الكعبة يستشفى
به وكان إذا رأى الخادم يأخذ منه قفدها قفده لا يألوا أن يوجعها .
وقال عطاء كان أحدنا إذا أراد أن يستشفى به جاء بطيب من عنده فمسح
به الحجر ثم أخذه^٢

هل يجوز بناء الكعبة اليوم على بناء عبد الله بن الزبير وعلى قوا عبد إبراهيم

رغم ورود الروايات الصحيحة عن السيدة عائشة أن البيت غير تام وأن
قريش قصرت بهم النفقة ولولا حداثة عهدهم بالجاهلية لأصنافا رسول
الله ﷺ هذا البناء : ورغم أن عبد الله بن الزبير قد زاد هذا البناء كما

^١ المرجع السابق ٢/١١٦، ١١٧ .

^٢ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٢٥ .

أخبر رسول الله ﷺ وقام بهدمها الحجاج بعد ذلك . ولما أرادوا بناءها كتب الحجاج إلى عبد الملك أن ابن الزبير قد وضع البناء على أسس نظير إليه العدول من أهل مكة .

ورغم أنه ورد في رواية أن عبد الملك بن مروان ندم على هدم ما بناه وفعله ابن الزبير كما أراد رسول الله ﷺ فقد قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير^١ . وقد ذكرنا كل هذه الروايات عند الحديث عن بناء الكعبة .

نقول : لا يجوز أن تبنى الكعبة اليوم إلا على هيئتها الآن والسبب في ذلك ما قاله الإمام مالك :

فقد روى أن الرشيد ذكر لمالك بن أنس أنه يريد هدم ما بنى الحجاج من الكعبة وأن يرده على بناء ابن الزبير لما جاء عن النبي ﷺ وأمثله ابن الزبير.

فقال مالك : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملجأ للملوك لا يشاء أحد منهم إلا نقض البيت وبناه ، فتذهب هيئته من صدور الناس^٢ وهذا ما نميل إليه .. ولا يفتى ومالك بالمدينة . والله أعلم
" والله يقول الحق وهو يهدي السبيل "

^١ نفس المرجع السابق .

^٢ نفس المرجع السابق .

خاتمة

الله جلست قدرته وعظمت منته اختص الكعبة المشرفة بخصائص كثيرة
وفضائل عظيمة .. ومآثر جليلة ..

فهى مقصد الزوار والحجاج والنسك والطائفين والعاكفين والركع
السجود والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ..

وقد تعرضت الكعبة المشرفة لمحن كثيرة .. ومواقف عصبية .

ولكن الله عز وجل حفظها وسخر لها من يبنيتها .. ويعمرها . ويكسوها ..
ويطيبها ، ويسهر على خدمة زوارها .. منذ آدم عليه السلام إلى يومنا
هذا ..

وكان ممن نال هذا الشرف العظيم فى عصرنا الحديث " آل سعود " فقد
أمتن الله عليهم بفضلهم . وأسبغ عليهم نعمه .. فعرفوا فضل الله عليهم ..
وقابلوا النعمة بالشكر .. فظهر ذلك على مقدسات كثيرة عمروها
وشيدوها منها بيت الله الحرام والكعبة والمشرفة .. بل امتد هذا إلى الحرم
النبوى وباقى المقدسات الإسلامية .. فى بلاد الإسلام فى كل مكان
وسيصل بمشينة الله إلى بيت المقدس .. عندما يمن الله علينا بنصره ..
ونتحدث من بعد فرقة .. ونعصم بحبله المتين .. وقرأته المجيد ..
ووقتها يعود إلى ديار الإسلام .. وأحضان الأمة الإسلامية ..

ونحن عزيزى القارئ :

تقدم لك دراسة تاريخية قيمة للكعبة المشرفة .. منذ نشأتها قبل بدء
الخليقة .. حتى نقضها فى آخر الزمان ..

ونعتقد أنك كنت فى شوق ولهفة لمعرفةتها ..

فها هى بين يديك .. لعك أن تكون قد خرجت منها بما يعود عليك بالنفع ..

سألين الله عز وجل أن ينفع بها كل مسلم ومسلمة ..

﴿ والله من وراء القصد وهو يهتدى السبيل . ﴾

المراجع

أولاً: القرآن الكريم	
ثانياً: كتب التفسير	
١- الجامع لأحكام القرآن	لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
٢- تفسير ابن كثير	للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي دمشقي
٣- فتح القدير	للعلماء محمد بن علي بن محمد الشوكاني
٤- في ظلال القرآن	الأساتذة / سيد قطب
٥- تفسير البيضاوي	للعلماء / البيضاوي
٦- التفسير الكبير	للإمام / الفخر الرازي
٧- المنار	للعلماء / محمد رشيد رضا
٨- التفسير الماجدي	الأساتذة الكبير الماجد الدربابادي
ثالثاً: كتب السنة	
١- الجامع الصحيح	للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
٢- صحيح مسلم	للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي
٣- الجامع للترمذي	للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي
٤- سنن ابن داود	للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
٥- سنن النسائي	للقاضي أحمد بن شعيب بن علي النسائي
٦- سنن أبي ماجه	للعلماء أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الزويني
٧- مسند أحمد	للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني
٨- موطأ مالك	للإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي
٩- السنن الكبرى	للعلماء أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
١٠- سنن الدارمي	للعلماء أبي محمد عبد الله عبد الرحمن الدارمي
١١- المسند تدرک	للمحافظ أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري

تابع المراجع

للإمام أبي عبد الله محمد بن معاذ البخاري	١٢- الأدب المفرد
للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذري	١٣- الترغيب والترهيب
وابعاً : شروحه كتب السنة	
للعلامة شمس الدين بن القيم الجوزية	١- زاد المعاد
للعلامة الحافظ أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني	٢- فتح الباري
للعلامة محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي	٣- شرح مسلم
للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني	٤- نيل الأوطار
خامساً : كتب السيرة النبوية	
للعلامة أبي بكر القاسم عبيد الرحمن بن عبد الله بن هشام	١- السيرة النبوية
للعلامة الحافظ عماد الدين بن كثير	٢- السيرة النبوية
للحافظ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي المغربي	٣- روض الأتشف
للعلامة السيد أبي الحسن علي الحسن بن الندوي	٤- السيرة النبوية
للشيخ محمد الخضري	٥- نور البقير
سادساً : كتب التاريخ والترجمة والأخبار	
للعلامة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري	١- تاريخ الطبري
للعلامة الحافظ عماد الدين بن كثير	٢- البدايعة والنهايعة

تابع : المراجع

تاسعاً : المعاجم	
١- المعجم الوجيز	
٢- دائرة المعارف العربية الإسلامية	
عاشراً : متفرقات	
١- إحياء علوم الدين	للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي
٢- مجلة الأزهر	القاهرة
٣- مجلة منير الإسلام	القاهرة
٤- مجلة رسالة الإسلام	القاهرة
٥- مجلة التوحيد	القاهرة
٦- مجلة المجاهد	القاهرة
٧- جريدة المسلمون	السعودية
٨- مجلة منار الإسلام	الإمارات
٩- مجلة الوعي الإسلامي	الكويت
١٠- نشرة في خدمة ضيوف الرحمن	وزارة الأعلام السعودية

التفصيل

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
	الباب الثالث	٣	المقدمة
٥٦	مكانة البيت الحرام	٧	الباب الأول
	الفصل الأول		الفصل الأول
٥٥	صفات البيت الحرام	٩	أسماء مكة
	الفصل الثاني		الفصل الثاني
٥٩	قريش والبيت الحرام	٢١	فضائل مكة
	الفصل الثالث		الفصل الثالث
٦٣	حدود الحرم المكي	٢٩	حرمة مكة المكرمة
	الفصل الرابع		الباب الثاني
٦٥	البيت الحرام في ظل الإسلام	٣٠	مكة وقريش في التاريخ واللغة
	الفصل الخامس		الفصل الأول
٦٧	العصر الأموي (٤١-١٣١ هـ)	٣٢	تاريخ مكة
	الفصل السادس		الفصل الثاني
٦٩	العصر العباسي (١٢٣-٦٤٦ هـ)	٣٥	قريش في اللغة
	توسعة محمد المهدي		الفصل الثالث
	العصر المملوكي	٣٩	قريش في التاريخ
	العصر العثماني		الفصل الرابع
		٤٣	مركز مكة الديني

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
	التوسعة بالأرقام		الفصل السابع
	التخطيط المرورى	٧٣	البيت الحرام والأسرة السعودية (آل سعود)
	السعى		فى عهد امت فمى بن عبد العزيز
	مشروعات إيجابية أخرى		فى عهد امت فهد بن عبد العزيز
	الفصل الثامن		المدائل والمأذن
٩١	مسجد الرسول (الحرم النبوى)		حركة المصلين
	الباب الرابع		الأعمدة قرخامية والوجهات
١٠٧	الكعبة المشرفة مركز العالم		الأبواب
	الفصل الأول		السلام فكرية للمتحركة
١٠٩	ليهما نتم وجودا مكة لم كعبة ؟		النواقد
	الفصل الثانى		الأرضيات
١١٣	العبه فى لبنة لجامين ولشعرهم		دورات العمياء
	الفصل الثالث		الأعمال الكهربائية الأتارة
١١٥	الكبة فى الجاهلية		شبكة الأذاعة الداخلية
	الفصل الرابع		مشروع تكيف مبنى توسعة الحرم المكى للشريف
١١٧	تعهد البيوت التى عرفت باسم الكعبة لجاهلية		إنشاء محطة التكييف المركزية باجباد

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
	الفصل الخامس		الفصل الخامس
١٧١	بناء العماليق	١٣٧	كعبات أكري كانت العرب تجمع إليها وتعظمها
	الفصل السادس		الفصل السادس
١٧٣	بناء جرهم	١٣٤	أسماء الكعبة
	الفصل السابع		الفصل السابع
١٧٥	بناء قريش	١٤٧	البيت المعمور والكعبة
	الفصل الثامن		الفصل الثامن
١٨١	بناء عبد الله بن الزبير ١٤٤هـ	١٤٩	فضائل الكعبة
	الفصل التاسع		الباب الخامس
١٨٣	بناية الحجاج بن يوسف	١٥٩	بناء الكعبة عبر التاريخ
	الفصل العاشر		الفصل الأول
١٨٥	بناء محمد علي بنسافر عهد خلافة عثمانية	١٦٠	بناء الملانكة عليهم السلام
	الفصل الحادي عشر		الفصل الثاني
١٨٧	بناء العلك فهد	١٦٣	بناء آدم عليه السلام
	الفصل الثاني عشر		الفصل الثالث
١٨٩	كسوة الكعبة	١٦٥	بناء ضيث بن آدم
	الفصل الثالث عشر		الفصل الرابع
١٩٧	غسيل الكعبة	١٦٧	بناء إبراهيم وإسماعيل

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
	الفصل الرابع		الفصل الرابع عشر
٢٥٩	هدم الكعبة في آخر الزمان ورفعها إلى السماء	٢٠١	هدايا الكعبة وما علق بداخلها
	الفصل الخامس		الفصل الخامس عشر
٢٦١	فتح مكة والكعبة المشرفة	٢٠٥	هيئة الكعبة
	الفصل السادس		الفصل السادس عشر
٢٦٧	إهدار دم من لوند وقتله في الكعبة	٢١٥	المعظقات
	الفصل السابع		الفصل السابع عشر
٢٧١	مقدسات حول الكعبة	٢٢٣	الكعبة وخلف الفضول
	الفصل الثامن		الباب السادس
٢٨٧	فقه الكعبة	٢٢٧	أخبار حول الكعبة المشرفة لرسول الله ﷺ والكعبة
٢٩٤	خاتمة		الفصل الأول
٢٩٨-٢٩٥	المرجع	٢٤١	عمر بن الخطاب والكعبة
٣٠٢-٢٩٩	الفهرس		الفصل الثاني
		٢٤٥	الرسول وتحويل القبلة
			الفصل الثالث
		٢٤٧	شعرب وقبائل حاولت تخريب الكعبة

تم بحمد الله تعالى

وتوفيقه

